
السيّاف

السيّاف

رواية

شريف علي صقر

مصطفى الشاعر

تصميم الغلاف: بلال محمد

تدقيق لغوي : محمود ربيع

رقم الإيداع: 2022/27989

I.S.B.N:978- 977-6854-90-1

الطبعة الأولى2023م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

المدير التنفيذي : ثائر عزت

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

شريف علي صقر

مصطفى الشاعر

السيّاف

رواية



كلمة المؤلف

إلى كل إنسان تُؤوّل له نفسه أن يجعل الظلم هو السائد، عليك فقط أن تتذكّر أن النهاية قادمة لا محالة، وليس فقط لكل ظالم نهاية، بل لكل ظالم حكاية يتوارثُها الأجيال.

صديقي القارئ، إذا كنتَ قد وصلت إلى هذا السطر فأنت قد فتحتَ دفّتَي كتاب اللعنة..

اللعنة التي بسببها مات الكثيرون، ولم يتبقَّ إلا رمادهم، يذكّرُنا بما فعلته بهم اللعنة، هي لعنة كان الجميع بانتظارها، ولكنهم لم يعرفوا العاقبة، لم يعلموا أن هذا هو مصيرهم، لم يظنوا أن تكونَ النهاية بهذه البشاعة، فهل أنت خائف الآن أم ستُكمِل لتعرف كيف بدأت اللعنة؟

لا تخف يا صديقي؛ فإني أرى فيك الشجاعة لتقْلِب الصفحات بين يديك؛ لتعرف ما هي اللعنة التي قضت على الجميع.. قضت على الأخضر واليابس وأصبح الجميع ذكرى بسببها.

تعال معي يا صديقي لأُرِيك كيف بدأت اللعنة؟

***

الفصل الأول

-1-

في بداية القرن التاسع عشر..

يسير طفل يرعى الغنم من أبناء عبد رب الرسول في الصحراء، وهو يهش على غنمه، وإذ بعنزة تدخُل إلى حفرة وتُحشَر بداخلها، وتصرخ صرخة تعيد نظر الطفل إليها، يجرِي ويقترب الطفل الذي يملك من العمر تسع سنوات لينقذ تلك العنزة ويُخرجها من حفرتها، لينظر الطفل على آثار قدميها، ويرى شبه حفرة كبيرة، يحاول أن يقترب منها، إلا أنها تهتز من أسفل قدمه ويبتعد، وإذ بسرداب طويل يفتح أمامه، يحاول الطفل الدخول إلى السرداب وينجح، ليكتشف حجرة حجرية مليئة بالتوابيت الذهبية (المومياوات الملكية) والنقش على الجدران، وتماثيل مرصّعة مسنودة إلى الجدران، لينبهر الطفل مما رآه.

يخرج ويترك غنمه، ليجري مسرعًا حتى وصل إلى والده عبد رب الرسول، ووقف امامه وقص عليه ما رأى؛ ليفرح الأب واضعًا جلبابه المهرول في فمه ويجري بكل قوته، يذهب مع الطفل ويشاهد ما تم اكتشافه، بل ويخرجه بكل سهولة إلى ربيعان الشمس، وتسعد العائلة بذلك الاكتشاف وتتداولها في الأسواق، وفجأة من العدم أصبح لديهم نسل كبير يجوب أنحاء القرى والوديان، و أيضًا لهم من الأراضي ما تسر الناظرين، حتى وصل بهم الأمر لملء نفوسهم بالطمع، ويعلن أحد أفراد العائلة ذلك الأمر إلى العامة، ويتباهَى بأن لديهم من خيرات الأرض ما لا يُعدّ أو يُحصَى، وتكتشف الحكومة أمرهم وتسطو على ما بقي من التوابيت، ليكون لعائلة عبد رب الرسول اليد الأقوى والأسرع لينعموا بما امتلكوه؛ فأعطوا أخوال أبناءهم بعض المقتنيات، وأعطوا أرباب

زوجاتهم الأراضي، وكان لعائلة السيّاف نصيب كبير من ذلك، وظلوا على هذا الأمر حتى ورثوا نسلهم تلك التجارة والتنقيب عن الآثار.

وكانت تلك الحادثة هي بداية فطن الناس إلى تواجد آثار القدماء المصريين وكنوزهم المدفونة في بطن الأرض، وكيفية بيعها؟ بل ويمكن أن تعطيهم مكاسب كبيرة ليعيشوا رغد الحياة كما يشاءون، وخصوصًا مَن كان يعيش بالقرب من مقابرهم ومعابدهم.

و عند عائلة من العائلات الذين كانوا مُؤتَمنِين على الخيرات وإرث عبد رب الرسول نقف قليلًا..

عائلة السياف.. ومتمثّلون في عبد الرازق السياف.

عبد الرازق السياف يعمل في الزراعة، ولديه أراضي ومحاصيل زراعية يُتابِعها بنفسه، وفي ليلة من ليالي الصيف الحارة يحرثُ أرضه، ويشد قامته ويمسك فأسه ويضرب الأرض بجسارة كفارسٍ في أرض المعركة ينهال على عدوه بلا رحمة؛ فيهبط بفأسه مرارًا وتكرارًا غير مبالٍ بقوة الضربات التي تنهال؛ فقد كان شابًّا قويًّا، وفي إحدى الضربات سمع صوت ارتطام فأسِه بشيء صلب!وعند تكرار الضربة سمع نفس الصوت؛ فأخذ يبحث عن ما يمكن أن يُعِيقَ طريقه لحرث أرضه، ويسأل ذاته في باله:

- ما هذا الشيء الذي استطاع أن يوقفني؟!

لحظات هي بالنسبة له عمر كامل يمرّ عليه؛ فهو يعمل بطريقة منظمة ويُنهي عمله في وقت معين، ولكن في هذا اليوم ظل يبحث ويحفر ليعثر علي الشيء الصلب الذي امتزج بأرضه ومحصولِه، وبعد انتهاء العمل اليومي في الساعة الثالثة عصرًا إذ يجد عبد الرازق نفسَه و اقفًا على صخرة حجرية يحاول أن يزيحها قليلًا؛ ليجد أسفلها أرضًا طينيّة مليئة بالقطع الذهبية.

ينزل إليها ويُخرج من باطن الأرض قطعة ذهبية من أبناء تحتمس الثالث، ينظر لها بإعجاب شديد، تتسع عيناه لتُنسِيه أرضه وحرثه، وأصبح يهيم بالنظرات إلى التمثال كعاشق يهيم بعشيقته، يداعب بأصابعه ملمس التمثال، يسير خطوة غير مبررة لتصطدم قدمه بالفأس وينتبه أنه في المكان الخاطئ، ويلملم أشياءه مسرعًا، ويمسك التمثال بجلبابه المهترأ ويلفه داخله، ويحمل فأسَه ليتجه ناحية داره مسرعًا وعلى وجهه العرق يسيل كالشلال.

يدخل الدار ويغلق بابه على نفسه، يُخرِج التمثال ويستكمل تأمّله وهيمانه في تلك القطعة.

وبعد ذلك أصبح يذهب الأرض يضربها بكل ما أوتي من قوة فأسه، لا ليحرثها ويزرعها، لكن ليجلب المزيد من القطع الأثرية التي اكتشفها في أرضه، وبعد فترة ليست ببعيدة، علم أن أرضَه تسبح على بحر من القطع الأثرية النادرة، وأصبح يبحث ليل نهار عن مشترٍ يبيع له ما وجد، ولكن بلا جدوى.

من ناحية أخرى كان الإنجليز لهم رأي آخر.

***

بعد ذلك ب 120 عام.

-2-

في إحدى الليالي المظلمة التي اختفَى فيها القمر، وتوارَى خلف السحب التي ملأت السماء حياءً من الدم السائل على الأرض من فعل بني ا البشر ببعضهم، الذين استباحوا قتل النفس بدون رحمة وبلا تردد، عندما هجر الإيمان القلوب ونُزِع من الصدور، وحل محلّه الحقد والكراهية والبغضاء لبعضهم، يُكمِلون طريق الأجداد الذي بدأ بقتل قابيل لأخيه هابيل انتقامًا منه، وأصبحت النفس البشرية لا تأمر صاحبها إلا بسوء.

ليلةً كانت من إحدى ليالي أوائل الألفينات من القرن الحادي والعشرين ميلاديًّا.

التاريخ: يناير 2011.

المكان: قرية المنارة.

الليل يعزف أوتاره، القرية تلتحف بالسواد على ضيّ القمر، تَظهَرُ الأشجار قد ذبلت، والمنازل مفحمة بالنيران، رائحة الموت يشمُّها من يمر على بُعد 10كم من القرية.. جثث معتقة على الرماد، والتي تبقَّى منها العظام والرفات فقط ولا يوجد لها ملامح.

تجلس سيدة في منتصف الطريق تشاهد القرية، الدموع تنهك عينَيْها، السواد ملطّخ جفونها، الشحوب يملأ وجهها، ترتدِي ملابس سوداء، يقفُ بجانبها شاب صغير وهو في سن الخامسة والعشرين، مرتديًا ملابس شبابية، نرى على وجهه الارتعاد كلما نظر إليها، يحاول أن يقف شامخًا يتحامَى في المسدس الذي يمسكه في يده.

ينظر الشاب في عين السيدة وعلى وجهها الشحوب والخوف، يأتي من بعيد صوتُ عجلات سيارة دفع رباعيّ تسير بقوة، وتقترب إضاءتها لتشكّل بقعة على السيدة والشاب وهما على الطريق.

يُمسك الشاب سلاحه ويصوّبه ناحية السيارة، السيارة تقترب أكثر؛ فيضرب رصاصة في الهواء.

تقترب عجلات السيارة منهما وتقف أمام الشاب مباشرة، يظل الشاب مصوّبًا سلاحه تجاه الرجل الذي ينزل من سيارته ناظرًا على السيدة دون اهتمام بما يفعله الشاب، يحدّق الشاب بالرجل في عينَيه الجبروت، يحاول أن يضغط على الزناد، ولكن قلبه يرتعد، والعرق يسيل منه، يصاحب كل قطرة عرق خطوة من الرجل وهو يقترب من السيدة معلنًا نظرة في عينَيها، ويقول:

- هنا الموت طال كل أهلي، ولازم يطُولك انتي و ابنك.

يصرخ الشاب في وجهه قائلًا:

- مش هتقدر.

يقترب الرجل محدّقًا في عينَيه؛ فيشعر بارتياح، ويلتقط شهيقًا يزيل التعب من بين ضلوعه، ويمسك يد الشاب الذي لم يستطع المقاومة، ويلف ذراعه على رقبته ممسكًا بالشاب من الخلف ويقيده، ويخرج الرجل سكينًا مشرشرًا من بنطاله ويشق عنق الشاب بدم بارد؛ فيسيل منه الدم على جسده حتى يصطدم بالأرض ويسير ليشكّل خطَّين، خطٌّ يدوس عليه الرجل بقدمَيه وخط آخر يصل إلى السيدة التي لم تستطع الحديث ولا تتفوّه بحرف واحد، ناظرة على السلاح الملقَى في يد ابنها وتسير خطوات تجاه وتمسك السلاح، وفي نفس اللحظة يخرج الرجل سلاحَه من جنبه.

نسمع صوت رصاص في الهواء...

-قبل 91 عام -

-3-

نسمع صوت رصاص في الهواء..

في وضح النهار وتحت إشراف الشمس الحارسة لسماء مصر في أوائل سنة 1920، وعلى مرأى ومسمع من الجميع يُمسك أحد الحراس بندقيته ويضرب طلقاتها، ويقف أبناء عائلة السياف في أراضيهم يحفروا ليستكملوا البحث عن الإرث الذي يجعلهم أسياد الجميع، يرأسُ الحفر نعمان السياف، ويجلس أسفل الشمسية الحاج عبد الرازق السياف وهو يشاهد اللوحة الحجرية تخرج وتدل على أنه يوجد مقبرة أثرية في هذا المكان.

يقف عبد الرازق السياف ناظرًا على اللوحة ضاحكًا مرحّبًا:

- هللْتَ أهلًا ونزلتَ سهلًا.

يقترب منه أولاده ويقبلوا يدَه وهو يحدثهم:

- التراب ده له سر عجيب، الخير يا ولاد دايمًا في التراب، آدم أصلُه طين، والطين جوَّاه وِرث بينادِي المشتاقين.

يقولها في عشق وكأنه ينشدُ رباعية في حب الطين الذي يعلم ويعِي قيمته جيدًا وهو يتحدث، ينصت له جميع أبنائه وهم مستمرِّين بالحفر تارة أخرى.

يضرب مختار الفأس فيصطدِم بحجر، يسمع نعمان صوت طقطقة؛ فيذهب إلى الصوت مباشرة، ويمسك الفأس ويجرب بضربة خفيفة ليكشف السرداب عن ذاته، وكأنّ الدنيا ابتسمَت لهم مرة أخرى من ضمن مئات المرات السابقة يلتفتُ الجميع لذلك السرداب، يهدم نعمان السرداب بضربةٍ واحدة من يده.

ينزل إلى السردابَ كل العائلة، ويدخلونه وهم يحملون الإضاءات الخفيتة، ويقص عبد الرازق كلماته التي دفنها في صدره طيلة أعوام مضت، والوحيد الذي يملك سره هو ابنه نعمان، وقد حان الوقت أن يُظهِر حقوقهم وما يفعلانه هو و ابنه؛ فيقول عبد الرازق السياف في نهم:

- وكان تحته كنزٌ لهما، أهه يا ولاد الكنز بين إيدينا.. ثروة جدودنا بتنادينا، الله.. الله.. الله، افرحوا يا ولاد التركة بتكبر.. المساخيط راضيين علينا.

يشاهد مختار المخطوطات المرسومة على الجدران في شوقٍ وتمعّن على وجهه الانبهار، يصاحب شفتَيه تلك الابتسامة، فيقترب من الحائط ويضع يده عليه.

- حتى الجدران يا أبويا كنز.

يقولها وهو ينهم ويلهثُ برماله.

يقترب فرحات من القطع الأثرية المركونة على الحائط وكأنه مرصوص بالأمس.. القطع لامعة.. مرتبة.. أنيقة، يمسك أصغر تمثال وينظر على تفاصيل نحتِه البديعة، ويقول في لهفة:

- تبارك الخالق.. منحوت بطريقة أبالسة.

ينفعل عبد الرازق على فرحات ناظرًا إليه، ويقول بصوتٍ عالٍ:

- مفيش حاجة بتتقال هنا غير التسبيح والحمد، و إنك تمجّد روحك وتسيبها تتنعم بالجمال، فاهمان يا فرحات؟

ينظر فرحات على القطع المرصوصة على الأرض، ويحدّث والده وكأن عقله وروحه مُعلَّقَان في الملكوت:

- فاهمان!

ويظلان يشاهدان ما في المقبرة من تماثيل ذهبية وتابوت ذهبي به مومياء، وعلى اليمين نرى حجرة الكاهن ومعه أدو اته، وما بين كل قطعة

وأخرى بردية تقصّ ما يُملَى عليهم من الإرث.. كل ذلك يمر داخل السرداب.

خارج السرداب يقف شاب عريض المنكبين، يشاهدهم وهو يرتدي ملحفته ويضرب جوادَه ضربة قوية ليسير إلى أبعد مكان من السرداب مقترب من الجبل.

وعلى أنغام صهيل الخيل تبدأ الرحلة...

****

-4-

مطلع صيف 1920.

القاهرة..

بعد انتهاء الثورة العُرَابِية التي كانت سببًا في دخول الإنجليز إلى مصر، ونهايتها الحزينه بنفْي وإعدام الكثيرين من الرجال من خيرةِ ما أنجبَت مصر.

تحكّمَ الإنجليز في كل شيء في مصر، حتى أصبح الجيش والشرطه تحت قيادة الإنجليز، وأصبح أكثر رجال الشرطة ولائهم للحاكم الإنجليزي بمصر، حتى لا يقعون تحت طائلة شروره ويُطرَدُوا من الخدمة؛ فكانوا يتغاضُون عن أشياء كثيرة يفعلها الإنجليز بلامبالاة حتى ينالوا رضا الحاكم.

مرورًا بثورة 1919 التي استُشهِد فيها الكثير من المصريين الأحرار بعد ما أعلن حزب الوفد مطالبَه للحاكم الإنجليزي و أنه يتكلم باسم الشعب، طالبَ الشعب بجمع توقيعات لمواجهة الحاكم الإنجليزي وعلى أثر ذلك، تمّ نفي سعد زغلول الذي لم يكن يؤمن إلا بالحرية للدولة وللأمة.

خرج الشعب رجالًا ونساءً، وكانوا ندًّا للإنجليز، يُقاتلون ويقتلون ويُدَافعون عن أرضهم ببسالة الفرسان وهم عُزّل بدون سلاح، لا يملكون غير هتافات تُنادِي بالحرية امام محتَلّ غادر جائع لا يوجد في قلبه شفقة ولا رحمة؛ فكان يقتل الأطفال والنساء بلا رحمة ولا شفقة والعنف هو مبدأه، والقتل الشرس أسلوبه الذي تربَّى عليه.

فقد كان المصريون يُعاملون آنذاك معاملة الكلاب الضالة، ولكنهم كانوا أحرارًا فكانوا يأبون تلك المعاملة، ولكن الغلبة في النهايه كانت للمحتَلّ الغاشم الغادر الذي يملك السَّوط.

وبين كل هذه الصراعات والأحداث اشتموا خبر وجود خيرات من الآثار في الصعيد كافة، وبدأوا في التلصّص على ذلك، وكان قرارهم أن يرسلوا أحدًا من أبناءهم المُخلِصين للسيطرة على ذلك؛ فما كان من الجنرال وقتها إلا تعيين مأمور جديد لقرية المنارة يخبرهم بكل جديد في القرية، وكان ذلك الرأي عند البعض هو الصواب.

وبعد مرور يومين فقط على ذلك القرار...

يدخل المأمور إلى القرية مستقلًا جواده- خلفه سيارة روز رايلز تستقلها زوجته، المأمور ينظر في ساعته وهي عادته عندما يكون في موقف أو في مرحلة قلق يحاول دائمًا الهروب من الوقت، يسير في اتجاه عبد الرازق السياف كبير عائلة السياف، رجل ستيني له أربعة أبناء هم خيرة القرية.

عبد الرازق السياف يهم بالحديث إلى المأمور وهو في قمة سعادته:

- أهلًا وسهلاً يا سيادة المأمور، نورت بلدنا المتواضعة.

المأمور (يهندم شاربَه مستقيم ظهره نازلًا من فوق جواده):

- النور نور الأهل الكرام.

ينظر يمينًا وشمالًا، ويمد يده إلى السياف ويقول:

- ألّا العمدة فين؟

ينظر الجميع إلى بعضهم البعض، يأتي غبارٌ من بعيد، يشق تلك الغبار مهرٌ يستقله عفَّت الموارِدي عمدة قرية المنارة، ومن نظرة عينَيه تدرك أنه ذو قوة وبأس، يمسك بلجامِ حصانه بقوةٍ كفارس من أصول رومانية، وجواده فرسة قوية تضرب الأرض بقدمَيها دليلًا على قوتها.

العمودية في هذه الحقبة التاريخية تُورَّث من جيل إلى جيل في نفس البيت الموجودة فيه، طالما أنه يوجد به ذكور ورجال أشداء يستطيعون أن يمارسوا مركز العمدة؛ فقد ورث عفَّت العمودية عن والده عبدالحي

الموردي الذي ورثها عن أجدادِه تباعًا، ولا يكون التعيين وقيده في الأوراق الحكومية إلا عبارة عن روتين وظيفيّ.

يعيش أهل القرى في هذا الوقت بمبدأ عاش الملك مات الملك؛ فولاءهم للعمدة أيًّا كان مَن هو؟ حتى يفقد حياته ويحل آخرٌ محله، ولكنه يجب أن يكون ذا عائلة ونفوذ وسلطة وسطوة على القرية؛ ليستطيع إخضاع الجميع تحت إمْرَتِه.

عفَّت يمتلك كل هذا ويزيد ذكاءه الحاد ومكره؛ لأنه كان يقف أمام عائلة من أقوَى العائلات الموجودة، بل والمنافس الوحيد له على العمودية.. عائلة السياف.

يدخل إلى الجمع بجواده، وينزل من عليه ويدخل أمام السياف ويمد يده إلى المأمور قائلًا:

- عفت الموردي عمدة قرية المنارة.

ينظر له المأمور باستغراب وتعالٍ، ويمد يده إليه على مضض ويحدثه:

- وازاي شاب صغير يحكم قرية كبيرة زي دي؟!

يمسك عفت يد المأمور ويبتسم بسخرية قائلًا:

- العمودية عِندِينا وِرْث كِيفْها كِيف الأرض والعرض، أنا وريث العمودية وحامي القرية من ساعة وفاة بُوي الماوَرْدِي الكبير.

المأمور يبتسم بتعالٍ ناظرًا إلى عبد الرازق السياف ويقول:

- من النهاردة كل حاجة هتتغير، ولازم العمودية تروح للِّي يستحقها.

عفَّت الموردي يتفاخَر في كلامه مختلسًا نظرة على السياف، موجّهًا بعض الكلمات إلى عبد الرازق السيّاف والبعض الآخر إلى المأمور:

- ومين أحَق من عفت الموردي بالعمودية؟ انت اهنِه عشان تساعدني في استلام المنصب، و أنا اهنِه عشان أساعدَك في تحقيق الأمن المطلوب.

يتعجّب المأمور من غرور عفت الموردي، ناظرًا على ساعته الكاتينة من الارتباك، مختلسا نظره على عبد الرازق السيّاف ولا يجده ينطق، واضعًا رأسه أرضًا!

يعود المأمور برأسه لعفَّت، ويبدأ في النظر إليه كرجلٍ لديه ثقة كبيرة في نفسه، ويبادله السلام باحترام ويقول:

- آسف يا حضرة العمدة، الغريب أعمَى حتى ولو كان بصير.

ينظر عفت للمأمور، ويبدل النظر إلى السياف الكبير الذي يخجل من الحديث بين عفت والمأمور ولم يتدخل في الحديث، ويحدّث عفّت المأمور:

- وأنا شغلتي وواجبي إني أنوّر بصيرتك..وأعرّفك أنا أبقَى مين، اتفضل سعادتك هنتمشَّى مع بعض في البلد و أفرّجَك عليها، وكمان علشان أهل البلد يتشرّفوا برؤياك.

يسير عفّت الموردي بجانب المأمور في القرية على أنغام طلقات نارية من بنادق الغفر.

كل هذا كان يحدث أمام أنظار عائلة السياف وسط أحقادهم وشرورهم التي يحملونها لعفَّت، وهو يعرف نيتهم جيدًا، وأنه فعل ما فعَل بقصد؛ ليُظهِر لهم مدى قوته وأنه لا يخاف من أي شخص، حتى ولو كان مأمور الإنجليز.

عفَّت يعرف جيدًا أنهم يريدون نزع العمودية من منزل الموردي ونقلها إلى منزل عائلة السياف، ولكن هناك شخص واحد هو من يريد هذا الأمر أكثر من أي شخص وأكثر من كبير عائلة السياف.. هو مختار السياف أكبر أبناء عبد الرازق.

يقف مختار السياف في امتعاض ناظرًا على عفَّت الموردي وهو يسير باتجاه القسم مع المأمور، نعمان السياف يقبض على ذراع والده ساندًا إياه ويسيران عكس اتجاه سير عفّت الموردي في اتجاه منزلهما.

يظل مختار السياف و اقفًا يشاهد تحرّكات عفت الموردي متحسرًا على شبابه؛ لأنه يعلم أنّ عفّت أفضل منه في كل شيء، ولكن في عقله يستنكر ذلك.

محدثًا ذاته:

- أبوك فضّلَك وادَّاك كل حاجة.. حتى الحرية اللي خلّتك تعيش جوّا جنّة فيها صوتك وعقلك واختيارك، و أنا أبويا ادّاني عِزْوة تخليني أقوى، بس ما ادّنِيش الحرية فبقيت عبد ذليل.. بدور بس على النجاة ولازم هلاقِيها.

يتنهد، ثم يزفر أنفاسه، ويسير في اتجاه والدِه عبد الرازق السيّاف متجهًا إلى منزله.

من الأعلى تشاهد بيوتًا كبيرة لأهل القرية، الترعة تتوسّط القرية، على ضفافها يقطن بعض الصيادين لاصطياد السمك.

الماشية تسير مع أربابها مسلّمة، تنير أجواء القرية بالسلام والحياة تنعم بها، الخير يعمُّ على الجميع، والشمس ساطعة تحيّ تراب القرية والناس أجمعين.

تشعر في جو القريه بالدفء والسلام النفسي الذي لا تجده في المدينة؛ فمعظمنا يهرب من جو المدينة إلى جو الريف فقط ليشتم عبير الهواء، ويدخل في رئتيه الأكسجين غير الملوث، ويهرب من ضغوط العمل والحياة؛ لينعم فقط بالراحة والهدوء.

وبالكاد قرية المنارة أرجاؤها هادئة وجوّها يُوحِي بالسلام في داخلها، وداخل المنازل المغلقة على أفرادها وعائلاتها نجد أن هناك براكين تثور وحروب قادمة لا محالة، فقط من أجل الحصول على المركز الحكوميّ بجانب المركز العائلي.

والمركز الحكومي في هذه الحقبة كان هو المفتاح لبوابة السرايا والتقرب من الملِك والإنجليز والحاكم الإنجليزي الذي كان يرعَى كل من يبيع نفسَه فقط من أجل السلطة.

-5-

داخل منزل السياف..

يدخل الجميع إلى المنزل، ويجلس السياف الكبير على كرسيه في رأس الغرفة ويحاوطه أبناءه.. مختار الابن الكبير له -نوار الابن الأصغر – نعمان الابن الثالث -فرحات آخر أبناء السياف، جميعهم في سن العشرينات، عدا فرحات في سن السابع عشر.

السياف يتكئ على عصاه الخشبية.

مختار السياف:

- شوفت يا بوي عفّت وجبروته؟

الأب عبد الرازق السياف بصوتٍ شحيح شارد الذهن:

-شوفت يا ولدي، لكن ده بَرْضِيك العمدة.

فيقاطعه فرحات بتعالي الشباب مكشّرًا عن أنيابه قامطًا حاجبيه:

- يا بوي، عفّت المورِدي ده أخرتُه طلقة بين عينيه وكلنا نستريح بعد كدَه للأبد.

مختار السياف وكأن الفكرة وردت فجأة:

- صح يا بوي.. إيه المشكلة لما تكون حادثة قضاء وقدر؟

السياف الكبير سارحًا في ملكوته، ناظرًا على سبحته وهو يفرط حبوبها ويقول بنبرة هادئة ركيزةٍ وصوتٍ خفيض:

- الدم بيولّد دم.. والتار بيخرب أراضِي، خلِّي الوقت يعِّدي زي ما يريدُه ربنا، والموردي الكبير وصَّاني على ولده .

نعمان يتحدث بجزء من حكمة والده:

- معاك حق يا بوي.. خلي الوقت يعدي زي ما يريده ربنا، واحنا لازمَن نفضَل ندوّرعلى أشغالنا، نشوف أراضينا والدهبات وِرْث جدودنا، لازمَن نحافظ عليها ونكمّلها.

مختار السياف يقاطعه في الحديث:

- هو المأمور هيسيب لنا نفَس من النهاردة عشان نشوف أشغالنا!

ينظر السياف الكبير على ابنه مختار، ويقول في نبرة هادئة:

- المأمور بيدوّر على المصلحة، وعشان لقاها في عِين عفّت جِرِي وراها، واحنا جِه دورنا إننا نظهر كرامة ونعرفُوا إيه المصلحة اللي معانا.

يقف نعمان ويقترب من حجرة خشبيّة، ويُخرج مفتاحًا من جيبِه ويفتحها، ويدخل إلى الحجرة ويخرج بكردَانٍ ذهبيّ من أسرة تحتمس الثاني.

الأراضي في الجنوب تعُوم على كنوز القدماء المصريين من ذهب وتماثيل التي تركها القدماء ودفنوها مع موتاهم، وكانت معظم العائلات الكبيرة هي من وجدَت هذه الكنوز وباعوها ليشتروا أراضي؛ فقد كان الفلاحون حينها لايفكّرون إلا في شراء الأراضي الزراعية؛ لأن صاحب الأرض هو من يملك محصولًا يعينه على المعيةه ويكفيه هو وأهله وبهائمه، والذهب عندهم بلا قيمة، بل مجرد وسيلة لامتلاك الأرض.

نعمان يعلم هذا جيدًا؛ فاقترب ببطء ليعطيه لأبيه السياف، ويخفي المفتاح تارة أخرى في جلبابه، يتحسس السياف الكبير الكردَان ويعطيه إلى مختار، ويقول في نبرة هادئة:

- روح يا ولَدِي للمأمور وبلّغُه بالترحاب.

يمسك مختار الكردان ناظرًا إليه بلمعة عينين يملأهما الخبث –يحدق بالكردان ناظرًا على الغرفة الخشبية–، في هذه الثواني يقف نعمان خلف والده السياف الكبير، ويقترب فرحات في لهفةٍ من مختار ويقول:

- يا بوووي.. هو ده الترحاب؟! أومّال السلامات والطيبون يبقَى شكله إيه؟!

نرى عينَي مختار تلمَع أكثر تجاه الغرفة الخشبية، ناظرًا على يد نعمان الموضوعة في يمين الصديري، يطبّق يديه بإحكام على الكردان ويضعه في جلبابه، ويقبّل يد والده ويسير خارج الحجرة.

يقف الجميع لوهلة ينظرون على بعضهم البعض ولا أحد يتفوّه، حتى يقاطع نعمان الصمت بكلماته:

- الحرية هي الل هتنقِذ رقابنا من الخراب، واحنا من غير عمودية أحرار، أيوة أبوكم نِفسُه يكون العمدة، بس برضُه طول ما احنا مدارِيّين في سلطة تحمينا ده اللي هيخلينا في نعيم، ومحدش راصد للّي نعمله.

وهنا لأول مرة نوّار يخرج عن صمته ويقول:

- المال لازمُه سلطة تحميه وتزوّده، والسلطة لازمها عِزوَة تأمّنها، واحنا معانا المال، ومش بس مال! ده بعد الل شوفناه كلنا دلوقتي بقى معانا أطنان من المال، والعزوة احنا أساسها، يبقى ناقصنا إيه؟! السلطة.. احنا ناقصنا السلطة، من النهاردة الحرب هتكون ع الكرسي، والبركة في أبوك.. هو مالِك السلطة.

عبد الرازق السياف يحاول مقاطعة عقولهم عن ذاك التفكير وبالكاد يفشل، ولكنه يحاول.

- خلينا بعيد يا ولادي، لو حد خَد خبَر بأننا من الأعيان و اتعرَف إننا بنملك خيرات الأرض هناخد الباشوية طوّالي، ومن هنا هنخسر أكتر بكتير من اللي المفروض نخسره واحنا بنتحامَى في الكبرات، إنك تكون تحت ضِل حيطة أهون بكتير إنك تكون الحيطة نَفْسِها.

ينتهي السياف عن حديثه، يُخرج زفيرًا حاملًا بالمرار ناظرًا على نعمان الذي خيّب آماله، محدّثًا ذاته متذكرًا حديثه مع ابنه نعمان فيما قبل..

-قبل أسبوع-

يقف نعمان مع والده السياف محدّقًا في عينَيه قائلًا:

- يا بوي، اخواتي لازمَن يعرفُوا باللي بنعملُه والشغل التاني اللي خلّانا لينا اسم.

- أنا بقُول يا ولدي بلاش دلوقتي، هما لو عرفوا الطّمَع هيملَى قلوبهم والسواد هيطفِي نوربيتنا، خلينا في الضّل وشغلنا معمِي عن العيون.

- المأمور الجديد جَاي يا بوي، وده أحسن وقت نعلِن فيه للكل إننا تجاردهب، و إننا وارثين جدودنا.

- خلِّينا بعيد يا ولدي، وده للصالح، خلينا بعيد.

يعود عبد الرازق السياف ساحبًا نظرة من عين نعمان الذي خسِرَ رهان والده للمرة الأولى في حياته، ومن الممكن أن نعمان يخسر أيضًا ثقة والده في كل شيء.

فيَهِمُّ نعمان بتركِ مفاتيح الغرفة الخشبية أعلى الطاولة المتواجدة أمام والده، ويسير متأفّفًا، ينظر على المفاتيح فرحات ونوّار، وفي عينيهما نظرة لؤم وخبث، ويجلس عبد الرازق السياف في خيبات الأمل سرحًا في ملكوته.

***

-6-

يسير مختار السياف بجوادِه في القرية والعرق يدب في أنحاء وجهه، نرى نظرة غرور تنطق من عينَيه، يجزّ على أسنانه ناظرًا على بيت عفّت الموردي في غيظ نافرًا، يضرب الفرسَ بقدمَيه وهو يمسك اللجام ليسير بسرعة زائدة.

يقف الجواد أمام قسم الشرطة، وينزل مختار السياف ويدخل إلى القسم واضعًا يده على الكردان في الصديري الخاص به، عيناه لامعتان، يقف في بهو القسم ينظر على صورة الملك فاروق ويحدق في عينَيه محدّثًا ذاته:

- خطوة واحدة بس على دخول السرايا.. خطوة واحدة بس على النعيم عشان تبدأ البداية.

ينظر المأمور من شباك مكتبِه على مختار السياف وهو يقف شارد الذهن، يداعب المأمور شاربَه كأنه وجد صيدَه الثمين الذي يمكن اصطياده بمنتهى السهولة!

يخرج المأمور من مكتبه ويرحّب بمختار متناسيًا اسمه:

- أهلًا أهلًا.. معلش نسيت اسمك!

- مختار سعادتك.. مختار عبد الرازق السياف.

- أهلًا وسهلًا، خير؟ جاي في إيه؟

- أبويا عبد الرازق بيه السياف باعِتْني عشان أرحّب بيك.

يُخرِج مختار الكردان من جلبابه ويعطيه إلى المأمور، الذي ينظر عليه بفرحة وامتنان شاكرًا "مختار"، قائلًا:

- واو.. جميل جدًا، هي دي الهدايا اللي تِتصان، أنا دايمًا نظرتي ماتخيّبش، قُلت إن عبد الرازق بيه هو أحَقّ حد بالعمودية.

المأمور يقول ذلك بخبثٍ لسانه وعلى وجهه ابتسامته المعهودة، فيشتري مختار تلك الابتسامة وكأنها الدلال له ولعائلته؛ فيقول:

- ده خيرك يا بيه، احنا كلنا هنا خدّامِين سعادتك، وبنحب اللي يساندنا.

يبيع المأمور ابتسامة أخرى إلى مختار، ثم يحدّثه بعينَيه (سأنال العهد منكم فقط)، يُمسك المأمور الكردان ناظرًا له نظرة حرمان، ويحدّث مختار بشهوة غريزة لحب المال:

- و أنا عاشق إني أساند الجدعان اللي زيكم.

يقف مختار من أمام المأمور ويمد يده له:

- بالإذن أنا بقى يا بيه، ولازمَن تشرفنا في الدّوّار.

يمد المأمور يده بلا مبالاة ويسلم علي مختار.

بعدها يفر مختار خارج المكتب شاعرًا بإحساس الامتلاك، مصاحب شفتَيه ابتسامة خبيثة ناظرًا على المأمور الذي انتابته نشوة الحنين مع الكردان، ويسير إلى الخارج ويظل يختلس نظرته إلى المأمور، ويقف المأمور يُغلق الباب في وجه مختار السياف؛ فيلف مختار ذاته ويصعد ليركب جواده، ويسير به في أنحاء القرية فاتحًا يده إلى السماء وكأن الانتصار على عفَّت يروي عطشه ويزيدُه من الحرية أطنانًا، حتى يصل إلى دواره العتيق داخل القرية.

***

-7-

يمر الوقت كالسيف ويقتل كافة الخيرات في القرية، يوم تلو الآخر وساعة تقتل الأخرى، فيخرج الجميع من رحمات النعيم إلى العذاب الأليم.

كل يوم يمر يزداد فيه المأمور معرفةً يتبعها فرض طغيانه بجميع عائلات القرية بأمرٍ من الخواجة الذي يدير القرية كيف يشاء، ويأخذ من خيرها ليملأ خزائنه أكثر فأكثر، حتى جاءت للخواجة الفكرة التي ستشتّتُ الجمع، وعلى غرار الشيطان استدعَى المأمور وبثَّ في أذنيه فحيحه ويخبره بإنشاء بيتٍ للغواني المرخّصة بالقرية.

وبالطبع تلك المحاولة لم تكن الأولى في ذاتها، ولكنهم حاولوا مرارًا، وكان دائمًا يأتي الرفض من أبناء الموردي على لسان عفت؛ لأنهم لا يريدون أن يكونوا شركاء الخطيئة، ولكن الخواجة وجدَ أن هذا سيجني مالًا إلى خزائنه طالما المأمور عبدُه الذي يطيعه! فهو يده الذي يبطش بها ويحقق مراده؛ لأنه يعلم الكثير عن عائلات القرية، فحتما سيحاول أن يجرّ أقدامهم إلى ما يلعنه الدين والعُرف ويشرّعه القانون.

وبرغم كل تلك المخاوف من رفض عفت إلا دائمًا للمأمور خطط وقرارات يجب أن يستعين بها، ظل يبحث حتى وجد قراره الأول.. الذهاب إلى عفَّت الموردي في منزله، نعم.. المواجهة خير سيف للانتصار، وذلك لسد فجوات الإيمان وإعلاء كلمات الشيطان.

جهّز فرسه وأعد خطته، وانطلق إلى بيت الموردي وهو يبتسم ابتسامة خبيثة تنم عن مدى حقارتة، حتى لاحَ من بعيد منزل الموردي، التقطَ نفَسَه حتى سحب الأكسجين من الهواء، ثم زفره من صدرِه ليمتلئ الهواء بالعفن.

يقف المأمور أمام منزل العمدة، ينزل من أعلى الفرس.. يهندم شاربه، ليجد عفت الموردي في انتظاره أمام بهو منزله، يهم المأمور بالسلام على عفت الموردي وهو يبتسم:

- السلام عليكم يا حضرة العمدة.

عفَّت وهو ينظر لعينيه ويرى الخبث فيهما:

- وعليكم السلام يا جناب المأمور.. نوَّرْت الدّوّار.

المأمور يبرم شاربه ويتجه ناحية الداخل، متعاليًا على عفّت، ويسير أمامه بخطوة تُظهر الكِبْر.

- منور بوجودك يا عمدة.

عفّت يشير له الدخول إلى المنزل بعد أن تجاوز خطوته وسار أمامه بترحاب الطيبين.

- تفضل جنابك.

ويحدث أحد الخدم لتحضير الغداء:

–قولّهم يحضروا الغدا بسرعة يا واد.

المأمور شاكرًا عفت الموردي؛ فيهمّ عفّت قائلًا:

- ودِي تيجي؟! عليّا الطلاق لنتغدا سوا.

يضحك المأمور على حديث عفّت العفويّ، يسير خطوات قليلة حتى يصل إلى مائدة الطعام التي تُرَصّ من الخدم، يجلس على طاولة الطعام وعليها ما طاب ولذ من دجاج وبط وحمام.

وهنا بدأ عفت يستعين بالمثل (أطْعِم الفم تستحي العين)، ولكنه يتبع ذاك المثل مع ناقدِه (في الزوادة زيادة).

فظَلّ يتناول الطعام المأمور والعمدة، عفَّت يأكل ببطء في أول دجاجة أمامه، ولكن المأمور يلهَثُ في الأكل من جميع الأصناف يمينًا وشمالًا، يملأ فمه ناظرًا على هدفه فقط، عفَّت ينظر عليه نظرة فهمَ ما ينوي فعله، وأن المأمور حضرَله اليوم ليساومه على شيء.

وبعد أن ينتهي من الطعام يقوم بغسلِ يده في إناء مُعدّ لذلك، ويتبعه العمدة، ثم يتحركان إلى غرفة الضيافة..

المأمور:

- يدُوم الواجب يا جناب العمدة.

يقبض عفَّت على يد المأمور محدّثًا إياه بخبث القلب:

- بس انت ماكَلْتش كويس جنابك.

- لا، الحمد لله، كده كويس قوي.

- اؤمر جنابك.. كنت عايزني في إيه؟

وهنا بدأ عفت يكشف أوراقه، واصطادها المأمور قائلًا:

- طبعًا انت عارف قوانين السرايا، وقَدّ إيه احنا هدفنا تحسين وضع القُرَى والنجوع والأقاليم، وحتى المدينة، عشان كدا صدَر مرسُوم ملكِي بإنشاء بيت هنا يكون خاضع للحكومة.

عفّت -وقد فهم ما يشير إليه المأمور- جزَّ على أسنانه، وتابع بأسلوب المأمور المراوغ:

- بس كده؟ عنيّا.. البيت وسكان القرية كلها تحت أمر السرايا.

فيبتسم المأمور ابتسامته المعهودة:

- جميل يا عمدة، بكدا احنا اتّفقنا على تنفيذ المرسوم.

عفت الموردي:

- طبعًا يا فندم اتفقنا، بس الأول البيت ده هيكون فيه مرسَح ولا مقتنيات من السرايا، ولا حضرتك هتقعد فيه؟

المأمور يبدأ بالحديث بثقةٍ –التي اكتسبها من موافقة عفت- وكأن الانتصار دقّ طبول الحرية في صدر المأمور، خاصة وأنه سيحصل على ترقية وعلاوة على ذلك:

- لا ولا أي حاجة من دول، ده بيت هيكون تحت أمر الكُبارات.. تحت أمر الأعيان، يفرحوا ويتبسطوا فيه.

عفت الموردي يُكمل في مرواغته، ويحدّثه بنبرة أعنف مصاحبة ابتسامة:

- وماله يا بيه! واجب برضُه إن الناس تفرح وتنبسط، بس المهم الإشراف هيكون لمين يا فندم؟ احنا برضُه هدفنا القيم والمبادئ.

- مبادئ! طبعًا يا عمدة البيت ده معمول عشان خاطر المبادئ، وعشان القيم وتغيير المزاج العام، البيت ده هيكون للمتعة الحلال، وطبعًا ده مُرخّص من السرايا.

عفت يتأكد من نية المأمور، وينظر إليه باستحقار، تتحول نظراته إلى الغضب، ويقول بعلو صوته:

- قواد؟! عايزني أبقى قوّاد على الكبارات والأعيان؟! أعوذ بالله، اخْس على كدا، ده مستحيل أبدًا.

يحاول المأمورتمالك نفسه، ويقاوم هجوم عفت عليه قائلًا:

- ما انت كنت موافق يا عمدة، ودا أمر ملكيّ من السرايا نفسها، وتقنين الدعارة معناه الحفاظ على الكل من المرض ومن الزنا.

عفّت يقف نِدًّا إلى المأمور محدقًا في عينيه، قائلًا بصوت رخيم مع نظرات ثاقبة:

- بسم الله الرحمن الرحيم (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) صدق الله العظيم، و أنا لا يمكن أكون من اللي ليهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، أنا هعيش وهموت لسان الحق والعدل، مش لسان الفُجْر والعهر.

يمسك المأمور ساعته الكاتينة، وينظر إليها من شدة خجله، ويقول بنبرة أعلى من عفت الموردي، وقد اسودّ وجهه وبدأت ملامحه تتوتر:

- يعني انت مش موافق؟

- لا مش موافق، ولا يمكن أوافق على حاجة زي دي أبدًا.

- براحتك يا عمدة، بس دي أوامر الحكومة، وهتتنفّذ غصب عن أي حد.

عفّت يعلو صوته على المأمور أكثر:

- تتنفذ في أي مكان إلا في قرية المنارة.

المأمور قد اشتد غضبه، وشعر بأن الخسارة تقضِي على ما خطّط وسعَى له قائلًا:

- أنا هكتب تقرير وهقول فيه إنك معترض على قرارات السرايا...

يقاطعه عفّت في جبروت وكأنه يعرّف نفسه من جديد إلى كل من حوله:

- أنا عُمدة قرية المنارة، ومستحيل أقبل إني أكون تِرْس في لعبة نِجْسة زي دي.

ينظر المأمور على عفت غاضبًا، ويسير من أمامه ويظهر على وجهه العداء، ويركب جواده ناظرًا على عفّت باستحقار، ويقف عفّت أمامه، ويقول لعتريس أحد الغفر في القرية:

- فتّح عينيك يا ولا، وأي حاجة تحصل برّة أعرافنا تبلّغني بيها، شكلنا داخلين على مرار طافح.

عتريس:

- تمام جنابك.

ومنذ تلك اللحظة والخيانة ملأت قلوب الجميع، عفَّت خائف من رصد المأمور وما يحمله له، والمأمور خائف من غدر عفّت ليغتاله، وما من عفَّت إلا أن يعُدّ العدّة، وما على المأمور إلا أن يجد البديل وفي أسرع وقت؛ لكي ينعم بالترقية الحتمية.

إنها اللعنة.. تبدأ بشظايا تفكير في تغيير أُسُس حياتية يومية، وعند تغييرها يبدأ الناس في فتورها، وبعد فترة وجيزة تصبح عادة مستباحة

أمام الجميع، ومن يفعل غيرها يصبح ملعونًا، وكأنه يرتكب الجرم الأكبر للحفاظ على هويته الطاهرة، وها هو عفت يحاول المحافظة على الهوية، ولكن في الوقت والمكان الخاطئ، وسرعان ما يكون لليد الأقوى سلطان على ذلك.

***

-8-

من الممكن أن يحظئ الجميع بالهدوء والحياة الوردية، ولكن دائمًا ما يأتي الورد بقطع من الشوك، ومع مرور الوقت يذبل الورد، ويظل الشوك هو من يحيا ليعكس الرحمة إلى لعنة.

وهذا ما فعله المأمور لكي يحظى بلحظات من النعيم، قرر أن يدخل القرية بأكملها في ظلم الجحيم وهو يجلس ويتربَّع على عرش الطغيان.

يجلس المأمور بمفرده في مكتبه يحاول التفكير في كيف ينتصر على عفّت، حتى وقع بصره على ذلك الكردان الموضوع في المكتبة الزجاجية، وتذكّر تلك الابتسامة الخبيثة التي راودَت شفاه مختار السياف عندما أقبل عليه في يوم مجيئه للقرية، ليكن يقينه أنه له أعوان يجب الاستفادة منهم، وأن له مصلحة عندهم لم يتطرق إليها بعد، وألف أخرى أخذت تدور في رأس المأمور!

حينها قرر المأمور الذهاب إلى منزله، وجعل زوجته تلملم أغراضها من المنزل، واستقلت السيارة التي أتَت بها إلى القرية و إبعادها عن القرية إلى حيث أتَت؛ ليتفرغ لما هو ينوي عليه.

ثم عاد إلى مكتبه وأخرج الكردان من المكتبة الزجاجية، ورماه على المكتب، وجلس رافعًا قدميه لأعلى في شموخ مداعبًا شاربه بأصابعه، مختلسًا آخر نظرة على الكردان مناديًا على الأومباشي الواقف أمام الباب خارجًا؛ فيدخل الأومباشي مؤدّيًا تلك التحية العسكرية واضعًا سلاحه بجانبه، يقول له المأمور وهو في عنجهيّة الأفكار الفَظّة:

- ابعت هات مختار ابن عبد الرازق السيّاف هنا حالًا.

يسمع الأومباشي الجملة مؤدّيًا مرة أخرى تحيته وهو يسير بالحركات العسكرية حتى يخرج من المكتب، ليجلس المأمور بمفرده منتظرًا مجيء مختار السياف.

وبعد دقائق مدّتها ثلاثين دقيقة مرت على المأمور كأنها دهر كامل، يجد مختار السياف يدخل إلى مكتبه مؤدّيًا السلامات والتحيات مهلهلًا فرحًا بأن المأمور طلبه بذات نفسه.

وبعد نظرة المأمور لمختار ورؤية ابتسامته ذاب القلق من على وجه المأمور، وحَلّ الهدوء على ملامحه:

- وعليكم السلام، اقعد يا مختار.

مختار (واثقًا) يجلس أمام المأمور، ويقول:

- الأومباشي قالّي إنك عاوزني ضرُورِي.

المأمور (بهدوء) يقف من على مكتبه ويحُوم حول مختار، ويجلس أمامه قائلًا:

- آه، كنت محتاجك في موضوع كده، قُلْت انت أَوْلَى أعرِضُه عليك.

مختار (بسخرية) وكأنه أتَى بالذئب من ذيله:

- مش برضُه الموضوع اللي عرضتُه على ابن الموردي ورفض؟

ينظر إليه المأمور وتظهر الدهشة على ملامحه!

مختار ينظر إلى المأمور بخبث والمأمور يبتلع ريقه، ويقف ممسكًا بالكردان ويداعبه بأصبعه بدلًا من الساعة.

مختار (بهدوء) قائلًا:

- ماتقلقش يا جناب المأمور، موضوع البيت اعتبره خلُص وجاهز كمان.

المأمور (بحذر):

- والمقابل؟

مختار تظهر على ملامحه ابتسامة انتصار، يمسك منه الكردان:

- تصرفلنا الدهبات، انت ليك سكّتك مع الإنجليز، ولّا إيه جنابك؟

المأمور(تعود ملامحه إلى الهدوء مرة أخرى):

- لو على كده اعتبر الموضوع مُنتَهِي، بس نسبتي هتكون 30% من أي حاجة هتتباع.

مختار(يمد يده في يد المأمور):

- اتفقنا.

المأمور يشعر بأن انتابته السعادة الغامرة؛ لأنه كسب المغامرة، وحتما سيرضَى عنه الجنرال، وبالكاد مختار أصبح له ظهر يحميه من بطش عفَّت وسيطرته.

يبتسم الاثنان ابتسامة رضا على إتمام الاتفاق، وكل منهما يحدّث نفسه بأنه قضى على عفّت الموردي الذي كان يقف عقبة في طريقهما.

هما الاثنان وجهان لعملة واحدة فقط.. هي المصلحة، ولم يعلما أنّ لعِفَّت أوجه كثيرة يُحيِي منها ما يريد في الوقت المطلوب رغم صغر سنّه، ولكنه يتمتع بذكاء الذئاب، وبالكاد كان يعلم أن الاتفاق المنصوص بين مختاروالمأمورهو هَتْك عرض وبيع الأرض، وبناء على ذلك بدأ يعُدّ العدَّة.

***

-9-

الكل يسير في عمله، من يحفر في الأرض ومن يتاجر ومن يحلم بالمال، وعفّت بمفرده في ضفة، وأهل السياف في الضفة الأخرى، وعندها يجتمع المأمور مع عائلة السياف الذي نجَح في جعلهم منحازين له وتحت إمرته؛ فمن يُشارك الشيطان لا يأمَن العواقب التي ستكون بانتظاره، ففي أول الأمر كان العناد من أجل إسقاط عفَّت، لكن عفَّت لم يسقط! بل أصبحت عائلة السياف عبيدًا للمأمور وسيده الذي نجح في كسر الثقة بين أبناء البلدة الواحدة؛ فقد استمدّ قوته وفكرته من الشيطان بفكرة "فرِّق تَسُد"!

وهو ما لعب عليه المأمور حتى وصل لمبتغاه، ولكن عائلة السياف أدركَت خطأَها فيما بعد، بعد ما فات الأوان وأصبحَت أرواحهم مِلْكًا للشيطان يفعل بها ما يشاء، وهو الشيء الذي كان يؤرقهم؛ فبعد أن كانوا أسيادًا وأحرارًا أصبحوا أسيادًا أمام الناس فقط، بداخلهم مسجونون وعبيدٌ للمأمور.

الاجتماع كان بوجود كبير العائلة عبد الرازق السياف و ابنه الأكبر مختار، ونعمان السياف.

عبد الرازق السياف لا يبدو عليه الارتياح وهو يتكلم إلى المأمور..

- مش قليّلة الفلوس اللي هيدفعوها الجماعة الإنجليز دول!

المأمور (بهدوء):

- والله يا حاج عبد الرازق ده أفضل سعر قدِرْت أوصل ليه معاهم.

نعمان (منفعلًا):

- هما يعني عايزين ياخدوا الدّهَبات برخص التراب.

مختار يكمل ما بدأه أخوه، ويضحك ضحكة استنكار:

- احنا بنفهمُوا في الدهبات زِين، وعارفين إنها تساوي أكتر بكتير من اللي هيدفعوه، وممكن نشوف ناس غيرهم.

المأمور محتفّظًا بهدوءه:

- يا جماعة افهموا بس.. هما اللي متحكّمين ومن غيرهم مش هتقدورا تبيعوا؛ فخلينا معاهم لحد ما أشوف سكّة تانية، وبعدين يا مختار لو بتفهمُوا في الدهب فهمّا بيفهموا أكتر منكم.

يخرج المأمور قطعة آثار ذهبية من صندوق موضوع أمامه، ويعطيها لمختار ويحدثه:

- امسك يا مختار اشرحلي دي من الأسرة الكام وبتاعة مين؟ وهل الأسرة دي ليها مقابر تانية ولا لأ؟ وهل هي علويّة ولا من العوام؟!

ينظر مختار على القطعة دون ملامستها، ثم يضع عينَيه في الأرض؛ فيحاول عبد الرازق أن يُلمْلِم بقايا كرامة ابنه قائلًا بهدوء حَذِر:

- و إيه الحل جنابك؟

المأمور على ملامحه علامة إنه اوقعهم في الفخ:

- قدامكم حل من اتنين.. إما تبيعوها للّى عايز يشتريها ويدفعلكم العشرة جنيه تمنها، يا إما تفتحوا متحف هنا في القرية ويبقى متحف عيلة السياف.

يقولها وهو في عنجهيته وكأنه الأسد في ليلة دُخلَته ينصب عرينه لاستقبال زوجته؛ فيقاطعه عبد الرازق وهو يخفي غضبه متسائلًا ومجيبًا في نفس اللحظة:

- متحف؟! متحف إيه؟! العيلة أَوْلَى بالعشرة جنيه نشتري بيها أرض.

نعمان منفعلًا:

- يابوي الدهب هيزيد كل سنة؛ نخلِّيه أحسن.

عبدالرازق يرد على نعمان بحكمة:

- يا ولدي، الطين أَبْدَى دلوقت، الطين هي العصب، إنما الدهب بتاع الناس اللي غاويَة ذوَاق.

مختار (يرضخ لكلام والده):

- اللي تشوفه يا بوي.

يبتسم المأمور ابتسامة تنم عن انتصاره، وأنه أحكم قبضته أكثر فأكثر على عائلة السياف أحد أكبر عائلات القرية، وعبدالرازق السياف مغلوب على أمره؛ فابنه مختار هو الذي أوقَعه في هذا الشّرَك الذي نصب له بإحكام، واصطاده المأمور كما يصيد ذئب جائع شاةً صغيرة ويفتك بها دون رحمة بين أنيابه الحادة.

مختار يجزّ على أسنانه من الخيبة والوهن الذي أصابه أمام المأمور، الذي ظهر له بوجه ملائكيّ يريد مصلحته، ولكن بعد ذلك تحول الملاك إلى شيطان يمكن أن يفتك به في أي لحظة إذا شاء؛ فترك الأمور تسير كما يريد الشيطان الملقّب بالمأمور.

***

-10-

بعد مرور عام..

قرية المنارة تبدَّلَت فيها الأحوال، و افتتح المأمور فيها منزل البغاء رغمًا عن عفت الموردي عمدة القرية، وأصبح الرجال والشباب في القرية منقسمِين إلى قسمَين، وهو ما كان يريده المأمور ومن خلفه الإنجليز الذي لا يريد أن تقوم للشباب قومة وصلب عرض؛ الأول يلهث خلف المتعة الحرام، يدفعون أقواتهم من أجل أن ينالوا المتعة، أما الثاني متأفّف مما يحدث، ولا يملك سوى متابعة ما يحدث في صمت خوفًا من بطش المأمور.

أمّا عفّت فقد تزوج من فتاة جديدة؛ لتأتي له بالصبي الذي سيحمل اسمه.

واستمر المأمور يساير عمله مع أولاد السياف في بيع الآثار وعبق التاريخ مرة تلو الأخرى، وتظل عائله السياف تغتنم من الأراضي ما يحلو لها، حتى يفيق عفّت لما يحدث بين المأمور وعائلة السياف، ويعترف بأنه نَخَّ وبرَكَ كالجمل الشايب، ومن ثم وقف وقفة الرجال وعزَم على أفكاره؛ فاستشاط غضبًا متوجّهًا إليهم وهو في كامل ثورته.

داخل دار أولاد السياف..

يدخل عفت على السياف والمأمور، الجميع يجلس أمام صناديق الذهب وتابوت المومياء، ويتم التفاوض على سعر بيع القطع.

ينظر لهم عفت ويتفحص الجميع بنظرات غاضبة، ثم يدق بعصاه على الأرض بقوة، ويتحدث بصوت خشن عالٍ تقشعر منه الأبدان:

- إيه الحديت اللي أنا سمعته ده يا عم عبد الرازق يا راجل يا كبير؟

مختار يقف وينظر لعفّت بتحدٍّ، ويدق بنفس طرقة العصا قائلًا من نفس طبقة الصوت:

- إيه الغاغا اللي انت داخل بيها دي؟!

عفَّت ينظر في عينيه مباشرة، ويقترب خطوات ليكون النّدّ لمختار:

- دى مش غاغا، دي الأصول اللي انت لسّه ماتعرفهاش زِين.

عبد الرازق بهدوءه المعتاد، وبصوته الرخيم قائلًا:

- مالك يا عفّت يا ابني؟ فيه إيه؟!

هنا عفّت شعر بأنه سيصبح لعبة في يد الجميع؛ فقرر أخذ عزيز مقتدر؛ فاقترَب من المأمور ناظرًا له في عينَيه:

- صحيح هتبيع الدهبات؟ هتبيعوا تاريخنا؟! حضارة سبع تلاف سنة تروح اِكْده من يدِّنا!

المأمور ناهضًا من مكانه بهدوء ساخر وهو يداعب شاربه:

- و إيه المشكلة يا حضرة العمدة؟ انت مالكش غير إنك تحكم في مالك وعرضَك وأرضَك بس.

تلك الكلمات وقعت على أذن عفت كالصاعقة، عاقدًا حاجبيه في غضب وفي عقله يريد أن يضربه على رأسه بعصاه، ولكنه يتمالك نفسه في آخر لحظة ويقول:

- أنا أحكم على كل شبر في القرية، حتى انت.

ليعود إلى هدوءه بعد شعوره بأن الجميع سينهال عليه إما بالضرب أو السب أو كلاهما معًا لتلك الكلمات، محاولًا تمالك أعصابه قائلًا:

- يا بيه فيه عرف.. آنِي العمدة والمسئول عن كل دار في القرية، وكل فَرد هنا تحت طُوعِي.

عبد الرازق السياف وقد اشتد غضبه من حديث عفّت لهم؛ ليخرج من هدوءه وحكمته قائلًا:

- اكْبَرلِنا يا عفّت، فيه إيه؟

عفت باحترام وتقدير يقترب من عبد الرازق مقبّلًا يده، ويعيد هدوء نبرة صوته.

- أنا مكبّرَك زِين يا عم عبد الرازق، بس الحال المايل مايصحّش واصل، قولولي المأمور اشترى الدهبات بكام؟!

فيعلنها عبد الرازق في تردد:

- بعشرة جنيه.

عفّت ينظر للمأمور مبتسمًا ساخرًا، محدقًا له بتحدٍّ وعيناه تحمَرّ كذئب:

- عشرة جينه! تبيع التاريخ بعشرة جينه، ده ماضينا يا بيه، حد يبيع جدرُه! وبعشرة جينه؟! ويا ترى المأمور هيبيعهم بكام؟ بألف ولا بعشرة؟ إياك مفكّر إني ماخابِرْش الدهبات تسوى كام.

عاقدًا عينَيه وهو ينظر له ويستكمل:

- المأمور جاي البلد بتقرير من الإنجليز عشان يدمّروا كل حاجة في البلد وينقلوها ليهم هما بس، الدهب وِرْثِنا احنا ومفيش حد هياخْده.

ليقترب المأمور من الصندوق، وينظر للتماثيل بتمعّن ويمسك بأحدهم، ويلعب نفس اللعبة التي لعبها على مختار من قبل..

- على كدا تعرف دي من الأسرة الكام؟

عفّت يضحك ضحكة عالية ساخرة، وينظر في عينَي المأمور بقسوة قائلًا:

- ده علام يا بيه، ولا آنِي ولا حتى انتَ نعرفوا نفتُوا فيه، ليه ناسُه، إنما احنا عارفين تاريخنا زِين وفاهمين يسوَى كام، والإنجليز يعرفوا يقدّروا التاريخ زين...

ثم تتحول نبرته إلى خبث قائلًا:

- مش هما دول بَرْضَك اللي انت هتبيعْلُهم؟ ولا تكون هترُوح لباشا كبير في البندر تبيع له الدهبات وتقبض التمن؟!

فيهمّ عبد الرازق بإنهاء الحوار بين عفت والمأمور:

- خلاص يا عفت يا ولَدِي، احنا ماعنرْجَعُوش في كلمتنا، عَنْبيعوا بعشرة جينه للمأمور.

عفَّت (في تحدٍّ):

- هخُدهم بخمس تلاف جينه.

عبدالرازق (بإصرار):

- خلِص الحديت يا ولدي، احنا بعنا وخلاص.

مختار ينظر لوالده ويكاد يهم بالحديث، ولكنه يتذكر العادات والتقاليد التي تربَّى عليها؛ فيكظم غيظَه بداخله ويسكت.

يضرب عفّت بعصاه الأرض ويسير من المجلس وهو غير راضٍ عمَّا يحدث داخل بيت السياف، ويقف المأمور ويداعب شاربه وعلى وجهه شبح ضحكة الانتصار، ويقف بجانبه عبد الرازق يشعل سيجارته الملفوفة ويبدو عليه الغضب مما فعله عفت.

فينادي المأمور على عفّت:

- يا عمدة.

يلتفت عفت للمأمور وهو ينظر له بحنق:

- ماتنساش إن ورقك عندِي في المكتب.

يبتسم عفّت بسخرية يتبعها نظرة تحدٍ:

- وماتنساش إن قعدتك اهْنِه بتقرير مني.

فيسير العمدة، ويُخرِج المأمور الكاتينه وينظر عليها متوترًا، ويخرج الرجال بصندوق كبير، يفتحه المأمور ليجد به تماثيل، ويبتسم المأمور.

ومنذ تلك اللحظة وأصبح الجميع يهاب بعضه، عفّت الموردي يدبّر أموره ليُحِيل المأمور إلى التقاعد، ويجعله يخسر ثقة الإنجليز، و أيضًا عائلة السياف تُعطِي الثقة لمختار بأن يتصرف في كل شيء، وما من المأمور إلّا أن يتحد مع الزمشري ليأمَنَ شرور الجميع، ويستطيع أن يجني المال إلى ذاته فقط، كل ذلك والحياة تمر مرور الكرام تارة ومرور اللئام تارة أخرى.

-11-

يوم الجمعة الساعة 9 مساءً..

بعد أن يخلد الجميع إلى نومه..

تسير سيارة القسم يتبعها سيارة أخرى بها 2 حراس، وبعد مرور 20 كيلو على الطريق يخرج عليهم ثلاثة ملثَّمِين، ويهجمون على السيارة، وما من أحد يقاوم الملثَّمِين؛ فيقترب أحد الملثمين من حقيبة السيارة التي يتواجد بها الحرس، ويفتحها ليخْرُجَ بالصندوق الذهبي، يحاول أحد الحرس أن يُخرج مسدسه من جيبه لينهال عليه أحد الملثمين من الظهر ويضربه بشومة على رأسه؛ فيسقط أرضًا، فيتحدث أحد الملثمين بعنف:

- محدش يفكر ير اقبنا أو يفكر إنه يتعرض لنا، اللي معاكوا هناخدُه من سكات.

فيحاول أحد العساكر أن يقترب، وما من حركة إلا ويتلقَّى رصاصة يقع أرضًا بسببها، ويمسك الملثّمون جميع المقتنيات ويحملونها على أحصنتهم، ويسيروا في اتجاه الجبل.

وينظر عليهم الحراس الو اقفون مع السائق الذي يلطُم خدَّيه خوفًا من المأمور.

فيمسك أحد الحرس يد السائق ويسير به داخل السيارة، ويلملم جثة زميله ويضعها داخل السيارة، ويدير السيارة عاكسًا اتجاهه إلى القسم، وعندما يقتربون من القسم يكون في استقبالهم المأمور الذين يخرُّون له توسلًا حتى يعفو عنهم، ويظل ناظرًا عليهم دون حديث، ثم يدخل إلى مكتبه قائلًا:

- اجمَعْلي القوة بسرعة.

يؤدي العسكري التحية ويسير خارج الحجرة، ويجلس المأمور بمفرده يفكر، ثم يخرج عن صمته محدّثًا ذاته (اللعبة عمرها ما هتخلص)!

***

الفصل الثاني

-1-

بعد مرور فتره قصيرة..

تم إعلان دستور 1923، وتمت المو افقة عليه من قِبَل بريطانيا التي بدورها أعلنَت مصر دوله مستقلة، إلا أن الإنجليز استمروا في مصر يمارسون حياتهم ونشاطاتهم كأن شيئًا لم يحدث.

واستمر الظلم والاستعباد من الخواجة للفلاحين بمساعدة المأمور، الذي استمر في أفعاله الدنيئة من نهبِ آثار وذَهَبِ القرية، وبيعه بثمنٍ بخسٍ للخواجة، ورعاية بيت المتعة الذي افتتحَه بمساعدة صديق الخواجة في هذا الوقت إبراهيم الغربي أشهر قواد في مصر من أصول صعيدية، الذي يمتلك في القاهرة فقط حوالي 150 منزلًا للغو اني.

واستغل الخواجة والمأمور خبرته في تهيئة البيت وإحضار الغو اني، ووضع من يقوم بإدراة المنزل؛ فقام بوضع الزمشري أحد معاونية الذين تعلموا على يديه.

يسير عفت الموردى راكبًا حصانه يتفقد أحوال القرية، ويسير أمامه عتريس وأربعة من الخفَر، ويقف كل فرد يسير يسلّم على عفت الموردي، وينظر عفّت على منزل كبير منسق بالألوان، منزل البغاء الذي افتتحَه المأمور بمساعدة مختار السياف الذي اختار طريق المأمور للانتقام من عفت.

عفّت ينظر غاضبًا ويتمتم في سره:

- عليكم لعنة الله، عيجِي يوم والقرَف ده يزول من وشّنا.

يكمل عفت طريقه ومعه الغفير عتريس يده اليمنى، يتفقد باقي أحوال القرية ليرى من يحتاج شيئًا ومن له مظلمة أو حقّ ضائع.

يقترب شخص يبكي ويجري على عفّت ويقبل قدمه:

- عايز أشتغل يا ابا العمدة، محتاج جاموسة أعيش بيها أنا وعيالي.

عفت بلا مبالاة:

-اصرفلُه جاموسة يا ولا.

عتريس بكل طاعة يصطحِب الشخص ويطبطب عليه، ويسيرا سويًّا في اتجاه حظيرة البهائم الخاصة بعفّت.

يصل عفت إلى منزله، يدخل المنزل.. يجلس على محرابه.. يتكئ على عصاه.. ينظر على زوجته صفية التي تزوّجَها بعد أن عرضتها خاطبة القرية عليه، وأخبرتهأأنها فتاة وحيدة ويتيمة، وأعجب عفت بجمالها؛ فهي جميلة مثل الأميرات.. عيناها السُّمر تتحدث عن نفسها، خصرها المتناسق يميل كمُهْرمتر اقص على أنغام المزمار، شعرها الأسود الحريريّ الذي ينسدل على كتفها، صفيّة تبدو كتمثال منحوت.. سبحان الخالق.

تدخل صفية مرتدية كردانًا ذهبيًّا من أسرة كليوبترا، وخلخالًا مثل الثعبان، وعلى رأسها تاج مرصع بالماس، تجلس أسفل قدم العمدة وتقبّل يده وهو يضع يده فوق رأسها بحب وحنان.

صفية تتحدث بدلال وشفتاها مقتربة من شفتَيه لتشعر بأنفاسه:

- أبَا العمدة.. اتوحَّشْتَك.

العمدة بعطف الأحبة، يختلس منها قبلة ويراودها بنفس أسلوبها:

- و آنِي كمان يا بِتّ اتوحَّشتك.

ثم ينظر لها وهو يرفع حاجبه بغضب، وعلى مظهرها الجذاب؛ فتنتابه الغيرة.

- بس.. كيف تهمّلِي بيتك وتِيجِي لحد هنا؟

صفية تُكمِل في دلالها، وتقف تداعب عينَيه بخصرها وهي تتمايل على عفت:

- قولت آجِي أورّيك الدهبات اللي جبتهالي عمْنَوّل.

العمدة بلهجة آمرة وقد غلَى دماء رأسه من الغيرة:

- تدخلي جوّا دارِك وماتخرجيش إلا أما نقولوا ميتَى تخرجي.

صفية لم تعطِي اهتمامًا لغيرته، وأخذت تتمايل عليه أكثر، ظاهرة فتحات صدرها له، وتقترب منه وتقبّل يده بحنان مداعبة عينَيه بالتسبيل:

- يعني الدهبات زِينة عليّا يا أبا العمدة؟

عفّت برضا وهو ينظر على صدرها ويبتلع ريقه قائلًا:

- زِينة وألف زِينة كمان، يلّا على الدار، همّلِيني دلوقت.

فتسير صفية من أمامه، ويجلس على الكرسي بمفرده، ونرى وجهه شاحبًا، فيدخل عليه الحلاق سعيد مقص مرتديًا بلطو أبيض، رجل سبعيني هزيل، في هذا الوقت كان الحلاق يتعامل معاملة الطبيب، يداوِي المرضَى في القرية وله قيمه وشأن.

عفّت يستشيره دائمًا، ويحضر له وصفات أعشاب ليستطيع إنجاب الولد الذي سيحمل اسمه ويمسك زمام أمور القرية من بعده ليصبح العمدة.

يجلس أمامه، يُخرِج من جيبه برطمانًا صغيرًا، ويمسك بعود كبريت ويفتح البرطمان، وبالقطعة الخشبية يعطي قليلًا من البرطمان للعُمدة عفّت.

عفّت بامتعاض يأخذ ما يقدمه له سعيد، وينظر له ويقول:

- كل يومين والتاني تيجي تقولي دي اللي فيها الشفا، انت ماشايِفْش السياف الصغير متجوّز اتنين، وحِدَاه بدل الصبي 6، هيجِيبْهم منين دول؟!

سعيد تختفي الضحكة من على وجهه ويحل محلها القلق، محاولًا أن يطمئنه، قائلًا:

- حكمة ربنا.

فيظهر على عفَّت الغضب، وبصوت خفيض يقول:

- ونعم بالله، بس برضيك يعني أنا لحد دلوقت متجوّز تلاتة وماجِيبْتِش فردة شراب حتّى.

سعيد يحاول تهدأته:

- هتجيب يا عمدة هتجيب، بس كله بالصبر.

عفَّت مفكّرًا ومحدّثًا نفسه:

- قالولنا بالصبر الحلو بيلِين، صبرنا كبر الأيام وبقى حلو امبارح طافح الكيل الحين.

يدير وجهه لسعيد ويبدو عليه الغضب:

- غُور من وشي.

يخرج سعيد من أمامه.

يجلس العمدة بمفرده.. تارة يفكر في حاله؛ فهو يريد الولد بشدة ليحمل اسمه ويكمل مسيرته التي ستنتهي بوفاته، وتارة في أحوال القرية، وماذا سيفعل مع عائلة السياف؟ وماذا سيفعل في بيت الدعارة المرخّصة التي أتَت بالخراب على الجميع؟

عفّت يحمل في صدره جمرة من النار التي إذ زفَرَها سينتهي العالم المليء بالقاذورات، يحاول كثيرًا التفكير والتدبر.. ماذا سيفعل مع كل هذه المحظورات التي فُتِحَت على أيادي الشياطين؟! وفي الناحية الأخرى الجميع يعلمون ذلك، ولكنهم يأمنوا شره بالتعاون المستمر مع بعضهم البعض، حتى أصبح شرُّ عفت فقط على نفسه، والمأمور والسياف والزمشري يلهثُون في بحر الظلمات ولا يشبعون مطلقًا.

***

-2-

بيت الزمشرى..

داخل الغرف..

تجد فيه جميع أنواع الخمور والمسكرات والمجُون، هو منزل لكل عاشق وكل شاب يريد أن يروي ظمأه، ويثبت قدرته كرجل قادر على إشباع الحسناوات وإعطاءهن المتعة، وأخذ متعته منهُنّ.

السرائر في هذا المنزل فراشها مُبعثَر من كثرة إشباع الرغبات، ورائحتها تفوح منها رائحة العرق الساخن الذي يتساقط جرّاء المتعة، مختلط بأنهارمن الشبق الذي يصِلُون إليه.

وتهدأ ثورة الرجال عند سيل هذه الأنهار إلى مجراها، وترتوِي منها الغانيات ويظلَلْنَ في السرائر غير قادرات على الحركة بعدَ كَمٍّ من الحركات والدَّفْعات اللا إرادية اللاتي حصلن عليها من العاشقين الذين جاءوا طلبًا لها.

خارج الغرف..

تخت لفرقة موسيقية شعبية، وأمامهم راقصة تتمايل على أنغام عزفهم، وتضحك لهذا وتغمز لذاك، وتتمايل أكثر فأكثر، وجميع الرجال يهيمون معها ويتغزّلون بجسدها وهم يستمعون إلى الكلمات التي تتراقص عليها.

ليالي السهر بتِحْلَى معانا... قالوا إيه و إيه يا حالولّي

لما دُوبْنا سوا في هوانا... قال كلام كدا يدخُل قلبِي

وفِ هوَاه رُحْت معاه... أصل هو اللي مكْتُوبلِي

وبين طيات الأغاني والرقص وغزوات الحجرات يخرج الزمشري يراقب كل ذلك.

الزمشرى رجل ثلاثينيّ من القاهرة، مهندم وسيم، له شارب رفيع، ضخم الجثة عريض المنكبين، قمحيّ اللون أشعَث الشعر، يرتدي جلبابًا ويضع فوقه بالطو، ويلبس طربوشًا يعتني به دائمًا، ويميل ناحية اليمين قليلًا، وعندما يبتسم ترى أسنانًا صفراء من شُرب التب،غ بجانبها سنتان ذهبيّتان قام بتركيبهما بعد أن دخل في عراك مع شخص وسحق له السنّتَين بلكمة من يده.

نجده يسير بين الر اقصات ابتسامته لم تتركه؛ فتقترب منه دُرِّية وهي تلفّ يدها على رقبته وتحاول إغراءه، فيهمُّ عليها قائلًا:

- إيه؟ المأمور قالّك إيه؟

تمضغ المستكة في فمها، وتقول بإغراء:

- ماقالش حاجة غير إن الليلة هنروح.

الزمشري يحتضن وسطها، ويقترب كأنه سيقبّلها، ولكنه يتحدث بهمس قرب أذنها:

- يبقى نروح، بس انتي مش هتروحي لأحْسَن أزعَل منك.

دريّة تقترب منه أكثر، وتعتصر رقبته بين يدَيْها:

- أومّال مين اللي هيروح؟

الزمشري يبعدها عنه قليلًا بابتسامة متفاخرًا:

- أنا يا دريّة.

دريّة تضحك ضحكة خليعة عالية، وتضع يدها على صدره:

- ألّا هو انت ليك في المأمور؟

الزمشري يمسك يدها ويقبّلها:

- أنا ليّا في أي حاجة بتجيب برَادِس.

دريّة تضع يدها على خدّه، وتقرّب شفتيها من شفتيه:

- طب بمناسبة البرادس.. فيه بنتين عندنا شهادتهم خلصت، وهما تعبانين وخايفين يروحوا الصحة.

الزمشرى يقترب هو أيضًا منها أكثر:

- نخلي الصحة تجِيلهم.

يقبل شفتَيْها قُبلة طويلة.

يقترب فرحات السياف وينظر للزمشري ودُريّة، وهما يتبادلان القبلات الحارة، ينظر كذئب جائع لجسد دريّة.

- مساء الجمال يا زمشري، عِندِيك إيه النهاردة؟

الزمشري يترك دريّة، ويمسك شفتَيها بأصبعيه.

- عندي السعد والهنا.. ودريّة.

فرحات ينظر لجسدها ويتفحصه مرة أخرى.

- لأ، ماسخة ومابتعرفش تحب.

الزمشري يبتسم ابتسامة خبيثة، ويشير لدرية بالذهاب، ودرية تنظر لفرحات بغِلٍّ ولكنها لا تستطيع أن تتكلم معه، والزمشري يكمل كلامه وكأنه يردح له قائلًا:

- مابتعرفش تبوس! فيه واحدة عند الزمشري مابتعرفش تبوس! دي حتى عيبة في حقي.

فرحات يغضب ويستكمل حديثه:

- يا عم ولا حقي ولا حقك، عايز بِتّ صبِيّة زِينَة زيّ عمنَوّل.

فينادي الزمشري ويشير لإحدى الفتيات..

- جميلة الجميلات وزِينة البنات.. فريدة بنت عدلات.

فتخرج فريدة.. فتاة في الخامسة عشر من عمرها.. جميلة و أنيقة، وتقترب من فرحات وتمسك يده، يدخل بها فرحات إلى الغرفة وهو يحتضنها ويقبّلها ويغلق الباب بقدمه، لتعود دريّة إلى الزمشري مرة أخرى بعد ذهاب فرحات، الزمشري يرفع حاجبه في غضب:

- أنا مش عايز حد يزعل يا دريّة، أنا هنا بيت الدلع والفرفشة.

دريّة تتمايل بجسمها على صدر الزمشري وتتر اقص.

- وبيت السعد.. ودريّة.

فتغمز له بعينَيها.

يشعر الزمشري باهتزازٍ خلف الستارة؛ فتلفت انتباهه لينظر عليها، يأخذ كأسًا ويدخل إلى الستارة، ويترك دريّة بمفردها.

يدخل الزمشري خلف الستارة ويجد المأمور؛ فيعطي له الزمشري الكأس، المأمور يلعب في شاربه:

- وصلتلَك الرسالة؟

الزمشري يرسم ابتسامة واسعة على وجهه قائلًا:

- وجهّزنا كل حاجة.

ومن هنا المأمور يبدأ أن يمسك زمام الأمور، ويقول:

- عايز أتدلّع قبل ما أسافر، وحاول توصل للمشترِي في أسرعِ وقت.

الزمشري يمسك بيد دريّة من خلف الستارة.

- الزمشري ودريّة خدّامين سعادتك.

فتقع دريّة أرضًا تحت قدم المأمور؛ فينظر المأمور على دريّة في نشوة، وعلى الزمشرى في عدم ارتياح لوجوده.

المأمور وهو ينظر على جسد دريّة ويسيل لعابه عليها:

- درية من دلوقتي بتاعتي يا زمشري.

الزمشري بفرحة كبيرة:

- خدامتك يا باشا تحت جزمتك.

المأمور يشير له بالخروج.

الزمشري يقف ويضع يده على رأسة احترامًا وامتثالًا لكلام المأمور في حركة مسرحية تدل على السمع والطاعة؛ ليهمّ الزمشري بالخروج من الحجرة، وينزل المأمور ويمسك يد دريّة بلهفة وشوق.

- أنا عايز أقولّك على حاجة.. جمالك سحَرْني وخلّاني أدُوب، ومش عايز أي حاجة غير إنك ترضي عني.

دريه تداعب شارب المأمور بأصابعها، وتلمس خده بحنان:

- يا جناب المأمور، ده انت الحكومة، ده سعادتك اللي ترضَى عنِّي.

المأمور يحتضن دريّة ويضمها إليه:

- أنا عايز أتجوّزك.

ويبدأ الاثنان في المداعبة ويجريا وراء بعضهما.

يقف الزمشري يستمع لحوار دريّة والمأمور، ونرى على عينَيه الضحكة الماكرة، ليسير خطوات بعيدًا عن الستارة، وعلى خيالهم يلتقط الزمشري أنفاسَه، ليجد دريّة توقفُه وهي تداعب شعره، وتقول في أسلوب فارسٍ يقود حمارَه:

- بس سعادتك.. أنا مش هعرف أكون مع الست الهانم في بيت واحد.

المأمور يمسك ذراعها ويقرّبها إلى حضنه؛ ليجعلها تشعر بصهد صدره.

- الهانم هتكون في بيت، والملكة هتكون في بيت.

تبتسم دريّة ابتسامة واسعة وقد تخيّلَت أنها مثل الملكات قائلة:

- أنا ملكة زي كدا الملكة نازلي.

المأمور يضم دريّة أكثر لحضنه، ويقبّل خدها:

- انتي قَدّ الملكة نازلي وعشرين زيها، قولتي إيه؟

دريّة بخبث:

- بس أنا ليّا شهادة.

المأمور يعتصر دريّة بين أحضانه:

- من النهاردة انتي ليكي الحياة، والشهادة دي تنسيها تمامًا.

ويهم المأمور بها وهي تحاول أن تبتعد، حتى يغمز لها الزمشري من خلف الستارة وتستسلم له؛ فيقبّل المأمور دريّة ويذوبان في قبلة طويلة، ويرتمي على جسدها ويسيل لعابه عليها، وينزع عنها ملابسها، ويسقطها

أسفل منه وتسقط مع ملابسها كرامته التي يتباهَى بها بين الناس، ومنذ ذلك الوقت الزمشري ابتدع حكمته القاتلة (على السرير كله بيبان، وبيظهر الطيب من الغلبان).

***

-3-

منزل عفت الموردي ..

يجلس عفّت ومعه عتريس والغَفَر.

عفت يجلس على كرسيه ويتكئ على عصاه، ويعقد حاجبيه والشرر يتطاير من عينيه، والغضب يعصف بعقله وتزيغ عيناه من شدته، حتى تظن أنّ الشيطان قد حلّ في جسده والعرق يسيل على جبينه.

عتريس الغفير ينظر له بخوف؛ فهو لم يرَه على هذه الحال من قبل، ولكن خوف عفّت على آثار وكنوز بلاده كان أقوى مما يعتقد عتريس.

مر الصمت ثقيلًا، لا يقدر أحد أن يفتح فمه قبل أن يتكلم عفّت، حتى تكلَّم بصوت يملأه الفحيح:

- بص يا واد يا عتريس.. تراقبولي زِين المأمور من أول ما يخرج من بيت النجس الل اسمه الزمشري وتنفذوا المصلحة دي الليلة، تجيبوا الدهبات كلها.

عتريس بخوف من مظهر عفّت:

- هنجيبوها بالسرقة يا عمدة؟!

عفت ينفعل ويمسك عتريس من ملابسه:

- مش أحسن ما كنزنا وحضارتنا تروح في إيد البغايا والعرايا ويستفيد بيها صحاب الأصول النتنة!

عتريس يتراجع للخلف، وينظر لعفت نظرة طاعة:

- عندك حق يا عُمدة، كلامَك زِين وموزون.

عفت بلهجة آمرة:

- يلّا اتكلو على الله.

فيسير عتريس والغفر، ويجلس عفت بمفرده؛ فتنادي عليه صفية بدلع:

- أبا العمدة.. يا أبا العمدة.

عفّت ينظر لها، ثم يشير لها بالدخول:

- تعالِي يا صفية الدار أمان.

فتدخل صفية كالبدر، وتقف أمام العمدة فيقف لها.

عفَّت ينظر إلى جسد صفية وإلى قوامها الممشوق، ويتغزل بها، ثم يحيط ذراعيها بيديه:

- بسم الله ما شاء الله، تبارك الخلاق فيما خلق، حلويات دي ولا إيه!

صفية من الكسوف وهي تنظر إلى الأرض:

- خجلتني يا عمدة.

عفت يسحبها ناحيته وهو ينظر إلى عينيها:

- دي طلّتِك عليّا خلَّتني نسيت إني عايش أصلًا، لهو أنا في الجنة ونعيمها ولا إيه يا ولاد؟

ثم يحتضنها.

صفية بخجل:

- يا عمدة، احنا في مجلس العمدة، لينا دار.

عفت يضحك ويقبّل خدها:

- يا بوووي.. ده بعيد واصل!

عفَّت يحملها كفارس يحمل غنيمته:

- و انتي مايصحّش تمشي على رجلك الحلوين دُول.

صفية بدلع وهي تُحِيط يديها حول رقبته:

- يا أبا العمدة.. طب كُنت عايزة أقولّك على حاجة.

عفت بغزل:

- قولي يا لهطة القشطة.. يا حتّة مهلبية متعاصة جوز هند، قولي يا وردة في قلبي.

صفية تتكلم بصوت مليء بالحنيّة:

- عايزة حتة أرض صغيرة كدا أأمِّن بها مستقبلي.

عفّت يضحك ضحكة عالية، ثم ينظر إلى عينيها بحنان كل أحبّة العالم وهو سارح في جمالها القاهرِيّ، وشعرها الأملس الجميل، وعينَيها الزرقاوتَين كموج البحر وكأنها تسكره، ويقول لها:

- حتة واحدة؟! ليكي مني خمس فدادين، بس تجيبِيلي الصبي الليلة.

صفية:

- احلم و اتمنَّى يا عمدة، و أنا عليّا تحقيق الحلم.

عفّت:

- يا دين محمد بن عبد الله.

يقولها وهو يحملها بين ذراعيه مداعبًا خصرها ناظرًا في عينَيها، متناسيًا كل هموم القرية متمنيًا الأبوّة التي ردَّت إليه للتو، ذاهبًا إلى منزله معلنًا ليلة دخلته من جديد، وكأنه سيغزو المعسكر الإنجليزي في ليلة اكتمال البدر المنير في عين صفية.

***

-4-

في منزل الزمشري..

داخل حجرة الضيوف..

يجلس المأمور وبجانبه الزمشري، وتجلس دريّة مرتدية اليَشْمَك، ويجلس الشيخ منصور شيخ القرية ومأذونها في المنتصف.

الشيخ منصور في تأفّفٍ لدرية وهو لا يريد النظر ناحيتها:

- مين وكيلك يا عروسة؟

دريّة وهي تنظر إلى الأرض في حياء وخجل:

- ماليش بركة غيره، سي الزمشري طبعًا.

فينظر الزمشري إلى الشيخ منصور وهو يضحك ضحكة بلهاء:

- يعني تبقى في بيتي وحد يجوّزها غيري؟!

الشيخ منصور بتأفّفٍ وعدم رضا:

- مايصحش برضُه.. اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه، حط إيدك يا حضرة المأمور في إيد الزمشري.

فيضع الزمشري يده في يد المأمور وكأن التحالف عاد من جديد والعهد يردُّ أصحابه، الزمان يعيد إلينا وعد بلفور (وعد من لا يملك لمن لا يستحق)، هما الاثنان يعلمان أن القرية ما زالت بها كنوز لا بُدّ وأن تعود لهم، وهما من الأساس لم يملكانها، ولكن المأمور يشعر بأن بيت الزمشري على يد دريّة أصبح ملكًا له، وأصبح هو المتحكم في كل شيء فيه، ولكنه لا يعلم أن الحرب بدأت، و أنه في القريب العاجل سيُصبِح مجرد عروسة مارْيُونِيت تتحرّك وتأتمِر بأمر الزمشري، هكذا كان الوعد بعد أن أعطَى بلفور لليهود فلسطين، أصبحَت بريطانيا هي العدو الأول لإسرائيل، وأصبح التحالف مع القوى العُظمَى وقتها.. وهي أمريكا، وأصبحت بريطانيا مجرد مجموعة دول داخل الاتحاد الأوروبي، وهذا ما تم.. أصبح المأمور مجرد خادم في بيت الزمشري.

-5-

منزل السياف..

يجلس مختار السياف بجانب والده عبد الرازق، يتحدث بغضبٍ، ويضم قبضته بقوة وهو يبدو عليه الحزن:

- انتَ صغّرتنا قوي يا بُوي، وقلِّلت من ثروتنا يجي 100 فدان.

عبد الرازق بابتسامة ساخرة وهدوء:

- عايزنا البلد كلّها تتحاكَى علينا وتقول إننا مش قَدّ كلامنا؟!

مختار يزيد من انفعاله:

- بس عفَّت قالّك خمس تلاف جينه، مع إني بكرهُه إلا إنه معاه الحق في المرة دي.

عبد الرازق بصوت جهوري حاسم:

- والمأمور معاه رقبينا ومصالحنا اللي بيخلصهالنا، ماتنساش إنه بمعارفه بيخلّصلنا بيع المحاصيل اللي لُولاه كانت هتبُور.

مختار بحيرة وهو يمسك رأسه:

- ماخابرش يا بوي، الواد عفّت باين كدا متنصَّح وفاهم هو عَيِعْمل إيه، وقبل سابِق طلب منِّينا إننا نبقَى يدّ واحدة و انت اللي رفَضت.

عبد الرازق في شموخ:

- احنا عيلة السياف يا وِلد، وآن الأوان إن عيلة الموردي تُقَع وتاخد مكانها عيلة السياف، العموديّة طول عمرها في يدّ الموردي.

مختار والشرر يتطاير من عينيه، وكأن أباه أنار بصيرته للتو؛ فيبتسم لوالده ناظرًا له وهو يبادله الابتسامة يملؤها الخبث وهو يربت على كتف مختار:

- آن الأوان دلوقتي إننا نسيبه وحدِيه، ولما يقول حديت مانسمَعُوش لحد ما الكبير والصغير يعرف إنه مالوش كلمة ولا سعر، ساعتها نخرج احنا بقى ونفتح باطْنَا للكُل.

رافعًا يده، محدقًا بعينَيه في عيون مختار وكأنه يُعلِمُه ما لم يعْلَمْه ويُعطِيه من خبرته.

حينها يحيط الغضب عقل مختار ويظل على خطاه محاولًا إلهاء عبد الرازق بثبات عينيه، مختلسًا نظرة على الحجرة الخشبية التي أدرك أن بها محياه وثروة تبْنِي اسمه داخل السرايا؛ ليعتلي أعلى المناصب.

مختار يعي جيدًا أن عبد الرازق لم يجد فيه الثقة العمياء، ولكنه وجدها في نعمان ابنه؛ مما أثار الشكوك فيه، وكان على مختار فقط أن يسلِب وينهب ما يستطيع ويقدِر له، وكل ما غلَى ثمنُه وقل وزنه هو من حقه.

يقبّل مختار يد عبد الرازق، ويسير من أمامه ناظرًا على القفل الحديدي المتواجد على الغرفة الخشبية على يساره، ويستمر عبد الرازق جالسًا يفكر قليلًا في هذه الأحداث، ويسرح في ملكوته..

منذ الصبَى وأنا أسعى إلى تحقيق الذات، حتى منَّت عليّ الحياة وأعطتني فطنَة البحث عن الحرية، وعند وجودها علمتُ أن للحرية سجنًا كبيرًا يقتل عائلتي، كان من المفترض أن أبقى في مكاني لا أسعى إلى تحقيق الذات، كان من الأفضل أن أظل أبحث عن قُوتِ يومي لإبقاء أولادي على قيد الحياة.

ولكن الآن أصبحت الحياة تريني ما لديها من عبث.

يدخُل عليه نعمان مقبّلًا يده ويجلس بجانبه، وينظر عليه في تمعّن؛ ليجده سارحًا في الملكوت، ينظر على الحجرة الخشبية، ولكن هذه المرة يملأ صدره الغِلّ والطمع، وأنه هو فقط من لديه خيرات الخزائن، وهو فقط من يعلم كل شيء عن الكنز المكنون في تلك الحجرة.

وكأن الحجرة هي الجنة التي ينجذب إليها كل ساكني المنزل، جميعهم ينظرون عليها متمنّيين أن ينهبوها، كل فرد فيهم يتمنَّى لو يستحوذ عليها بمفرده؛ لينعم بالخيرات ويزيد من اسمه ويُعلَى منصبه.

نظر أسفل قدميه.. يلعن في ذاته العزوة التي ترعرت في أعمارهم، متناسين أنها من حقهم وهم الورثة الحقيقين لتلك الثروة.

دائمًا للمال شهوة تتفنَّن في إظهار مفاتنها؛ لتتحكَّم في العقل لتحسين وإشهار ما يمكن الحصول عليه من ذلك المال تحت أي مسمي، وعند تمكين شهوة المال من ما يريدها يبدأ في التلصّص كيف يحافظ عليه؟وكيف يبني ويُعلِي في ذلك؟وكما في الأمثال (طمعنجي بَنَالُه بيت.. فلسَنْجِي سكنلُه فيه)، وها هي الحدوتة.. الطمع سرق عمر عبد الرازق للنيل من مدخرات الأرض لنفسه فقط، و أتى المفلسون أولاده ليسكنوا في ذلك ويتحكموا فيه تحت أي مسمًّى.

ويظل ينظر مختار من خارج الحجرة على نعمان وهو يجلس بجانب والده، وينظر على يده الموضوعة على الصديري الذي يحمل مفاتيح الجنة من وجهة نظره.

***

-6-

منزل الموردي..

داخل حجرة العمده الخاصة بالدوار..

يدخل العمدة عفَّت الموردي إلى الحجرة، ليجد عتريس نائمًا على صندوق خشبي؛ فينظر عفت عليه ويقترب ناحيته بهدوء، وينظر للصندوق مرة أخرى، يبتسم ابتسامة تنم عن النصر، وبهدوء يضغط على كتف عتريس.

يستيقظ عتريس وهو في ذهول، وينظر حوله ليجد عفّت أمامه؛ فيقف منتبهًا سريعًا يحاول إخفاء التثاؤب واضعًا يده على فمه.

فيحدّثه عفَّت قائلًا:

- روح نام في بيتكم، النهاردة راحة.

عتريس يفرك عينيه من أثر النعاس:

- المهمة تمّت كِيف ما أمَرت جنابك، بس صِعبوا عليّا العساكر اللي كانوا شايلنها.

عفَّت تعلو شفتَيه ابتسامةٌ ساخرة وتملأ الثقة كلماته:

- هي أول مرة! ماتقلقش.. المأموريخاف يأذيهم.

عتريس يرفع يده بالتحية لعفَّت.

عفت يشيرله بالانصراف وهو ينظر للصندوق نظرة المنتصر قائلًا:

- بالسلامة.

يقولها عفَّت وهو يقترب من الصندوق في خطوات ثابتة، ومن ناحية أخرى يسير عتريس تجاه الباب ويخرج من الحجرة.. خطوات قليلة فيها يرتعد قلب عفَّت حتى يصل إلى الصندوق، ويمسك بحديدة ويدبها في قلب الصندوق، ويطرق عليه ليُفتَح الصندوق وكأن مغارة علي بابا تُفتَح

أمام أعين عفّت للمرة الألف، ناظرًا على ما به من خيرات الأرض، ناظرًا في لهفة.

تماثيل ذهب وكردان ذهبي من أسرة واحدة، على وجهه ابتسامة الانتصار للحفاظ على الكنز من السرقة، يذهب مسرعًا ويغلق باب الحجرة، ليعود وفي اتجاه حائط بالغرفة يقترب منها ويزيل المُوكِيت عن الحائط، ويزيح الحائط..

كهف مظلم من الداخل يظهر، ذو سلالم خشبية تبعد عن الأرض، ويقترب من الصندوق ويجره على الأرض، ويشعر أن الأرض أصبح لها ضجيج، ويحمله مرة واحدة على كتفه وينزل على السلم الخشبي الذي يعلو صوته وكأنه سيُكسَر من الثقل، حتى يدخل إلى الكهف ويُلقِي بالصندوق أرضًا، ويصعد ليزيح الحائط من الداخل ليغلق على نفسه.

عفَّت داخل الكهف يجر الصندوق الخشبي من ثقلِه على الأرض، حتى يضعه بجانب حائط.. ذاهبًا إلى لمبة الجاز ويشعلها، لتكشف عن ممتلكات عفَّت المرصوصة كلوحة ذهبية تسحر الأعين، يمسك الصندوق ويفتحه، ويرمي الأقش العلوي الذي يُخفِي القطع الذهبية، فيمسك من الصندوق بقطعة ينظر عليها بنهم مبتلعًا ريقه مبلّلًا شفتَيه، ويضعها على السور، ويمسك الكردان وينظر عليه بلمعة عين ويعلّقه، ويظل يرتّب ما بداخل الصندوق، وعلى ضوء لمبة الجاز بإضاءتها الصفراء المتناثرة على أنحاء الحائط يقف عفَّت متوسّطًا التماثيل والآثار كالملك صاحب الإرث في المقبرة الأثرية.

على صعيد آخر تجلس صفية خارج الحجرة ناظرة على الموكِيت الملقَى أرضًا، وتصعد مسرعة مهرولة، وعندما تسمع خشخشة صندل عفت تجري مسرعة.

تصعد إلى أعلى ممسكة بالجالون ساكبة قليلًا من الماء على شعرها، تدخل إلى الشرفة وتجلس على المنضدة، ساحبة شهيقًا وزفيرًا بسرعة

حتى يهدأ أنفاسها، ثم تمشّط شعرها وتتغنّج في هدوء أعصاب، ناظرة يمينًا ويسارًا بطرف عينَيها حتى تهدأ أنفاسها.

ثم تنظر من شرفة غرفتها على منزل الزمشري، ليقابلها في الشرفة الخاصة بالزمشري فرحات السياف، الذي ينظر لصفية بنشوة محاولًا لفت انتباهها ويبتسم لها.

صفية تنظر له وتبتسم هي الأخرى، وتقف تتراقص بخصرها أمامه.

تدخل إلى الحجرة، وتقابل عفّت الموردي الذي أنهكه التعب فاردًا ظهره على السرير، وهي تقف أمامه قائلة:

- سي عفّت وحشتني.

ينظر عليها في تعب وكأنه كان يضاجع أربع نساء في مرة واحدة، يرد والعرق يسيل منه:

- و أنا كمان اتوحَّشْتِك.

فتقترب منه وتجلس بجانبه محاولة إغراءه، ولكنه يشعر بالاكتفاء النفسي والجنسي وقد حل عليه التعب، ناهضًا بنفسه إلى الجانب الآخر قائلًا لها:

- تصبحي على خير.

ناظرة له نظرة احتقان عاقدة شفتيها فوق بعض، مشاورة بيديها حسرةً على خيبات الليلة، تذهب إلى الشرفة وتجلس على الأريكة ناحية شرفة الزمشري، هو وحده من يستطيع رؤيتها، رافعة ذلك الجلباب الزركشيّ التي ترتديه كاشفة عن فخذيها، مداعبة إياه بحاجبَيْها ملقية إليه قبلة هوائية؛ فينظر الزمشري عليها بنهمٍ مداعب شاربَه لها مبتسمًا في هدوء.

وكأن الوقت يعلن عن ذاته، الطبول تزفّ أروقة الحروب؛ فالبغاء يسيطر على الجميع.. حتى البيوت وسكانها! الزمشري له أعين في كل بيوت القرية، يعرف ما يدور بداخله ومن أين تؤكل الكتف؟ وعند لحظة ما

سيعلن الزمشري ذاته، وينهب كل ما في القرية، ولكن دائمًا يبقَى النحر هو مَن يقتل شرور المكيدين.

***

-7-

الساعات والأيام التي تأتي فيها الحروب تمرُّ، ويكون الجميع على أهب الاستعداد، يستعد الجميع للحفاظ على النفس للنجاة وليس شيءٌ غيرها.

في منزل الزمشري يجلس فرحات السياف يلعب البوكر، ثم يدخل إليه الزمشري والشمس تدخل إلى المنزل، ونرى الشاي على الطاولة، ويمسك فرحات كوبَ الشاي.

- ألا قولِّي يا زمشري، انت شُوفت مَرَت عفّت الموردى الجديدة؟

الزمشري يفهم ما يريد فرحات، ويرفع حاجبه ويكمل شرب الشاي:

- مابحبّش أتكلّم في الشغل الصبح.

فرحات يلكزُ الزمشري في كتفه لكزة بسيطة:

- يا جدع حدِّتْني زين.. شُفتها؟

الزمشري وقد وصل لمبتغاه، ويوجد شبح ابتسامة على شفتيه:

- آه شُفتها.. اشمعنَى؟

فرحات وهو يعدّ طاقيته وشالَه، ويهندم ملابسه، ويضع قدمًا فوق الأخرى:

- ماعندَكش واحدة زيّها؟

الزمشري بخبث الذئاب:

- انت شُفْتها؟

فرحات يسقط كبريائة أمام الزمشري، ويسيل لعابه ككلبٍ وجد عظمة.

- وقلبي فط وراها كِيف الأسد ما بيقطَع الغزالة.

الزمشري يضحك، ضحكته تنُمّ عن فوزه بما أراد.

- طب واللي يجيبْهَالَك هي؟!

فرحات ينظر للزمشري وقد اتّسعَت عيناه، حتى ظن الزمشري أنهما سيقعان من محجريهما، وقد سال لعاب فرحات أكثر.

- لِيه نص فدان، دي مرَت العُمدة، يامَا نِفْسِي أعرف أجيب مناخيرُه الأرض.

وهنا قد ابتدت الحرب، ولكنها الحرب التي تحمل طيّات العار، عاصفة تكاد أن تقضِي على الأخضر واليابس ستأكل كل مَن يفكر أن يغوص بداخلها، إنها عاصفة الشرف التي سينغمِرُ في وحل الزمان ويقضِي على كل إنسان يحاول التقرب منها حتمًا سينتهي عمره بخسارة الرهان، ويبقي السر مع شخص واحد فقط.. هو الزمشري الذي يتفنّن في سماع الآخرين، وهويمسك كوبَ الشاي ويكمل شربه، ويتكئ إلى الوراء بأريحية، ويبتسم ابتسامة النصر والفوز بما أراد وقد وصل لمبتغاه من فرحات.

- خلاص، تبقَى عندك في أقرب وقت، جهز النص فدان.

الزمشري كسب المال، وجعل الجميع يخسرون العرض والأرض، ينصب شباكَه ليُوقع بأهل القرية ويجعلهم يلهثون في بحر الظلمات.

***

-8-

داخل غرفة صفيّة بعد مروريومين..

نجد صفية تقف في شرفتها، والزمشري يقف في شرفة منزله، تشير له بالقلم الأحمر الخاص بشفتَيها وتظهرُه له.

قبل 3 أيام..

صفيّة تقف تتلصَّص على عفت وهو مع عتريس في غرفته الخاصة، وتنظر على الموكيت، وترسم على الحائط بالقلم الأحمر الخاص بشفتَيها وتعلم حجم الحائط، وعند سماع خشخشه صندل عفَّت تجري مسرعة.

تعود صفية من ذاكرتها وتقف بمفردها، ونظرة عينَيها يملؤها الجشع، تفكّر في ماذا ستفعل في نصيبها الذي ستأخذه من الذهب؟! تحلم بالسرايا، وأيضًا تحلم بأنها أصبحت ملكة متوّجة تمتلك قصورًا وسيارات، ويرتمي تحت قدمَيها من الرجال ما يُشبِع رغباتها، وما يجعلها تشعر أنها ليست أمة لدى الزمشري، ومن يُريد رحلة البحث عن نشوته بين فخذيها، نعم.. هي تعلم قوتها، وتعلم أيضًا أن تلك القوة تحت رحمة مَن لا يرحم.

وتظل تحلم وترسم أمنيات الحياة الوردية، حتى يقطع تفكيرها همهمات نداء إحداهن عليها، وتخرج صفيّة رأسها لتجد "رضا" فتاة عشرينية صديقة صفيّة تقف في انتظارها، وتتحرك لتحضرها لغرفتها، وتنظر يمينًا وشمالًا خوفًا من أن يراها أحد، وبالطبع يكون مَن ينظر ويستكشف دون أن يراه أحدٌ، نعم هي مسرورة التي تقف وتراقب صفيّة، لتجدها تنزل وتسلّم على "رضا"، وتدخل بها وهى تتلفّت يمينًا وشمالًا إلى حجرة الضيوف؛ فتذهب مسرورة إلى اتجاه حجرة عفّت وتطرق الباب.

تجلس رضا بجانب صفيّة، وتهمس لها بنبرة شيطانية:

- إيه عملتي إيه؟

لتجيبها صفية وكأنها امتلكت زمام الأمور؛ ففي هذه الأحيان صفية صدّقَت نفسها، وكما قيل في السابق.. احترس من الأنثى إن عرفَت مخالبها و اتقِ شرورها.

- كله تحت السيطرة، وهتبقَى تمام جدًا لو عملت اللي العُمدة عاوزُه.

رضا تعقد حاجبِيها بقسوة بعدم فهم مقصد صفية:

- إيه هو؟

صفية تنظر يمينًا ويسارًا وتهمس في أذنها:

- عايزة أحبَل.

قالتها صفية وهي على يقين بأن بذلك ستنعم بما يمتلكه عفّت بمفردها، ولم يكن للذين مكروا أن ينعموا بالعهد مثل الزمشري، ومنذ أن قالتها صفية ورضا تفتح فمها للحديث، ولكنك تظن أن الشيطان هو الذي يتحدث بدلًا منها، وكأنها تأمَن شرورها تجاه الزمشري وليّ نعمتها، وهي تعلم أن الزمشري سيتمكّن من إبقاء العهد كما كان، وسيكون لصفية الموت المحتوم، فردت عليها قائلة:

- بسيطة، أنا جايّالك في نص فدان للزمشري، ومصلحتك فيه 50 جينه، غير اللي هتاخديه، وطبعًا أكيد هيحقّقلِك مرادك، ما هو صبي عفي! قُولتِي إيه؟!

صفيه تستقبل الحوار بابتسامة امتلاك، وتؤكد على الحوار، وتريد أن يعاد لها مرة أخرى.

-إيه؟!

رضا تهمس في أذنها كهمس الشياطين:

- انتي مطلوبة بالاسم، عيّل عفِي صبي وِزْوِر.. لسَّه بخيرُه.

صفية تنتفض وترجع إلى الوراء وهي تفكر:

- عايز اني أحبل في الحرام؟

رضا تنظر لها نظرة تُسكِت صفية، وتشهق وتعود برقبتها إلى الخلف:

- وهي جديدة عليكي؟

-اششششششش بس أنا الأول ماكُنتش متجوزة، إنما دلوقتي أنا مرَات العمدة.

تقولها صفية وهي تحاول أن تجد مكيدة في حوارها مع رضا، أن تجد مبررًا لتفوزباللذات؛ فتنظر لها رضا ساخرة وهي تمصمص شفتيها:

- مرات العمده هنا آه، إنما كلنا تحت طوع الزمشري، ده اللي بيصرف على أمك و أبوكي في القاهرة، ولا نسيتي؟!

وعندها تعود صفية من أحلامها الوردية، وتتذكر والديها خائفة (مانسِتش) وترتعد خوفًا عليهما من بطش من لا يرحم أجساد الفاتنات، وهما اللذان يمتلكان مفاتن الحياة الدنيا، فما بالها بوالدها ووالدتها.

ومنذ تلك اللحظه عادت شاحبة الوجه، تنتظر الأمر من مأمورها، والذي يمتلك محياها ومماتها، لتقاطعها رضا مرة أخرى بلهجة آمرة:

- يلّا جهّزي حالك عشان هنعمل اللعبة اللي بِيها تنُولِي المراد.

تنطر صفيه على رضا في مداعبة حاجبيها عاقدة شفتيها فوق بعضها، وتذهب خلف رضا كالبهيمة التي تحرثُ الساقية مغمضة العينان.

وفي جانب آخر داخل تلك الحجرة الملَكِيّة التي يمتلكها عفّت الموردي يقف يرصُّ تماثيله ويتغزل بهم، يمسك ورقه مكتوب عليها رقم 54، يذهب خطوات لينير اللمبه الجاز على كل التماثيل المرصوصة تباعًا بجانب بعضهم، ويضحك عفّت فرحًا، ويخرج من الحجرة الملكية، ويصعد على الدرج الخشبي المتهالك، ويزيح الحائط ويخرج عفّت ويضع الموكيت من الخارج، فيلتفت ليجد مسرورة وراءه؛ فينزعج عفت ويعود إلى الوراء، ويأخذ استعداده لضرب الشخص الموجود، لكنه يفطن إلى أنها مسرورة.

- إيه يا مسرورة! رعبتيني!

فتنظر مسرورة بعينه ويحدق بها، ويقرأ ما بهم..

مسرورة تسمع فقط ولا تتكلم، وهي التي ربَّت عفَّت منذ الصغر؛ فيفهمها من لغة عينَيها، وفي تلك اللحظات ارتعَدَ عفّت خوفًا وخجلًا، ويجلس على الكرسي الخاص بالعمودية واضعًا يده على رأسه من خيبات حظه والعار الذي سيطول اسمه وعرضه، وبالكاد سيخسر كل شيء على أثر ذلك.

تظل مسرورة تمسك برأسه وتحدق في عينيه بما سمعته من صفية ورضا، حتى يدبّ الشر من عينَيه، وقد تبدّل وجهه إلى الغضب والحنق، واحمرت عيناه والشرر يتطاير منها.

- مرتي؟! طب ليه تِيجي من عند الزمشري عشان تضحك عليا؟!

يوجه السؤال لمسرورة وهو يضرب بعصاه في الأرض، ومن تلك الطقطقة الخشبية التي تهتز من تحته ينظر على تلك الحجرة وعلى الموكيت، ويعلم أنهم نصبوا له الشَّرَك لكي يقع في طيّات الغدر.

وحين مرَّت دقائق معدودة إلا أن تكون الحياة قد حان دورها أن تُبدِي اعتراضها على ما يحدث، ليعود الحال على ما قد سلف، ولكن عملًا بقول (لا يغير الله ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم) تيقَّن عفّت الموردي أن حان وقت الأجل، لينهض من مكانه مسرعًا خارجًا من منزله، مسلّطًا عصاه على منزل الزمشري دون التحدث إلى أي أحد، لينظر عليه الجميع متسائلين ماذا يحدث؟!

***

-9-

منزل الزمشري..

المأمور يطرق الباب بقوة، وتقترب إحدى الفتيات لفتح الباب، وعند فتحه يندفع المأمور إلى الداخل وهو في حالة غضب كبيرة مناديًا على الزمشري، ويسير خطوات ويصب كأسًا ويشرب، ثم الآخر، ويصب كأسًا ثالث يليه الرابع، حتى ينزل الزمشري مُرحّبًا به، وعلى وجهه ذلك الغرور السمج قائلًا:

- أهلًا يا جناب البيه، مالك متعصب قوي كدا ليه؟!

المأمور ينظر له وهو يعقد حاجبيه من الغضب:

- الحاجة اتسرقِت يا زمشري.

الزمشري يتظاهر أمام المأمور أنه لا يعلم شيئًا؛ فاردًا يديه رادحًا له:

- نعم نعم! اتسرقت؟! وده معناه إيه؟

المأمور يوجه اتهامًا إلى الزمشري قائلًا:

- معناه إنك بعَتّ حد ورا العساكر عشان يسرق الحاجة وتبِيعْها لحسابك.

الزمشري نافرًا من كلام المأمور، ويتحول وجهه إلى الغضب:

- آه، هي بقت كدا؟

المأمور يرتبك من رد فعل الزمشري ناظرًا في عينَيه متسائلًا بنفس صيغته:

- هي إيه دي اللي بقت كدا؟

الزمشري بسخرية:

- داعِب الرقاصة تلهِيك واللي فيها تجيبُه فيك، وماتخافش من الحرامي خاف من الحَامِي.

المأمور بحنق وغضب يفهم ما يدفنه الزمشري في حديثه نافرًا من ذلك.

- احترِم نفسك، انت بتكلم مأمور القرية.

الزمشري بصوت عالٍ يعلو على المأمور ويحدّثه:

- وأنا اللي مشغّل القرية باللي فيها وعارف القرد مخبي ابنه فين، والحاجة مادخَلِتش القرية تاني من بعد ما خرجت منها.

فينظر الزمشري على صفية التي تجلس بجانب فرحات وهما يشربان الخمر، وتبتسم له مداعبة عينَيه، يدخل عفَّت الموردي بمفرده وكأن طبول الحرب أَعلَنَت للتو بدايتها، ويقاطع تلك الطبول ضحكة عفت الساخرة:

- يا أهلًا وسهلًا.

ينظر المأمور على عفّت مشاورًا عليه، وإذ أن المأمور قد فهم أن عفَّت هو من أخذ الآثار، يهز الزمشري حاجبَيه كالراقصة، تنتفض صفية لوجود عفّت، ويظل فرحات جالسًا، يحدثه بسخرية لسانه:

- ماجِيتش ليه بعد عشر دقايق؟ كنت تلاقي مرتَك في باطي!

عفّت ببرود غير معهود:

- لا، ما أنا جيت قبل العشر دقايق عشان أورِّيكم نار جهنم قبل ما تروحوها، والحمد لله المأمور اهنِيه عشان يبقَى شاهد على قضية الزنا، ولا إيه يا جناب البيه؟!

وهنا عملًا بمثل (جت تصيده يصيدك) يرد الزمشري على عفّت:

- زنا إيه يا عنيا؟! ماعنديش الكلام ده، البيت ده مُرخّص ورخصته بتتختِم من عند جناب المأمور، ومفيش واحدة هنا مالهاش رُخصة.

صدى هذه الكلمات على أذن عفت كالصاعقة، جعلت عينه تشيط من الاحمرار والغضب، محاولًا سؤال الزمشري بنبرة يملؤها البكاء المكتوم:

- على اكْدِه مرَتِي كمان ليها رُخصة؟

الزمشري يكمل سخريته وحديثه متفاخرًا:

- وسارية كمان يا عنيا.

وهنا قد انتفض البركان في قلب عفت قائلًا وعقله شارد:

- يبقَى زين.

نافرًا لتلك العهود السابقة معلنًا الحرب الكبرى على الجميع، حتى المأمور، ويخرج من المنزل ويقابله فرحات من الشرفة صارخًا:

- مرتك معاها رخصة يا عفّت، وكمان عشر دقايق هتكون في باطي.. ههههه.

عند خروج عفّت من المنزل وقد اشتد غضبه ومُلِئ وجهه، وكأن الأسد خرج من عرينه معلنًا لحظة الاصطياد وموت الأخطاء في تلك اللحظه قائلًا بصوت عالٍ جهوري:

- اجمعوا.

يأتي أهل البلدة على صوت عمدتهم.

- يا أهل البلد.. يا أهل النخوة.

يسير عفت ويقف في وسط الطريق أمام الترعة، رافعًا يده بصوتٍ ويقف الجميع مستمعًا له:

- الخاطي اللي اسمه الزمشري، والمأمور حامي الحمَى جوّا البلد، مواطئين مع بعض.. بيجوزونا البغايا..

يستجمع حديثه كاتمًا دموعه:

- مرَتِي كات شورة المأمور، وهو اللي قالّي إنها بتّ حسب ونسَب، و أتاريها بت زنا، وأسرار البلد هتروح في باط الإنكليز، وفلوس البلد يا حاج عبد الرازق في كروشهم، النخوة انتهت لما كلّكم و افقتوا على بيت النجس ده، أنا مرَتِي جوّة يا حاج عبدالرازق، وولدك كمان متواطئ معاهم.

الانفعال يزداد على وجه عبد الرازق.

مختار يقف أمام عفّت في تحدٍّ قائلًا:

- كفاية خربَطَة يا عفت، ماتقوّمْهاش حريقة.

عفّت ينظر له نظرة يرتعش منها جسد مختار، ويبتسم ابتسامة ساخرة، وإن دلَّت على شيء فإنها تدل على أن الشيطان بداخل عفَّت قد استيقظ.

- الحريقة قامِت من يوم ما إبليس حطّ كفوفه على أرضنا الطاهرة، والبغايا والعرايا بقى ليهم متْوَة غير المقابر. النساوين بدل ما نقتلْهُم بقوا بيلفُّوا علينا ويتجوزونا.

الزمشري في شرفته يتحدث في خوف:

- كفاية يا عمدة كفاية؛ لأن كل بيوت البلد جوّاها نسل جِه من الجوازات اللي أنا جوزتهالْكُم.

عفت وقد وصل لمبتغاه وجعل الزمشري يعترف بلسانه:

- وشهد شاهد من أهلها. اللي تابت ربنا يسامحها وبيوتنا مفتوحة، إنما اللي ولَفِت عشان تطلع الأسرار يبقى التراب أَوْلَى بيها.

وبعد أن قيلت هذه الكلمات التي وقعَت على أذن الجميع، وسمعها كل من يسكن قرية المنارة، يشعل عفَّت خشبة من النار وعلى رأسها قطرات البنزين ويقذفها على الشرفة، وتبدأ الوهلة الأولى في منزل الزمشري، وتلامس النار خشب الشرفة، ثم يقترب رجال القرية يحرقون المنزل حتى يشع من المنزل بقعة النار، ويلاحظ الجميع تآكل كل حبات الطين التي شُيِّد بها المنزل، ويخرج فرحات محترقًا؛ فيصرخ مختار محاولًا الاقتراب من أخيه، ويمسكُه أهل القرية ويمنعونه، ليصرخ:

- فرحاااااااااااااااااااااااااااااااااااااات.. أخووووي.

عبد الرازق يصرخ وينادي على فرحات، ويناشد عفّت بترك ولده.

عفَّت بنظرات شيطانية وكأن الشيطان تجسَّد في شكل عفَّت على الاثنين، ويعُمّ الصراخ على الكبير والصغير في القرية.

يصاحب الحدث صوتُ عفّت:

- كانت أول حريقة في البلد بتقوم، وبعدها ابتدا التاريا كل في الكل.. الكبيروالصغير.. ماخلّاش.

***

الفصل الثالث

-1-

ينتشر الحريق وكل واحد يجري في اتجاه.. من يجري ليحضر المياه ليطفئ النار، وآخرون يقفون ليشاهدوا ما يحدث دون تدخل، والبعض يهلّل مستغيث بالله أن يرحمهم، وبين كل هذا وذاك عائلة السياف تبكِي على ما ضاع منها، ولا يتبقَّى غير أعين عفّت الحمراء التي يتطاير منها الشرر، حتى أنك تظن أنها أعين من داخل الجحيم.

يجلس عفَّت متذكرًا ما حدث في ذلك اليوم، ناظرًا على تلك الحجرة اللعينة التي جلبَت الرماد إلى قريتهم، ليقترب من تلك الحجرة ويزيل الموكيت، ويرفع الحائط ويدخل يمسك بمخطوطة ويحاول أن يسرد ما فيها..

"النهاية لا تعني الخلاص، ولكن قد تكون النهاية هي بداية جديدة لورث الدم؛ فقد انتهى عهد البغاء والغانيات، ليبدأ عهد الدم والثأر الذي هو دائمًا بداية لنهاية كل شيء".

وكأن التاريخ يعيد ذاته.. عفَّت والملك الذي كتب تلك المخطوطة وجهان لعملة واحدة، ولكن مع اختلاف الزمان والمكان، ليلقي بالمخطوطة على الأرض ناظرًا على التماثيل.

ومرَّت الأيام والشهور وسنوات ثقيلة، والقرية أصبحَت لا تعرف إلا الحزن.

وكان الحريق لمنزل الزمشري وحرق فرحات السياف بداية الثأر بين عائلة السياف وعائلة الموردي؛ فلا يمرّ يوم إلا ونجد قتيلًا من إحدى العائلتين، أو يقوم شخص مجهول بحرق محصول أحد الاشخاص، وأصبح الجميع في القرية خائفًا ومترقبًا لمصيره.. هل سيموت أم سيعيش؟!

اتّشحَت القرية بالسواد، وأصبح في كل منزل بالقرية قتيل لا يعرف بأيّ ذنبٍ قُتل؛ فقد كان ذنبه أنه فرد من إحدى العائلتين الكبيرتَين في القرية.

عفت الموردي يركب حصانه كالعادة، يمر على القرية ليباشر شؤونها، حتى رأى فتاة صغيرة جميلة بيضاء كالثلج.. شعرها الأسود الناعم كالليل.. وعيناها الصغيرة السوداء تزيد من جمالها، إنها عائشة ابنة محمد أحمد الموردي أحد أبناء عمومة عفّت الذي قُتِل نتيجة الثأر، وتركها هي وإخوتها.

أَعْجَبَت عفت لدرجة أنه قرر الزواج منها، رغم أنها ابنة التسع سنوات فقط وهو قارب على الثلاثين من عمره، ولكنه أصَرّ على الزواج منها ليربّيها على يديه وتكون طوعًا له، وينجب منها الولد الذي سيحمل اسمه؛ لأنه لا يريد العودة لتجربة صفية مرة أخرى.

فرأى في هذة الفتاة الصغيرة مستقبلَه، وأنها ستُنجِب من يحمل اسمه ويُكمِل مسيرته، وبعد عدة أسابيع تزوّج عفَّت من عائشة، وفرحت الأم وفرح الأهل بالمهر الذي قدمه لهم عفت؛ فقد كانت هذة الحقبة من الزمن لا يبالي الأهل بسن الفتاة، بل ينظرون فقط إلى ما يقدّمه العريس لهم، وعفَّت لا يمكن رفضه لقوته وسلطته وسطوته وماله.

ومن هنا بدأ عفَّت حياة جديدة مع عائشة التي كان يعلّمها كل شيء على يديه، وأصبحت زوجة وابنة له تمشي وتأتمر بنظرة عينَيه، وظلت خير مَن رأت عينَ عفّت حتى أنسَتْه الماضي الذي جعل قلبه ينتفض بالوجع، وظل يعشقها ويحيا بها يومًا بعد الآخر، إلى أن أصبحت فتاة شابة تستطيع أن تحمل في رحمها الوريث؛ فقد حملت مرات ومرات ولم يكتمل حملها.. حتى عام 1940م.

ومع بداية الاحتلال الإيطالي لمصر من جهة الحدود الليبية، كان الإيطاليون قد تحركوا داخل الحدود المصرية متّجهين إلى مدينة مرسى

مطروح، ومع بداية الهجمات الإيطالية وصدّها من الجهة البريطانية بدأ جيش الاحتلال في طلب المدد وحشد الجنود على الحدود المصرية الليبية؛ مما أدى إلى إعطاء الأوامر إلى تعبئة وحشد الجنود في الصحراء الغربية؛ فأرسلَت الحكومة إلى القرى والبلاد لتقديم أنفسهم للعسكرية.

داخل قرية المنارة..

عتريس وهو يركب الحمار ينادي:

- يا أهل قرية المنارة، مطلوب كل من عدَّى الخمستاشر سنة إنه يرُوح يجدم نفسه في الجهادية.. يا اهل قريه المنارة، مطلوب...

في منزل عائلة السياف..

يجلس عبد الرازق وعلى وجهه الشحوب والعجز من الحزن، بجانبه مختار، ويحاوط المجلس كل أفراد عائلة السياف جالسين على اليمين والشمال، ويستمعون إلى عتريس وهو ينادي (كل من عدَّى الخمستاشر سنة يقدّم في الجهادية).

يستمع الجميع إلى عتريس وهو يكرّر مقولته مرة ثانية؛ فيندب العروق من جسد مختار نافرًا عن غضبه، معنّفًا والده قائلًا:

- شُفت يا بُوي؟ عفَّت عايز يقطع نسل السياف من الوجود.. عايزنا نتقدم في الجهادية.

عبدالرازق يحاول أن يقف من مكانه ممسكًا بيد مختار:

- خدني يا ولدِي ودِّيني ليه.

مختار:

- بتقول إيه عاد؟! مين دا اللي انتَ هتروحلُه؟!

عبد الرازق يحاول تهدئه مختار بنبرته الشيخوخية:

- ماتنساش إنه العمدة يا وَلدِي.

ليقف الجميع، ويخرج من الدار ويسير عبد الرازق السياف وخلفه أبناءه، مختار يعضّ على شفتيه من الغيظ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا لوجود والده.

خلف تلك الشجرة المائل أوراقها يقف شخص ملثَّم يحاول الاختباء معلنًا سلاحه مصوبًا رميه ليطلق عيارًا ناريًّا بدقة؛ فيشق العيار الناري طريقَه في الهواء ويصطدم بصدر عبد الرازق السياف.

ويسقط كبير عائلة السياف قتيلًا أمام أولاده وكبراء عائلته، ودماءه تنزف على الأرض.

يجري الجميع في اتجاه التصويب؛ ليلحقوا بالقاتل عدا مختار، يجلس بجانب جثة والده ويأخذ برأسه ويضعها على قدمه وهو غير مصدق لما حدث، في لحظة ذعر هي الأُولَى التي مرَّت على مختار محتقنًا بدموعه ناظرًا على منزل عفّت الموردي في الضفة الأخرى والغضب يملأه.

- مش هسيبك يا ابن الموردي.

وكأن عفت هو من قتل والده، ويظل متوعّدًا له، حتى يقترب بعض الرجال ويحملوا عبد الرازق على أعناقهم، ويسير مختار وإخوته وبعض الرجال إلى منزل عفت الموردي، الذي يجلس يحتسي الشاي في شرفته الخاصة ناظرًا على القرية بأكملها كالعادة، ثم ينظر على عائلة السياف وهم قادمون أمامه؛ فيرمي الكوب حاملًا عباءته على كتفه ممسكا بعصاه.

الرجال يقتربون من المنزل أكثر وأكثر، وينزل عفّت يقف أمام باب بيته يحاوطُه رجاله بالأسلحة، يقترب منه مختار قائلًا في صياح:

- قتلت أبويا! قتلت كبير السياف! والله لتكون قيامتك الليلة.

يسمع عفَّت ذلك التهديد واقفًا شامخ الظهر غير مبالٍ، ثم ينظر من الناحية المقابلة ليجد رجالًا يمسكون بالرجل الملثّم الذي صوَّب العيار الناري على عبد الرازق السياف، ويقترب الجميع ويقفون أمام بعضهم

البعض ناظرين ومحدقين في أعين بعض، والصمت يسود للحظات، وكأن تلك اللحظات هي شهادة ميلاد عفّت من جديد.

بعد لحظات الصمت يقترب عفّت من الرجل الملثّم كاشفًا عن وجهه..

- أنا أخو سكينة مرَت مختار اللي قتَلْها عَشِيّة.

يقولها الملثم وهو يرتعد خوفًا مما سيحدث له؛ فيقترب عفت من مختار محدّقًا في عينَيه:

- شوفت بقى يا مختار إنك ليك تار عندي.. وغيري له تار عندك؟

الملثّم يحاول أن يستعطف عفت مستنجدًا به:

- أنا في حماك يا عُمدة.

عفّت بلا مبالاة يقولها وهو يرمي عباءة الخائن من فوق أكتافه:

- الحامي ربنا يا.. انت غدرت بالراجل، ودخلت القرية و انت أصلًا غريب، اقتله يا مختار عشان تاخد عزا بُوك الليلة.

مختار ينظر إلى عفّت والغضب والعند يسيطران عليه:

- مابقتلش ضعيف مقيّد.

يقولها وهو ينظر في عين عفّت الموردي وكأنه يريد أن يقتله هو، الحقد والغيرة يحققنا قلب وعقل مختار الآن، وقد أصبح هو كبير عائلة السياف؛ فيجب عليه أن يعلو بكلمته ويحافظ على ما بَقِيَ من إرث عائلته، وبعد أن شعر عفّت بذلك من نظرات عين مختار أشار إلى عتريس بفكّ قيود الرجل.

فيتركه عتريس ويجري الملثّم؛ فيصوب عليه مختار ويقتله، فيمد عفّت يده إلى مختار معزّيًا:

- البقاء لله.

- لسَّه التار عنديكم، ومفيش بينَاتْنا عزا.

فيسير كل رجال السياف، ويقف عفّت ينظر على مختار مشفقًا عليه في لقطة بانوراما تكشف ضواحي القرية بعين عفّت الموردي، محدثًا ذاته في نفور:

- العزا بيخلص والروح بتنتهي، بس التار مابينْتهيش.

***

-2-

بعد مرور سنوات..

25 يناير 1952..

الحال في قرية المنارة قد تغيّر إلى الأسوأ، بعد أن امتلأت الأرض بالدماء، وساكنو القرية أصبحوا من الغرباء، باستثناء بعض البيوت التي يمتلكها عفّت الموردي وبعض الأعمام من عائلة السياف الذين أصبحوا عزوة القرية.

أعلى المسجد يقف الشيخ منصور على المئذنة، وينادي في الناس:

- يا أهل قريه المنارة، يقول رب العزة سبحانه وتعالى (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا)، ذنبهم إيه اللي انتوا عمالين تقتلُوهم بالبارود ده؟! إيه ذنب أولادهم يتيتّمُوا؟ فوقوا يا أهل القرية.. الأراضي امتلأت بالدماء ولم يوقفها إلا الدماء، العائلات تنقرض والولايا تزداد يُتما، أفيقوا يرحمكم الله، إن الله حرم الدم إلا في سبيل الله، بينما أنتم تستحلون الثأر.

الجانب الآخر منزل السياف..

أصبح مختار هو كبير العائلة بعد موت والده عبد الرازق السياف، يجلس مختار يسمع صوت الشيخ منصور وهو يخطب في الناس؛ فيستشيط غضبًا منه وينادي على أحد رجاله:

- روح قول للشيخ منصور يخلّيه في حاله ويصلي بالناس، وعلى اللي ماتوا وهيموتوا وبس.

ثم يقف شامخًا وهو يعقد حاجبيه والغضب يملأ ملامح وجهه، ويحدث جميع العائلة الجالسين أمامه:

- عيلة السياف ليها تار من قديم الأزل، وآن الأوان يتّاخد من كل عيلة الموردى لآخر راجل فيهم.. حد عنده اعتراض؟

الصمت يعم قليلًا، ويلتفت لهم لينظر على جميع الواقفين يستمعون له ولا يتحدثون، مستكملًا:

- ولازم تعرفوا إن احنا بنشيل العُرف فوق الراس، وزي ما هّما زمان احترموا شيوخنا وحريمنا احنا دلوقت هنحترم شيوخهم وحريمهم وماعنجتلهمش... اللهم بلَّغت.

أما على الجانب الآخر في بيت الموردي، عفَّت وقد كبر في السن وتغير شكله وأصبح شيخًا كبيرًا، يجلس والقلق يملأ ملامح وجهه؛ فهو ينتظر مولوده الذي كان ينتظره منذ سنين طويلة ليحمل اسمه، وقد حملت منه عائشة التي بلغت العشرين من عمرها، وأصبحَت فتاة شابة جميلة ومتفتحة، وهي الآن على وشك أن تضع مولودها.

يقف العمدة بجانب عائشة وهي تطلق ألم الولادة، ويسير بجانبها قائلًا:

- جيب العواقب سليمة يا رب، يعني حبَك تولدِي النهاردة! ماكنتِيش قادرة تستنِّي لما ترُوحي عند أختك؟!

زافرًا أنفاس وكأنه يحمل بين طيات ضلوعه الجبال:

- ده أنا بقالي 25 سنة مستني اللحظة دي.

عائشه تصرخ وتتألم، وتغرز أصابعها في الفراش الذي ترقد عليه:

- غيتني يا حاج عفّت بالدّاية قوام.

عفت في خوف ولهفة عليها:

- حاضر.

فينادي:

- يا سلمان.. واد يا سلمان.

يدخل سلمان الغفير مؤدّيًا تحيته، ويقابله عفّت وهو يرتجف على غير عادته، ويمسكه من ملابسه بتحذير:

- اجرِي اندَه الدّاية قوام يا ولا، واوعَى حد يعرف إن المرَة بتوْلِد.

سلمان بخوف قائلًا:

- أوامرَك يا أبا العمدة.

فيخرج سلمان يجري، ويقف العمده بجانب زوجته ويدعو الله:

- يا رب ده العيل اللي بتمناه من زمن، ماتحسّرنيش عليه يا رب، يا رب يسّر كل امر عسير واكْرِمنا من فضلك العظيم.

يسير خطوات ويجلس بجانبها ويملّس على رأسها، ألم الطلق على وجهها، وينظر عفّت على وجهها مبتسمًا ويقول:

- من ياجي 20 سنة لقيتِك طفلة، خدتِّك وربِّيتك وجبرتي بخاطري، وقعدنا سنين مع بعض، لقيت فيكي الحياة، والنهاردة بتكمل بيكي برضُه، ربنا يجبر بخاطرِك كيف ما جبرتي بخاطري.

وينزل ناحية رأسها ويقبّل رأسها، وهي تمسك يده لتقبلها، ثم تصرخ صرخة عالية.

ومع تلك الصرخات يتبدّل وجه عفّت ويحمل الهموم أكثر وأكثر، ويبقى السؤال بداخلِه.. هل سأنعم بصلب الظَّهر؟! أم سأبقى كما أنا؟! حتي تدوِّي صرختُها جميع القرية وتصل إلى بيت السياف.

يقف مختار السياف في شرفته يسمع همهمات الصراخ ولا يعنيه.. يشاهد أحوال القرية ويشاهد آثار الحريق في بيت الزمشري الذي لم يلمسه بشر من ذاك اليوم؛ فيقترب منه أحد الخدم ويخبره أن سلمان غفير عفّت ينتظر بالخارج؛ فيتهلّل وجه مختار بالفرح ويأمره بإدخاله.

يطرق سلمان باب المندرة الخاصة بمنزل مختار طرقتَين متتاليتَين ويدخل مسرعًا عاقدًا يده أمام صدره، عيناه تنظر إلى الأرض، وبمنتهى الخبث يختلس نظرة على مختار الذي يقف أمامه يسمعه بكل آذان

صاغية؛ فيختلس نظرة طويلة تلك المرة ماسحًا بأصبعيه الإبهام والسبابة شاربه ويقول:

- مرَت العمدة بتِوْلِد.

يبتسم مختار ابتسامة نصر وكأنه وجد الحياة للتو:

- رُوح هاتلها الداية.

سلمان بطاعة ومكر عاقدًا يدَه مرة أخرى بضمها على صدره قائلًا:

- أمر الكبير.

يقولها في استحياء، ويظل مُسمَّرًا في مكانه، حتى يخرج مختار من جلبابِه حفنة من المال ويعطيها له، يتقدّم سلمان لأخذ المال ويقبّل يد مختار، ويسير من أمام السياف.

يقف السياف ويكلّم الخدم الثلاث في حزمٍ وعيناه تنطق بما تتمنّى من غدر، قائلًا:

- روحوا اجمعولي كل الناس قُدّام دوار العمدة حالًا.

يجري جميع الخدم مسرعين، يقف مختار السياف ويخرج صورة والده من جيبه، ويحدق بها بانتصار وعلى شفتَيه ابتسامة انتصار، ويقول له وكأن الصورة عادت لها الحياة من جديد:

- حقَّك هيتجاب يا أبا لآخر راجل فيهم زي ما قولتلي زمان، وآن الأوان إني آخد عزاك زي ما أمرتنِي.

فيمسك السلاح ويضع فيه طلقاته ويضعه في جلبابه، ويمسك ببندقية أخرى ويذهب به خارج المنزل، ليقابل أولاد أعمامه ويسيروا سويًّا إلى دار عفت الموردي، الجميع في انتظار تلك اللحظة من قبل.

الكل ينظر أمامه في نهمٍ كالجنود الذين يدخلون لاحتلال هدفهم، هم فقط يريدون ثأر كبيرِهم عبد الرازق السياف مقابل رأس نسل عفّت الموردي، لحظةٌ كل من خارج العائلتين يترقبها..

ماذا سيحدث لهم بعد ذلك؟وماذا سيحِلّ على الموردي اليوم؟!

الكل ينتظر ويترقَّب ويشاهد عائلة السياف وهم يسيرون في اتجاه منزل الموردي، وهم يحملون السلاح ويصوبونه على كل فرد في عائلة الموردي.

***

-3-

منزل الموردي..

عفَّت خارج الغرفة في قلق يجوب الأرض ذهابًا و إيابًا، وهو يدعو الله أن ينجِّي زوجته ومولوده، ونسمع صوت الزوجة وهى تُطلِق ألم الولادة.

يخرج الجنين باكيًا، ويفرح العمدة بدموعه، وتخرج الداية حاملة الجنين وتعطيه إلى العمدة، يقول وهو يستلم الطفل من يد الداية:

- ربنا يحفظك ويحميك يا وَلَدِي.

فيعري عن ساقيه البَافْتة ليجدها فتاة.

- الحمد لله والشكر لك يا رب.. نصرتني.. اللهم لك الحمد.

الداية باستغراب:

- بتشكر ربنا يا عمدة و انت جايِب بت؟!

عفَّت والدموع تتساقط من عينيه:

- بشكر ربنا عشان نجَد البتّ من الموت الأكيد.

فيعطيها من المال ما تمتلكه يده، ويظل يبكي وعلى شفتَيه الابتسامة، يقبّلُها مرة ويحتضنها مرة أخرى في خطوات ثابتة.

يُطرَق الباب بسرعة؛ فيذهب عفّت وفي يده الطفلة، ويفتح الباب ليجد مختار السياف أمامه، فينظر إلى عينَيه، يمسك مختار الطفلة من يد عفت ويكشف عن ساقَيها، ويضحك مختار السياف ضحكة شماتة وسخرية قائلًا:

- عيلة الموردي قلبِت نساوين.. مابقاش فيها غير الشيوخ والنسوان.. ههههه.

يضحك الجميع على عفّت، ويعطي له الجنين، ويقول مختار بصوت حاد:

- عصبَك خوَّخ يا عمدة، طبعًا.. ما هو بعد ما شاب ودُّوه الكُتَّاب، مايصحّش برضيك.

يخرج صورة والده من جيبه.

- فاكر السياف الكبير يا عمدة اللي اتقتَل على يد أبو النعام عمك؟ النهاردة هناخد العزا بتاعه بعد موتُه بـ 12 سنة، وبعد ما خَدنا بالتار من كل رجالة الموردي، وماتقلَقْش عنسيبك في العمودية؛ لأننا رجال كتير وعندينا مصالحنا، وعنسِيب المديريه هي اللي تحدّد مين اللي يبقى العمدة بعد اكْدَه.

عفّت ناظرًا في عين مختار، وبنبرة صوت خفيتة تجعل مختار يرتعد خوفًا:

- اللي قتل السياف انت خابرُه زِين، وخابِر كمان إن التار عِنْدِيك انت بس.

فيشدّ عفّت الطفلة من يد السياف ويعطيها إلى الداية، ويقف وسط أهل البلد ويمسك يد الشيخ منصور الذي يقف يشاهد ما يحدث، ويصرخ عفت ويدور حولهم ويحدثهم:

- يا أهل البلد، لازم تعرفو إن من النهاردة العمودية خرجت من بيت الموردي راحت لبيت السياف، اشهد يا شيخ منصور.. اشهدوا يا عيلة السياف.. اشهدوا يا كُبرَات القرية.

مختار السياف يقولها بسخرية متعاليًا على عفت:

- مش بخاطْرَك يا عفّت ده غصب عنك، احنا العصب.. احنا الرجالة، ودايمًا الأقوى بيبقى هو العمدة.

عفّت متسائلًا:

- إيه المطلوب تاني يا مختارونلم الدم من الكفر كُلّاته؟

مختار السياف وهو ينظر له بتعالٍ و أنه أصبح ذا اليد الأقوى.

- كفنَك يا عُمدة، وتيجي للبيت وتقدّمُه ومعاك مأمور القسم عشان ينقل العمودية من بيتك لبيتي.

يبتسم عفت مخفيًا غضبه:

- انت عارف اللي بتطلبه ده معناه إيه؟ عايزني أمرمغ شرفي في الأرض يا مختار؟

مختار بابتسامة ساخرة:

- عايزك تفدِي باقيّة ناسَك يا عفّت، عايزَك تلم الباقي في باطك.

عفت محذّرًا:

- تبقي انت ماناوِيش سلام وعايز الدم يستمرّ يا مختار.

- العمدة.

يقولها مختار وهو يحدّق بعين عفّت ضاربًا بعصاه في الأرض.

يتدخل الشيخ منصور في الحديث وهو يقف وسطهما قائلًا:

- يا ناس، بحر الدم اللي اتفتح السّبُوع ده أكبر بكتير من اللي حصل من عشرين سنة، ليه كده؟! يا حاج مختار انتوا قاتلين من عيلة الموردى اتنين وتلاتين شاب من خيرة شباب البلد، وماكفَّكْش يا مختار!

مختار بحدة قائلًا:

- السياف الكبير مات من 12 سنة، وكانت وصيته إن يتقتل كل الشباب من عيلة الموردي، وقبلها عيلة الموردي قتلت عمي أبو الروس، لينا عندِيكُم راجْلِين، والراجل مننا بعشرة منكم.

فيقترب الشيخ منصور من مختار السياف، وينظر على عفّت.

- بس انت كدا يا حاج مختار خَدت أكتر بكتير من حق الدم، والناس اللي راحوا من عندك ولسّه عايز تزوِيدها باللي بتطلبه..

عفّت مقاطعًا:

- خلاص يا شيخ منصور، خلص الحديث؛ لأنه بقى ماسخ.

مختار يحاول أن يستمر في العجرفة والتعالي على عفت:

- اللي بقَى ماسخ هو انت يا.. حاج عفّت؛ لأنك مالكش جدر، اللي بقَى عندك من دمك مَرَة، هناخدوها لولدي الصغير لما تكْبَر ونضمها في باطْنا عشان نقطع جدر الموردي من الكَفْر كلّاته.

عفّت محاولًا أن يستفاد ويهندل أمرَه:

- و آني هربها على محبتكم ومحبة ولدك الصغير، عشان لما تبقَى في باطْكم تعرف كيف تحُطّلكم السم في العسل وتقولّكم بالهنا والشفا، وحق ال 32 راجل اللي ماتوا منّنا هتجيبُه المرَة اللي من جِدْري.

فيضحك مختار السياف ساخرًا من عفّت، ويتركه ويسير خطوات ويقف ينظر على عفّت.

- ابقَى ربِّيها زين، وخليها ترضَع الكُره من صدر أمها، وزغَّطْها زِين الغدر، والأيام و اقفة بينّا يا حضرة العمدة.. سابقًا.

يسير الجميع ويقف الشيخ منصور مع عفّت الموردي، ويتحدث إليه:

- لازم تهرب يا حاج؛ عشان تنقذ بتَّك مِ السياف وعيلته كلها.

عفَّت ينظر إلى الشيخ منصور ويقول:

- على آخر الزمن رجال الموردي يهربوا كِيف النعاج، والله لو اتطرْبَقِت السما عَ الأرض ما أهرب ولا أنوّلهالهم، إنهم يترحموا علينا وماعْتغِيبْش شمس إلا لما أرجّع حق كل نفر من عيلة الموردي.

الشيخ منصور يقُولها وهو يخبط على كفته:

- دِير بالك على حالك يا عمدة، واعرف إن العِنْد بيولّد الكُفر.

فيقاطعه عفّت مؤكدًا على حديثه:

- والدم بيولّد دم يا شيخ منصور، نصيحة هنصحهالك، انت مش من البلد دى.. اطلب نقلَك لأجل ما البلد تنقِفِل على حالها وبس.

الشيخ منصور:

- اللي بتفكّر فيه يا عمدة مايصحّش يتعمل، انت حافظ كتاب الله وبتطبّق شريعته.

عفّت متحدثًا وهو يزفر أنفاسه:

- وعشان كتاب الله وشريعته يبقَى تسمع اللي عقُول عليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ) صدق الله العظيم، وأنا قُدّامَك أهُه، حاولت ألِمّ الموضوع، بس هو كبر وبكتير.

الشيخ منصور:

- انت اكْدَه مابتلمّش يا عمدة؛ لأنك مابتكمّلش الآية، ولّا هو الدين بناخد منه الل يرضينا وبس؟! كملها يا عمدة.. (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)صدق الله العظيم.

نرى الشيخ منصور يسير وعفَّت ينظر عليه، ونسمع صوته:

- انت كل اللي قدّمته يا عُمدة هو إنك رمِيت لهم العمودية، ومش ده القربان اللي ربنا عايزُه، القربان الحقيقي هو إنك تعفو وتسامح وتحاول تبطّل نزيف الدم اللي مش و اقف ده.

ونرى عفّت يدخل ويغلق الباب على آخر جملة من جمل الشيخ منصور، معلنًا أن الدم سيظل إلى الأبد.

***

-4-

منزل السياف..

مراسم العزاء قد بدأت والجميع يجلس في حالة حزن وسكون، وكأن عبد الرزاق السياف قد مات بالأمس وليس منذ اثنَي عشرة عامًا.

يجلس مختار السياف والعائلة يلتفُّون حول بعضهم في المندرة، المقرئ جالس على يمين المندرة يقرأ الآيات، ويختم بآية (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) صدق الله العظيم الفاتحة؛ فيرفع الجميع يده ويقرأ الفاتحة، ويختم مختار السياف بعلو صوته:

- ولا الضالين آمين.

***

-5-

في منزل عفت الموردي...

عائشة تنام على السرير والعرق يتصبّب من جبينها بغزارة، وتنادي على عفت بصوتٍ مبحوح بشفاهٍ زرقاء:

- خُد البت يا عمدة، وخلّي بالك منها وراعِيها زِين.

عفّت بلهفة وهو يجفّف عرقها:

- مالِك يا عِيشة جرالِك إيه؟ ما كنتي زينة.

عائشة بإعياء:

- ماخابْرَاش يا عمدة.

فيرفع عفَّت الغطاء وينظر عليها ليجد النزيف يشكّل خطوطًا حمراء داكنة أسفل قدميها؛ فيلتفت عفّت ويرجع الغطاء ويحدّثها:

- إيه الدم ده كله؟!

عائشة وقد أصبحت لا تقدر على النطق بالكلمات:

- الداية شكلها مأمّنِتْش ع الجرح زِين، أنا حاسَّة إني هموت يا عمدة، خلِّي بالك من بنتنا.

عفَّت يغضب ويخرج سريعًا ينادي على سلمان الغفير.

- سلمان.. واد يا سلمان.

يأتي له سلمان وهو متلهّف كأنه لم يفعل شيئًا:

- أيوة جنابك؟

عفَّت بعصبية يتبعها قلق:

- روح نادي الداية قوام، وماتِرجَعْش غير بيها.

ويعود مرة أخرى إلى الغرفة مسرعًا، ويمسك بيد عائشة:

- ماتقلقِيش يا عِيشة، الداية دلوقتي تيجي وتبقِي كويسة.

عائشة تمسك يديه بحنّية، وتقرّبها من شفتيها وتهمس:

- يا حاج عفّت، دِير بالَك على بتك زين، وحاول تجبْلها أخ يبقى السند والحمى.

عفّت يحاول أن يخفّف عنها:

- إيه اللي بتقوليه ده يا وليّة؟

عائشة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وتحاول أن تُوصِي العمدة.

- اسمعني زين يا أبا العُمدة، وخلِّيني أقول الكلميتين اللي بحمّلهُمْلَك أمانة، ودِّي بتَّك لأخيّتي في البندر تتربَّى وسط ولادها بعيد عن السياف وعيلته، وعلِّمْها الدين وأحكامه، وادِّيها آية تمشي بيها تكون سبيل نورها ورشدها في السنين الجايّة.

عفّت يحدث ذاته بعد سماع كلام زوجته وهي تحتضر:

- كلامِك ع الرَّاس يا أم البت، حاضر.. هصُونها وهعلّمها الدين وأحكامه، كِيف يكونوا النسوان ناقصات عقل ودين وهما اللي بيحافظوا على حياتنا، كِيف المرَة تبقي مكروهة وهي الأم والأخت والسنَد والسبيل للحياة الكريمة.

يعود عفَّت من ملكوته وهو يعظم زوجته و ابنته، لينظر على عائشة ويجدها فقدت الوعي، والطفلة تبكي على يدها؛ فيحمل الفتاة من يدها ويتركها على السرير، ويمسك زوجته مناديًا وعيناه يملؤها الدموع؛ فلا يجد منها أي رد، والدموع تنهمر من عينَيه، ويقبّل يدها ويغطّي وجهها، ويغلق الإضاءة ويسير خارجًا من الحجرة وفي يده الفتاة.

لأول مرة منذ سنوات يملأ قلب عفّت السواد، الدموع تنهمر في عينَيه بعد أن مَنَّ الله عليه ورزقه ابنة من صلبه، وكأن الموت يدق باب عفّت بنفسه، في السابق كان يدق باب الأقربين فقط، حتي يخرج عفت من المندرة ويتكئ على عصاه ماسكًا ابنته في يده كأنه يحتضن الحياة بأكملها، ناظرًا على الترعة التي تجري مياهها أمام بيته؛ فيمر أحد من الأطفال

ويلقِي بطوبة في الترعة، ويتابعها حتى تقف على الشاطئ الآخر أمام الشجرة التي يقف بجانبها سلمان الغفير والداية وهما يتهامسان ويتحدثان.

سلمان بخوف:

- هو انتي عملتي إيه في الست مَرَت العمدة؟

- عملت اللي أمرني بيه سيدي مختار بيه.

-فضيتي الإزازَة كلها؟

الدايه وهي تتباهَى بما فعلته قائلة:

- فضِّيتها كلها بعد الولادة عشان يحصل أبصر إيه ده.. النزيف لأجل ما تموت وعصب العمده يخوّخ أكتر.

سلمان يشدها من ذراعها:

- طب هِمِّي شوية عشان نلحق نشوف اللي عيحْصَل مع العمدة.

الدايه تقف ولا تتحرك ويتلجلج حديثها:

- عمدة مين يا أبو عمدة! احنا لو روحنا للعمدة هيقتلنا، احنا نطلع على مختار بيه هو اللي هيحمينا، وكمان علشان نقبض بقِيت حسابنا.

سلمان يبتسم وقد ملأ الغل والطمع نفسه؛ فيسير خلفها وهي تتجه ناحية منزل السياف، يتركا الشجرة بمفردها تتساقط أوراقها حزنًا على ما سوف يتم من خراب، الموت أصبح الجميع يتفنّن فيه، استباحوا حرمته وقتلوا قدسيته، حتى أصبح الكل شريكًا في الجريمة التي حلَّت على القرية منذ أن دخلها الطمع والجشع والغواني، منذ أن فطن السياف على ورثِه من الأرض ودائما ما يذكُر أن لم يكن للذين مكروا الحياة؛ لأن يمكرُون ويمكر الله والله خير الماكرين، وعلى الجميع الاستعداد لمرور الزمن والنيل منه كيفما تشاؤون.

***

-6-

منزل الموردي..

يدخل عتريس وهو يجري ويبدو على وجهه القلق، فيجد عفّت يحمل ابنته المولودة ويبدو على وجهه الحزن، فينادي عتريس عليه:

- جناب العمدة.

-خير يا عتريس؟ فيه إيه تاني؟

يميل عتريس على أذن عفّت ويخبره بأن سلمان الغفير والداية قد ذهبا إلى منزل مختار السياف، و أنّه علِمَ من رجُلِهم المزروع وسط رجال مختار أنهما كانا السبب في موت زوجته، وأن مختار السياف هو من أمَرَهما بذلك، وأن كل ما حدث هو بأمر من مختار السياف.

سمع عفَّت الكلمات التي ألقاها عتريس في أذنه، اشتاط غضبًا واحمرَّت عيناه، والشرر يتطاير منهما بعد أن مضى سنوات لم ينَل منه الغضب هكذا، وعندما رآه عتريس بهذا الشكل عرِفَ أن الشيطان بداخل عفَّت قد استيقظ، وسينال انتقامه بأبشع الطرق.

عفَّت يقاوم صرخات دموعه قائلًا:

- عتريس، نبِّه على كل اللي اتفضَّل من عيلة الموردي رجالة والنساوين والعيال يكونوا على محطة القطر بعد أذان الظهر، واطلع عَ الجبل بلّغ الرجالة يجهزوا من الفجر ويستنوا إشارتي، وسلمان والداية تجيبْهم متكتِّفِين تحت رجلي.

عتريس معلنًا الفهم دون التحدث، ويستكمل عفّت حديثه:

- وتجيب مرتك و ابنك كمان يبقُوا معنا.

عتريس يبتلع ريقه محاولًا أن ينجو بذاته:

- بس آنِي مش من عيلة الموردي جنابك.

عفّت يربط على ذراع عتريس ويشد عليها:

- من دلوقتي بقِيت واحد من العيلة، وأي حد منك في رقبتي.

عتريس ينظر إلى العمده وتلمع عيناه ويقبّل يده:

- الله يكرمك جنابك زي ما أكرمتني أنا وأهلي.

يسير خارج المنزل، ويترك عفّت يجلس بمفرده يحدث ذاته:

- العِنْد بيولّد الكفر.. وهو اختار الكُفر، كفر بكل الأعراف والعهود.. ومختار شغّل راسه بس في الانتقام منِّي.

يحتضن ابنته ويربط على قلبها ناظرًا على تلك الحجرة المليئة بكنز الموردي الذي سلَبَه عفّت قوةً و اقتدارًا رغم أنف السياف.

***

-7-

منزل السياف..

مختار السياف يجلس ويضحك ضحكات عالية بعدما أبلغه سلمان والدّاية أن زوجة العمدة تُوفّيَت، وتأكد من موتها بعد ما سمع المنادي ينادي لجنازتها في الصباح.

- عفارم عليكم، انتوا تستحقوا الفلوس اللي قبضتُوها، عارفين لو كان حصل غير كده كان زمانكم مقتولين ومرميّين في الجبل للكلاب والدّيابة تاكل لحمكم، أما انت يا ابن الموردي لسَّه هتشوف كتير.

ويضحك ضحكات عالية، ويضحك الكثير حوله، تُوقِف ضحكاتهم صوت زوجة مختار معلنةً غضبها نافرة من ضحكات مختار ومن سواد قلبه قائلة:

- مش مكسوف من نفسك يا ابن السياف؟! فرحان إنك قتلت حُرمَة!

مختار بلا مبالاة مستكملًا ضحكاته مقتربًا منها:

- أيوة مبسوط، ولو ماكتَمْتِيش حسِّك هقتلك انتي كمان.

فتنفر نعمة من حديثه وتتحدَّى كلماته:

- طب أنا قُدّامَك أهو اقتلني.

ينظر لها مختار بتحدٍّ، وينظر للرجال حوله يُهمْهِمُون؛ فيخرج من جيبه مسدسًا صغيرًا، ويطلق منه رصاصة عليها فيصيبها! ويقف شامخًا وهي ملقاة على الأرض.

***

-8-

في صباح اليوم التالي..

26 يناير 1952..

يومٌ شهد الكثير من الأحداث.. اندلاع حريق كبير في القاهرة الْتَهَمَ عدة منشآت في خلال ساعات، والْتَهَمَت النيران نحو 700 محل وسينما وكازينو وفندق ومكاتب ونادي في شوارع وميادين وسط البلد، كما أدى الحريق إلى تشريد عدة آلاف من العاملين في المنشآت التي احترقَت، وكانت القاهرة على صفيح ساخن.

نفس الصباح في قرية المنارة؛ فقد كانت جنازة عائشة، جنازة مهيبة يمشي خلفها جميع رجال البلدة، والجنازة تمر ذاهبة ناحية المدافن التي تقع مشارف القرية قرب الجبل.

وصلوا إلى مقر المدافن، و افتتح التُربِيّ المقبرة، وحملها المقرّبُون منها و أنزلوها إلى المدفن، وأعلن التُربِيّ بعد دقائق من انتهاء دفن عائشة والشمس تقترب من منتصف السماء، جاء عتريس وأخبَر عفّت أن ما طلبه قد تم، وأخبره أيضًا أن هناك حريقًا اشتعل في القاهرة الْتَهَم معظمها، لينظر عفّت إلى عتريس نظرة فهمها عتريس و انطلق، وتمتم عفّت في نفسه:

- الحريق اللي في القاهرة هيطُول المنارة وأهل السياف.

و انطلق عفّت وخلفه رجال القرية ذهابًا إلى منازلهم وهم عائدون، ويكون سلمان الغفير والدّاية معلقان من رقابهما على النخل؛ فوقف الجميع يستغرب ويسأل ماذا حدث؟!

ولكن عفَّت لم يقف، وأعطى ظهره للجميع و انطلق.

على الجانب الآخر من منازل عائلة الموردي، جميع المنازل خاوية كأن من يعيشون فيها قد تبخروا، ولكنهم موجودون على محطة القطار ينتظرون قدوم عفّت الموردي.

وفي جانب ليس ببعيدٍ عنهم تجلس نعمة زوجة مختار السياف، ويجلس بجانبها طفل في الثالثة من عمره، وتحمل بين يديها ابنة عفّت الموردي (زلفة) كما أسماها والدها.

أما في منزل عائلة السياف مختار السياف ينام على سريره ويستيقظ على صرخات تأتي من الخارج؛ فينهض سريعًا وينظر خارج شباك غرفته، ويسأل الخدم:

- فيه إيه؟! إيه اللي بيحصل؟

الخادم يصرخ:

- البلد بتتحرق يا حاج مختار.

يشتّت انتباه مختار قذيفة ناريّة تتوجه ناحية داره وتحرق كل ما تقابلها، يتبعها كرات وقذائف ناريّة أخرى؛ فينزل سريعًا من غرفته مهرولًا ناظرًا أمامه، ليجد عفّت يقف ويصوّب بندقيته ناحيته، وبضغطةٍ واحدة على زناد البندقية تخرج رصاصة تمزق رأس مختار السياف وتتناثر أشلائه في كل مكان.

يخرج عفت حاملًا بندقيته ويركب حصانه، ويرى جميع منازل عائلة السياف تُحرَقُ عن بكرة أبيها، يشير لعتريس حتى يذهب معه، ولكن يصارعه أحدُ الأشخاص بطلقة في قلبه ويموت سريعًا.

فيجري عفّت بحصانه ناحية محطة القطار، ويكون الجميع بانتظارة داخل القطار؛ فيركب ويأخذ (زلفة) من نعمة ويحملها بين يديه، ويقبّل جبينها وهو يقول:

- جبت تار أمِّك يا زلفة.

يتحرك القطار، هذا الكائن الحديدي الذي يتحرك بالفحم بحجمه الهائل، وعفّت ينظر من بعيد على قريته التي يتصاعد منها الدخان بكثافة بعد ما حُرِقَت عن بكرة أبيها، يبتسم ابتسامة النصر، ثم تتحوّل ملامحه إلى الحزن وهو يرمق (زلفة) بنظرات حزينة ويقول:

- رحمة الله عليكي يا عيشة.

***

الفصل الرابع

-1-

عند انتهاء الليل يأتي وقت الفجر، يخرج من رحمِهِ نور الصباح، وبين طيات الظلام تعلوا الشمس معلنة عن وصولها، حتى تصل إلى كبد السماء؛ ليبدأ يوم جديد بأحداث جديدة، وتستمر الحكاية التي أغلَقَت بالأمس صفحاتها بلا كلمة النهاية.

في القطار...

في هذا العملاق الحديدي الذي يتحرك بسرعة كبيرة، وتصطدم عجلاته الحديدية بالقضبان في صوت تقشعر له الأبدان، الجميع من عائلة الموردي رجالًا ونساءً وأطفالًا مذهولون مما رأوا.

حيث لم يفكروا يومًا أنْ تحدث مذبحة بهذا الحجم في قريتهم، وانقسمت المشاعر بينهم: فالبعض حزين على ما حدث في قريتهم التي كانت جميلة مزدهرة، والبعض الآخر كان فرحًا لما حدث من انتقام الموردي من عائلة السياف.

عفّت الموردي قد أخذ بثأرهم وبثأر النساء التي ترمَّلَت، وبثأر الأطفال التي يُتّمَت على أيدي أفراد عائلة السياف.

أما البعض الآخر فكان حزينًا على القتلى الذين سقطوا من العائلتين، وعلى تركه قريته التي تربَّى فيها، والجميع كانوا في شرود ينتظرون مصيرهم المجهول، ولا يعرفون أين سيذهبون بعد ذلك؟!

ما عدا عفّت الموردي، بقِي جامدًا يجلس في مكانه في جمود، عيناه متركزتان على شيء واحد فقط.. هو زلفة.. الابنة التي أنجبها حديثًا ووعد أمها بحسن تربيتها؛ فهي كانت الشيء الملائكي الوحيد في حياته، وكان لا يشغله أي شيء غيرها؛ فهي منذ أن وُلِدَت وسمع صوت صراخها أصبحت حبيبة قلبه وروح فؤاده.

أما عن أفراد عائلته لا يحمل لهم همًّا؛ فقد كان يعرف ويحسب خطواته جيّدًا.

وشرد الجميع في أفكاره حتى وصل القطار إلى قاهرة المعز، ودخل إلى محطة مصر شامخًا يعلو صوتُ بوقِه ليعلن عن وصوله إلى محطته الأخيرة.

نزل الجميع يتّبعون عفّت الموردي في صمت، فما كان أحدهم ليتجرأ أن يسأله ماذا سيفعل أو أين سيذهب؟! فمشى الجميع.

خطواتهم متوافقة مع خطوات عفّت، وركبوا الترام الذي بدا لهم كأعجوبة من عجائب الدنيا السبع، الذي بدأ تشغيله عام 1896 من محطة بجانب محطة مصر، ونزلوا في حي السيدة زينب المعروف في هذا الوقت بحَيّ جنوب، ووجدوا أنفسهم يمرُّون بقصر سعد باشا زغلول بمنطقة ضريح سعد بالسيدة زينب، الذي توفّي 23 أغسطس سنة 1927، ودفن في منزله، ولهذا سمي بضريح سعد، وهو ما أبهر عيونهم ورفْرَفَت قلوبهم من فرحتهم بما يرون، ووقفوا جميعًا يقرأون الفاتحة له، ثم تحركوا حتى وجدوا أنفسهم ينسلُون واحدًا تلو الآخر إلى أحد الشوارع الجانبية المتفرعة من شارع ضريح سعد، ويجدون أنفسهم أمام منزل كبير معلّق عليه يافطة منزل الحاج صالح العطار؛ فأمرهم عفت بالدخول إلى المنزل، ووقف ينظر إلى المنزل خارجًا وشبح ابتسامته يظهر على شفتيه، ويعود بذاكرته ويتذكر كيف استطاعت الأيام أن يحتاج إلى هذا المنزل، لم يكن في يومٍ يتوقّع أن يسكن في القاهرة، كان دائمًا يتبادر إلى خاطره أنه سيموت ويُدفَن بجانب والده وجده في قرية المنارة.

-قبل سنوات-

تذكّر عفت عندما كان في زيارة في القاهرة منذ سنوات، ومر في هذه المنطقة بعدما ذهب إلى مسجد السيدة زينب ليصلي؛ فوجد أرضًا فارغة قاحلة وموضوع عليها يافطة (للبيع).

استفسر عنها، عرف أن صاحبها من الأرمن ويريد أن يهاجر هو وعائلته إلى أوروبا ليستقر هناك؛ فاشتراها منه عفّت وهو لا يعرف لماذا اشتراها.

واستأجر بعض الأشخاص وضرب سورًا حولها بالحجارة، وتناساها، وعندما زاد القتل والمشاحنات في القرية بين عائلة الموردي وعائلة السياف ذهب وبنَى المنزل، ونظّمَه وهيّأَه لاستقبال عائلته خوفًا عليهم، وعندما استعلم الناس عنه اخترع اسمًا لنفسه ومهنة؛ فأخبرهم أنه تاجر عطارة من الصعيد واسمه صالح العطار، و أنه يبني البيت لينقل تجارته من الصعيد إلى القاهرة؛ فالرزق في القاهرة أكبر وأوسع، وبالفعل جهز المنزل بغرَفٍ كثيرة، وجهز دُكّانًا ملاصقًا للمنزل ملأه بالعطارة، فقد كان عفّت داهية ذكاءهُ غير محدود، وظل يباشر المنزل ودكان العطارة كل حين.

أفاق عفَّت من ذكرياته، ودخل إلى المنزل وجمع عائلته وأخبرهم بكل شيء، وأنهم من هذا الوقت أصبحوا عائلة صالح العطار، وأن اسم الموردي قد احترَقَ مع احتراق قرية المنارة، وأن الرجال سوف يساعدونه في تشغيل محل العطارة، والنساء سوف يبقِين في المنزل لتنظيفه وإعداد الطعام.

ومرت الأيام، بعد ذلك افتتح فيها عفَّت، أو صالح كما هو معروف حاليًا، سلسلة محلات العطارة التي أصبحَت يعرفها الجميع، وكثرت الزبائن لمستوى البضاعة الجيدة التي يقدّمها لزبائنه.

عندها وجد عفَّت شخصًا يأتي إليه يسمّى القِصّ نظرًا أنه بعَين واحدة وبلطجي المنطقة، وطلب منه نقودًا كي يدع تجارته لحالها، بل ويحميها أيضًا.

- سلام عليكم يا حاج.

عفّت مبتسمًا:

- وعليكم السلام يا ولدي، محتاج إيه؟

القصّ متبسمًا ابتسامة بلهاء:

- محتاج فلوس يا حاج صالح.

عفّت مبتسمًا في خبث وقد فهم مراده:

- وماله يا ولدي، لو فيه ضيقه نفك كربك.

القص منفعلًا:

- ضيقة إيه يا عمنا؟! أنا عايز كل أسبوع تدفعلي 10 جنيه إتاوة عشان أحميلَك بضاعتك ومحلَّك، غير كده ماتسألنيش عن اللي هيحصل.

عفَّت يزيد من ابتسامته.

- وليه كده يا ولدي؟! بس مش كتير عشرة جنيه؟ هما اتنين جنيه كويسين.

القص ينفعل أكثر شاهرًا مطوته:

- اتنين جنيه إيه يا راجل يا خرفان انت؟! هما عشرة جنيه، رضيت كان بها، مارضِتْش يبقى عليه العوض فيك قُدّام الحارة والمنطقة كلها.

عفّت بهدوء غير مبالٍ لما يفعله بالمطوة.

- اقْصِر الشر أحسن يا ولدي.

القص يبتسم بسخرية:

- شر! هو انت لسّه شُفت شر!

ويشير إلى ثلاثة رجال يقفون بعيدًا ليتقدموا خلفه، وعندما يرونهم رجال عفّت يتقدمون يتحركون هم أيضًا ليقفوا خلف عفّت.

شخص:

- خيريا حاج صالح؟ فيه حاجة ولا إيه؟

عفّت يعقد حاجبيه ويتكلم بهدوء:

- مفيش يا رجالة، ارجعوا كل واحد يشوف شغله، و أنا هشوف الأخ القص عايز إيه؟

ثم يشير للقص بالذهاب معه خارج المحل.

- تعالَى يا ولدِي نتفاهموا برَّه.

القص يعدل ياقة قميصه وهو واثق من نفسه، بعدما اعتقَد أنه أرعَب عفت الموردي:

- كده ماشي، استنُّوا برّه يا رجالة.

يخرج عفت ومعه القص والثلاث رجال، ثم يقف وينظر للقص:

- قولتلي محتاج كام؟

القص بثقة:

- عشرة جنيه في الأسبوع.

عفّت وهو يضع يده في جيبه وهو يبتسم:

- حاضر، انت تؤمر.

ثم يخرج يده فجأة من جلبابه ويباغت القص بضربة من قبضته في فكه أسقطته أرضًا، ثم يكيل للشخص الأول من رجاله لكمة في بطنه وبضربه من كوعه الذي ينغرِز في صدر الشخص الثاني، يتفادَى لكمة من الشخص الثالث ويكيل له لكمات سريعة أفقدتْه الوعي، ثم يعود إلى القص ويوقفه ويمسك بتلابيب ملابسه، ويرفعه عاليًا في الهواء بيد واحدة.

عفّت رغم كبر سنّه إلا أنه قويّ لا يهاب شيئًا، ووقف أهل الحارة ينظرون كيف استطاع عفّت أن يتغلّب على القص ورجاله الذين طالما زرعوا الرعب في قلوب الجميع؟! ثم ألقى عفَّت القص على الأرض وحذره قائلًا:

- مش الحاج صالح العطار اللي يجِي شوية عيال ياخدوا منه إتاوة، ولو شوفتك اهْنِه تاني هدْفِنَك تحت رجلي.

وضرب الأرض بقدمه بقوة، بعدها أخذ القص رجاله وجروا من أمامه يلعنون الوقت الذي فكروا فيه بالتعرّض له، وأطفال الحي جروا وراءهم يزفُّونهم كما تُزَفّ الذبيحة إلى الجزار:

- العجل وقع هاتوا السكينة... العجل طارهاتوا المنشار.

والتفّ أهل الحي حول عفّت يحيونه على جرأته وشجاعته، ويشكرونه أنه خلصهم من هذا البلطجي الذي كان يأخذ من أقواتهم.

وذاع صيت عفّت -أو صالح العطار- بين الجميع، وأصبح الجميع يُكِنّ له الاحترام والتقدير، وأصبح كبيرًا جدًّا بينهم ذا شأن، حتى أن البعض كان يستشيره لحل مشاكله، والجميع يرضى بحكمه، وهو ماكان ليس غريبًا عن عفّت؛ فهو تربى على الأصول والفصل والحُكْم بين الناس في بيت والده عبد الحي الموردي.

وبعد مرورعدة أسابيع من ذاك الحادث..

اجتمع عفّت بشيخ المسجد، وتحدّث معه في تزويج النساء اللاتي مات أزواجهن نتيجة الثأر وترمَّلْن، إلى رجال تعرِف الأصول ذي حسبٍ ونسب.

و بعد أن أنهى صلاة العشاء اتجه عفّت ناحية الشيخ الذي كان يجلس يتلو أذكاره..

- تقبل الله يا شيخنا.

الشيخ:

- منا ومنكم يا حاج صالح.

عفت بابتسامة:

- كنت عايزك تساعدني في أمر كده.

الشيخ يبتسم بترحاب:

- يا سلام! ومين يقدر يرفض طلب للحاج صالح ابن الأصول الراجل الجدع.

عفت بخجل:

- بارك الله فيك يا شيخنا، الأمر أمر زواج.

الشيخ بثقة:

- يا سلام! بدل العروسة عشرة تختار منهم.

عفت بابتسامة:

- لأ يا شيخنا مش ليّا، أنا كنت عايز الأرامل اللي ماتوا أجوازهم من التّار.

الشيخ وقد فهم، ولكنه عقد حاجبيه بتأفّف:

- لعن الله التار.. خرَّب بيوت ناس كتير.

عفَّت يقاطعه قبل أن يكمل حديثه:

- فعايزين نشوف كده رجّالة ولاد أصل وعيلة ظروفهم تناسب ظروف الأرامل.

الشيخ يبتسم وهو واثق:

- سيب الموضوع ده على الله ثم عليّا، وإن شاء الله خير يا حاج صالح.

سلم الاثنان على بعضهما بنيّة الاتفاق.

أصبح ينتقي الرجال الذين تتناسَب حالتهم مع حالات النساء الأرامل، وأن يكونوا من بيت عزة وأصل.

وبعد مرور ثلاثة أشهر..

البلد في اضطراب يحدث ما بين السلطة الحاكمة وقوات الجيش في مصر؛ فاستغل عفّت الفرصة وعاد مرة أخرى إلى قرية المنارة، ودخلها في الليل؛ فاشتم أنفُه رائحة الجثث المحترقة في الهواء فنفَر منها قائلًا:

- ريحتكُم الوسخة لسَّه ماليَة البلد يا ولاد السياف.

وتحرك خفيةً تحت ستار الليل حتى وصل إلى منزله، ونظر إليه بحسرة على منزله؛ فهو المنزل الذي تربَّى فيه على يد جده ووالده، ثم تماسك ودخل كهفه الخاص؛ فوجد فيه الصناديق التي تمتلئ بالآثار والذهب، فنظر إلى الصناديق نظرة العاشق الذي غاب عن معشوقته فترة طويلة؛ فاطمأن ووجدها كما هي.

وما هي إلا لحظات وسمع صوت سيارة في الخارج؛ فخرج فوجد خمسة رجال أمامه سرعان ما تبادلوا الابتسامات؛ فقد كانوا نفس الرجال الذين ساعدوه في حرق القرية، ثم تقدّم منه أحد الرجال بابتسامة تخفي الكثير:

- حمد لله عَ السلامة يا عُمدة.

عفت وقد بادله الابتسام:

- الله يسلمك يا حماد، كِيف الأخبار؟

حماد:

- المأمور والحكومة قالبِين عليك الدنيا فُوقاني تحتاني، عايزين يعرفوا مكانك بأي طريقة.

عفّت بثبات وهدوء:

- وماله! خليهم يدوّرُوا براحتهم، ما عادش فيه حاجة أخسرها.

حماد بدهاء:

- بس أنا بقول كنت تدَّارَى، وشيَّعلنا على مكان الحاجة واحْنا نجيبُوهَا لحدِّيك.

عفت بابتسامة خبيثة:

- تشكر يا حماد، كفاية وقفتَك معايا، يلّا حملوا العربية بسرعة بدل ما حد يشم خبر.

وبسرعة البرق حمل الرجال الصناديق في السيارة، وأخرج عفت من أحد الصناديق حقيبة من القماش مليئة بالنقود وأعطاها لحماد، الذي نظر للصناديق والنقود بعين وحش مفترس وقد سال لعابه قائلًا:

- بقول إيه يا عمدة.. ما تروح انت خفيف خفيف واحنا نتصرَّفُوا في الحاجة دي.

عفت يحدجه بنظرة غاضبة:

- حماد، انت خدت نصيبك.. حق رجالتك وحق العربية، اتوكل على الله وشوف طريقَك.

حماد وقد سال لعابه أكثر ناظرًا على الصناديق:

- ما احنا اكْدِه ولا اكْدَه هناخد العربية باللي فيها، سوا برضاك سوا غصب عنك.

يرفع بندقيته ويصوبها ناحيته، ويرفع الرجال الباقون أسلحتهم في نفس اللحظة، ويصوبون أسلحتهم ناحية عفت، حماد يكمل:

- تروّح عايش ولا تموت وتندفن في المكان اللي عِشت فيه؟

عفَّت أصبح الشرر يتطاير من عينيه التي احمرَّت، وزاد احمرارها وتوهّجَت في الظلام كعيني شيطان؛ فالذي قام به حماد قد أيقَظ الشيطان مرة أخرى بداخل عفت الموردي.

فنظر له عفت بسخرية، و ابتسم ورفع يديه ووضعها خلف رأسه، ثم بسرعة البرق أخرج مسدسًا كان يخفيه في ظهره خوفًا من الغدر، وأطلق رصاصة بين عينَي حماد الذي جحظت عيناه وسقطت بندقيته من يده، وقبل أن يهوي على الأرض أمسك به عفَّت ووضعه أمامه كساتر له ودفعه على الآخرين، واختفى وسط الظلام والرجال تبحث عنه، وفجأة برز من

العدم أمام الأول وأطلق رصاصة أصابه في قلبه، ثم تحرك سريعًا واختبأ خلف السيارة، وكان الرجال على الناحية الأخرى يحاولون اللحاق به حين انحنى وأطلق الرصاص على أرجلهم؛ فوقعوا أرضًا يصرخون من أثر اختراق الرصاص، بعدها التفَّ عفت في هدوء وأطلق رصاصة في رأس كل منهم ثم، هدأ الوضع فجأة.

تحرك عفت بهدوء وركب السيارة، واختفى في ظلمات الليل حتى وصل إلى القاهرة.

في الليلة التالية:

دخل في سكون الليل، وتوقف أمام منزلٍ كان يستأجره لتخزين بضائع العطارة، و أنزل الحمولة ثم اتجه عفّت ناحية إحدى الحوائط، وأزاح بعض الأشوله من أمام الحائط، ثم أزاح خيشًا وراءها؛ فانكشفت له غرفة.

يدخلها في حِرْصٍ زائد وهو يحمل الصناديق، حتى يدخل إلى الحجرة ويمسك اللمبة ليضيء الحجرة، ويقف يعيد رصَّ التماثيل الذهبية مرة أخرى.

هذه الغرف أصبحت كهفَ عفّت الجديد الذي أخفَى فيه صناديقه بعناية.

وبعد أن أنهى رصّ تماثيله خرج من الحجرة معيدًا ترتيبها تارة أخرى، ليخرج من المنزل ويركب سيارته ذاهبًا إلى إحدى الأسواق ليبيعها، وبعد عدة ساعات عاد بالمال إلى الحارة التي يسكن فيها، ووزّع المال على الفقراء وهو يترحّم على حمّاد.

***

-2-

تابع عفّت عمله بهدوء، وما هي إلا أشهر حتى قامت ثورة 23 يوليو.. ثورة الضباط الأحرار، وقيام الجيش بثورةٍ ضد الملك وعزله، وخروج الإنجليز من مصر مطأطأين الرؤوس أمام أفواه مسدسات وبنادق المصريين.

فاستغل ثورة يوليو التي عُرِفَت في بدايتها باسم الحركة المباركة، وتم حل الأحزاب السياسية وإسقاط دستور1923 في يناير، هذه فرصة كبيرة لعفّت لشراء وبيع الأراضي والمنازل؛ فقد قرّر في هذا الوقت الكثيرون من الأجانب في مصر بيع منازلهم وأراضيهم والسفر لأوروبا؛ فاستغل عفّت الموقف وأصبح يشتري كل ما تطوله يداه.

بعد ذلك يؤجره أو يبيعه بثمن أعلى، وكانت حياته تسير باستقرار وهو يرى (زلفة) تكبر أمامه يومًا تلو الآخر.

وبعد مرور سنوات..

"نعمة" زوجة مختار السياف سابقًا هي من تعتني ب(زلفة) مع ابنها سلامة، وعفّت من كثرة العمل ناله التعب، وكان يريد مَن يعتني به؛ فتزوج من نعمة التي عاشت معه في أمان وسلام منذ أن أطلق عليها مختار السياف الرصاص وأصابها في كتفها وألقاها هي و ابنها على حدود القرية لتموت، بعد أن عارضته لمقتل عائشة أم زلفة.

(قبل المحرقة)

نعمه تقف مهاجمة مختار وهي تتألم من الرصاصة التي أصابت كتفها قائلة:

- بتقتل حُرمَة؟! بتاخد تارَك من حُرمَة؟! هي دي الرجولة يا ابن السياف؟!

مختار غاضبًا مصوّبًا المسدس في رأسها:

- ما أنا لو ماقتَلْتَهاش ممكن تجيب لعفّت الواد اللي نفسُه فيه، ويبقى ماعملناش حاجة.

نعمه بتأفّف وقد زاد ألمها:

- اتفو عليك يا عرّة الرجالة.

مختار منفعلًا:

- اكْدَه! ماشي، أنا مش هقتلك.. أنا هسيبك للكلاب تنهش في لحمك.

يمسكها من شعرها ويلقيها بين يدِي الخدم، ويأمرهم بأن يلقوها في الخارج، يقترب سلامة الصغير ويُمسِك في جلباب والدته؛ فيأمر مختار برميها هي وسلامة خارج القرية، فقد كانت زوجته الثالثة ولم يكن يهتم لها؛ فله زوجتان أخريّتان أنجب منهما الكثير.. خمسة ذكور وثلاثة إناث، وأخذها الخدم وألقوها بعيدًا عن القرية، وظلت جالسة حتى مرَّ عتريس غفير عفّت من أمامها، وسألها:

- ماذا بكِ؟

وقصَّت عليه ما حدث، وظل يأخذ بيدها حتى أوصلَها إلى المستشفى، وأخبر عفَّت الذي انطلق إليها سريعًا؛ فأخبرته بما حدث وأنها تريد حمايته لها؛ فأخذ عفَّت عهدًا على نفسه أن يحميها وأن يجعلها هي ميزان الحق الذي يكيل كل هفواته، ومنذ ذلك وهو يراعي كل ذرة فيها، حتى تزوجها وأصبح سلامة يكبر في حضنه ويعطيه الحب والحنان.

(بعد المحرقة)

مرت سنوات مرور الكرام..

مصر ظلت تمرّ بأحداث كبيرة.. تأميم قناة السويس سنة 1956، مرورًا بعد ذلك بهزيمة مصر أمام جيش الاحتلال الإسرائيلي سنة 1967، ثم بداية حرب الاستنزاف، ثم وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وتعيين الرئيس محمد أنور السادات رئيسًا للجمهورية عام 1970.

ومرَّت الأيام حتى عام 1972، وأصبحَت (زلفة) فتاة شابة، وصار سلامة أيضًا شابًّا.

فُوجئ عفّت، أو صالح كما هو معروف، بمرضِ نعمة الشديد الذي أدى إلى وفاتها؛ فقرر عفَّت بعد ذلك دخول زلفة إلى مدرسة داخلية هي وسلامة لعدم قدرته على مراعاتهما، وكان يزورهما بين الحين والآخر، حتى أكمَلَ سلامة عامه الثامن عشر، وتخرَّج من المدرسة وأصبح يعمل مع عفَّت.

في الأجازات حضرَت (زلفة) من مدرستها، وكانت قد أصبحت فتاة متفتحة، ظهرت عليها علامات الأنوثة، وقابلت والدها وسلامة الذي فُتِن بجمالها وبدأ بمغازلتها ومرافقتها أينما وجدت، حتى أنّه قد اعترف بحبه لزلفة التي هي الأخرى تميل إليه، وحينما لاحَظَ عفّت اهتمامهما الشديد ببعضهما، انتابه القلق الشديد، هل يترك ابنته الصغيرة التي تمّناها تقع في حب من قتل أباه؟ وهل سيسامحه ويسامحها إذا عرف الحقيقة في أحد الأيام؟!

حتى جاء الوقت الذي سمع سلامة وزلفة يُقرّان بحبهما لبعض وراء شجرة قد زرعها في المنزل لتقي البيت من الشمس وتظلّله؛ فبرز أمامهما، فخارت (زلفة) من المفاجأة وخافت من والدها خوفًا شديدًا، أما سلامة فقد وقف له ولم يهَب الحاج صالح الرجل الذي رباه، وتكلم عن ما بداخله بكل حبٍّ لعفّت:

- عمي الحاج صالح ماتفهمناش غلط، أنا بحب زلفة وبطلب إيديها منك.

عفّت يحدجه بنظرة قاسية:

- والصغار من امتَى بيقرّرُوا يا سلامة؟

سلامة وقد بدت القوة في عينيه:

- أنا مش صغير، أنا راجل وبشتغل معاك وبكسب رزقي بعرق جبيني، جوِّزْني زلفة و أنا هحطّها في عيني.

عفّت وقد تضاربت الأفكار في رأسه، ولكنه انتهى إلى أنه سوف يقوم بإبعادهما عن بعضهما؛ فالبُعد أفضل.

- لا يا ولدي، انت لسَّه صغير وقدامك كتير تتعلمه، أنا هسفّرَك بلاد برّه تكمّل علامك هناك، وترجع راجل ملو هدومك تملَى العين.

سلامة ببراءة المراهقين:

- ولما أرجع هتجوزني زلفة؟

عفّت يزفر بضيق:

- لما تعاود هنشوف موضوع الجوازده.. لسّه بدري.

فجهّزه عفت للسفر لإكمال دراسته خارج البلاد، وأعطاه من النقود ما يكفيه.

أما زلفة لم تنسَ سلامة أول حب في حياتها، وأصبحت كبيرة كفاية للاعتماد على نفسها، أخرجها عفَّت من المدرسة الداخلية ليكمل تربيتها بين أحضانه وأمام عينيه.

وبدأ الاثنان يراسلان بعضهما بالخطابات، ولكن في نهاية كل مطاف تقع في يد عفّت الذي يمحِي الخطاب عن أعين الجميع.

ومرت الأيام والجميع يجلس يستمع إلى أغينة أم كلثوم في الراديو، وزلفة تُهَيمِن حياتها لسلامة.

ودارت الأيام .. ومرّت الأيام

ما بين بُعاد وخصام

وقابلته.. نسيت إني خاصِمتُه ونسيت الليل اللي سهِرْته

وسامِحت عذاب قلبي وحِيرْته

ما أعرفش ازاي ازاي أنا كلمته

ما أقدرش على بُعْد حبيبي

أنا ليّا مين.. أنا ليّا مين إلا حبيبي

قابلني والأشواق في عنيه

سلم سلم وخَد إيدي في إيديه

وهمس لي قالّي الحق عليه

نسيت ساعتها بِعِدْنا ليه

فين دموعي للي ما نامت ليالي

بابتسامة من عيونوا نسّهالي

أمَرّعذاب.. وأحلى عذاب الحب.. عذاب الحب للأحباب

ما أقدِرْتِش أصبريوم على بُعده

ده الصبرعايزعايزصبرلوحده

وصفُولِي الصبرلقيتُه خيال، وكلام في الحب يا دوب يا دوب ينقال

وأهرُب من قلبي أروح على فين؟!

وتكتب خطابها على تلك الأغنية.. أهرب من قلبي أروح على فين؟!

إمضاء: زلفة صالح اللي بتحبك يا سلامة.

ثم تغلق خطابها وترسله مثل كل مرة، وتمر الأيام والليالي وزلفة تعدّ الوقت لتقابل سلامة، وبين الليل وضحاه أصبحت زلفة في كنف والدها الذي أصبح من كبار رجال الأعمال في مجال العقارات، سواء في البيع والشراء أو البناء، بجانب عمله في الاستيراد والتصدير في مجال العطارة والحبوب، غير امتلاكه لمزارع مواشي ودواجن، وأصبح اسم صالح العطار كبيرًا جدًا.

وهذا حدث بعد انتهاء حرب أكتوبر 1973 و انتصار مصر واسترداد أرضها، وبداية الانفتاح الذي استغله صالح العطار أحسن استغلال، واشترى أرضًا كبيرة في أحد المناطق الر اقية، وبنى عليها قصرًا سمّاه قصر العطار.

وظل يعمل ويعمل ويكنز من المال ما يرضيه.. ويرضي ابنته.

وظل يمر على الذهب الذي سرقه وينظرُ عليه وكأنه يستمد طاقته الحيوية من ذلك، يعلن للجميع أنه ملِكٌ متوّج في سماء أوزوريس، يشق العدل من رحم الباطل، ويعلن الحرب على منتهكي المقدسات، كم من إله يخلق ذاته ويريد أن يعبده الجميع، لا يوجد من يفْعَل ذلك غير المتمردين على تلك الدنيا، هم من يخلقون ذاتهم، مثل عفّت الذي ظل يلهو في علمِه ويستحضر شخصية الأنا، ويستمد قوة أنه ليس على خطأ، وأن ما فعله طيلة هذه السنوات دائمًا هو عين الصواب.

السرقة من أجل الحفاظ على الروح الكامنة لمصر، القتل من أجل الحفاظ على روحه من الاغتيال، المحرقة التي فعلها في قرية المنارة ما هي إلا رد اعتبار لذاته.

وبين كل تلك الهواجس التي تتربّع في عقل عفت ظلت تمر الساعات ساعة تلو الأخرى، حتى تأتي الأيام يتبعها الأسبوع فالشهر يُنهِي السنة.

***

-3-

بداية 1980..

كبرَت زلفة..

وأصبحت فتاة جميلة تشرق الشمس حين تبتسم، شعرها الأسود المتفحم ينبسط على كتفها كعاشق ينام على كتف عشيقته، وبياضها وعيونها السوداء يزيدانها جمالًا فوق جمالها، أصبحت زلفة عروسًا يتهافت العشاق للَفْت نظرها، ولكن والدها صالح العطار له رأي آخر؛ فقد قرر تزويجها من أحد أبناء رجال الأعمال الذين يشاركونه أعماله.

شاب وسيم من عائلة طيّبة ميسورة الحال، وتقدم لخطبتها من والدها، ولكن مَن تربَّى في نهر التمرد روى عطشه وبَلَّ ظمأه ووقف أمام عفت، ها هي زلفة ترفض الخطبة.. وفي قرارة نفسها ستنتظر سلامة حبيبها ومن تربَّت معه، ولكن عفَّت لم يرضَ بمثل هذا؛ فواجهته زلفة، وكانت هذه المواجهة بمثابة خنجر سيطعَنُ أحدهما.. زلفة أو والدها.

زلفة:

- ليه مش عايز تجوّزني سلامة؟!

يسمعها وتنزل كلمات زلفة على أذنه؛ فلم يستطع الكلام، وجلس شاردًا يفكر ماذا يقول لها، حتى تقترب منه وهي تربط على كتفه، عفَّت يفيق من غفوته ويمسح دمعة نزلت من عينيه.

تظل زلفة تنظر إليه نظرات نافذة، وهو يبتعد عن نظرة عينَيها، وفي لحظة عاد عفّت إلى وعيه وتذكر سنوات وهو يزفر.

- دي حكاية طويلة قوي يا بنتي.

- و أنا عايزة أسمعها.

كلماتها أصبحت هي المفتاح الذي فتح صندوق الذكريات الذي أغلقَه عفّت منذ زمن؛ فأخذها وأغلق عليها غرفته، وجلس يحكي لها حكاية قرية المنارة، الدموع تتساقط من عينيه، وظل يحكي وهي تستمِع ولا تتكلم، فقط صامتة.

يبدو عليها الصدمة وغير مصدقة لما تسمع، حتى انتهى عفت من حديثه.

لحظات من الصمت تسود.

تلملم زلفة روحَها وعيناها من الأرض، وترفعها في عين والدها، وتكاد دموعها تتساقط ولكنها تمنعها من السقوط، توجه له نظرات اتّهام بالقتل والحرق والإبادة؛ فيقاطعها هو بنظرات عينَيه بعد أن فهم ما تودّ أن تحدثه به، وقال لها:

- أنا عملت كل ده عشانِك، ماكانش قُدّامي حل تاني، بعد ما قتلوا أمك كانوا هيقتلوني ويقتلوكي، يا إما ياخدوكي تخدمي عندهم في دار السياف.

تستجمع قواها وتقف، تمسك يده وتقترب منه، تقبّل يده قبلة حنان، وتقول له:

- تسلم يدّك يا بُوي، انت صحيح قتَلْت، بس أنا ما أقدَرْش ألومَك، انت جبت حق أمي، ولو ماكُنتش جبتُه كنت هتصغر في نظري، بس دلوقتي انت كبير في نظري قوي يا بُوي.

قالتها بلهجة صعيديّة كأنها نشأت وترعرعَت في الصعيد، وبعد سماعها وهي تنطق بتلك الكلمات استجمع عفت قواه، وقال مبتسمًا مقبّلًا جبهتها:

- يعني انتي مش زعلانة مني؟

زلفة بجمود ونفور وتمرّد على الو اقع، وكأنها تقول بعينها أنا الملكة قالت:

- وأزعَل ليه؟! عشان جِبت حق أمي ومرَتَك؟! اللي حصل حصل ومحدش غيري وغيرك هيعرف اللي حصل خالص، ده سرنا.

قالتها وهي تحاول أن تمتلك زمام أمور والدها، وأيضًا لكي تنعم بالحياة الوردية القادمة دون المساس بدمائهم، وأن تأمن شرور نسل السياف.

وبعد أن سمع عفّت حديثها الأخير اتّسعَت عيناه بابتسامة تروِي وجهه بالحياة قائلًا:

- وفيه سر تاني كمان هيبقى سرنا ليوم الدين.

فتقاطعه زلفة بنفس اللحظة وتقول:

- وسلامة آنِي نسيته خلاص، ومو افقة على العريس اللي متقدملي، تمِّم كل حاجة على بركة الله يا بُويا.

نظر لها عفت نظرة المنتصر بالمعركة؛ فقد نجح في تربيته لابنته، فقرّبَها إليه وقبَّلَ جبينها، ثم أكمل كلامه، و انتبهت إليه زلفة وهو يُكمِل:

- تحت البيت اهْنِه فيه آثار ودهب كتير.. آثار بلدنا اللي مارضِتْش تطلع للإنجليز، هعلّمِك و أفهّمِك كل حاجة، بس كله في وقته.

أشارت له زلفة بايماءة من رأسها، واحتضنت أباها وقبَّلَت رأسه.

الموت يقترب لا محالة، والحياة أيضًا تقترب، ولكن غريب أن ينعم أحدٌ بذلك الميزان في وقت واحد، الموت والحياة؛ فهما وجهان لعملة واحدة، بقاء أو فناء إنسان، ولكن مع زلفة أصبحَت تمتلك الميزان لتحافظ على أبيها من الموت وتنعم بذاتها في الحياة.

وتم الزواج، وتزوّجَت زلفة من إبراهيم ابن رجل الأعمال محمد فهمي شريك والدها.

***

-4-

مرت الأيام سريعًا، تحمل بين طياتها الخيرات على صالح جرّاء مصاهرته لمحمد فهمي، الذي كان قريبًا وصديقًا لرجال الدولة في هذا الوقت؛ فتشَارَكَ معه في مشاريع تابعة للدولة.

هذا الوقت عاد سلامة السياف من أوروبا بعد ما أنهى دراسته، وحصل على شهادة في إدارة الأعمال، وعاد وقلبه يرفرف للقاء زلفة التي طالما أحبها، ولكنه أخفى حبه بين ثنايا قلبه؛ فزلفة الفتاة الصغيرة التي تربَّى معها و افترق عنها بعد وفاة والدته التي كانت تراعيهما؛ فلم يكن له أنيس ولا مؤنس غيرها.

عاد وعرف بخبر زواجها؛ فحزن قلبه حزنًا أخفاه عن أعين الجميع.

وذهب بذاته إلى عفّت الموردي، أو صالح كما يعلمه، ولما دخل على صالح العطار لأول وهلة شعر أنه يرى مختار السياف.

عيناه تصدق وعقله يكذب، مختار السياف يقف أمامه في عنفوان شبابه، نظرة عينَيه نفس الطول واللون القمحِيّ.

سلامة رغم قسوة والده عليه وعلى أمه إلا أنه أصبح شبيهًا له، وهذا أثارَ حفيظة صالح العطار، وشعر أنه كمَن ربَّى ذئبًا في بيته، يمكن أن ينهشه في أي وقت!

لحظات فاصلة بين رؤية سلامة واستعادة ذاته جعل قلبه يطمئن قليلًا؛ لأن سلامة حينها كان طفلًا صغيرًا لا يفقه أي شيء عن الحياة، ولم تخبره أمه عن تفاصيل عائلته.

كل ما يعرفه أن والده مختار كان صديقًا للحاج صالح، وتوفي في حادث، وأخذه الحاج صالح هو ووالدته لرعايتهما، وقد كبر في كنفه.

سلامة بحزن:

- ليه يا عمي ماو افِتْش بوعدك معايا؟

عفّت محاولًا أن يراوغه:

- كل شيء قسمة ونصيب يا ولدي.

سلامة وقد زاد حزنه وفرت الدموع من عينيه:

- أنا حبِّيتها وصبِرْت سنين عشان أرجَعْلَها ر افع راسي.

عفت:

- انْسَاها يا سلامة، وشاورعلى أي واحدة و أنا أجوّزهالَك.

سلامة:

- ماكُنتِش عايز غيرها.

يقاطعه عفّت بحدة:

- وخلاص اتجوزت وحامل كمان، يبقَى خلاص مفيش نصيب.

سلامة:

- بس...

عفّت مقاطعًا:

- مفيش كلام تاني يا ولدي، انت هتسافر الأقصر تتابع المشروع اللي بنْدِيرُه هناك.

صالح أراد أن يبعده؛ فأرسله ليدير مشروعًا تقوم شركته بتنفيذه في الأقصر، أطاع سلامة الحاج صالح، و انطلق بعد أن تأكد أنه فقَدَ حبيبته للأبد، وأصبح العمل همه الشاغل.

عملًا بأنه إذا مات القلب عاش المال، قرر سلامة أن يحمل رصيدَه في البنك على عاتقه، وأن يجتهد في عمله ليخلق لذاته الفرص الدائمة؛ ليأتي اليوم ويقود تلك الإمبراطورية بمفرده.

في الوقت ذاته زلفة أصبحَت حاملًا، وفي انتظار مولودها الأول، حينما وجدَت والدها ينظر إليها ويشرد ويتذكر والدتها عائشة والحزن يعتصر قلبه؛ فاقتربت منه، وقالت مشاكسة كعادتها:

- كنت بتحبّها؟

عفّت يخرج عن شروده، بابتسامة حب وحنان مسترجعًا الماضي:

- أيوة حبّيتها، الوحيدة اللي حبِّيتها، و اتربّت على إيدي وعلِّمتها كل حاجة.

فربتَت زلفة على يده بحبٍّ، وقبّلَت يده ورأسه.

يستكملا حديثهما عن والدتها في حب حتى مرت الليلة مرور الكرام، وقد علم عفّت أن لديه قلبًا يعشق وينبض باسم الحياة، وأن لديه عُمرًا استثمر قليلًا منه لذكريات تعيدُه من طيّات الموت إلى رياح الحياة.

زلفة أيضًا أصبحت تنعم بحب أبيها لوالدتها، وتستعيد ذكريات الماضي مع سلامة، ولكن دائمًا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن؛ فيدخل عليهما زوجها ويقطع حديثهما عن الحب والحياة والذكريات، متحدّثِين عن العمل والأموال في خيبات حظ من زلفة التي استمدت أكذوبة الحب من أبيها معلنة ضحكها، ونظرات حنينها إلى زوجها حتى خلدا إلى النوم في سلام.

***

-5-

الأقصر..

سلامة السياف منهمكٌ في عمله، يراجع جميع الأوراق الإدارية الخاصة بالمشروع، وأمامه من ضمن الأوراق كشفُ مرتبات عمال وموظفين المشروع يراجعه.

لفت انتباهه اسم عامل (حسن محمود عبد الحفيظ السياف)؛ فاستغرب اسمه لما له من شبه بينهما، ورفع سماعة الهاتف وطلب من السكرتيرة أن تبعث لمن يأتي به.

في اليوم التالي كان حسن و اقفًا بباب سلامة وهو يرتجف، ويتساءَل لماذا طلبه مدير المشروع؟! حتى فتح الباب ودخل ووقف أمام سلامة، فنظر له سلامة وهو يدخن سيجارته بعمق، قبل أن يشير إليه بالجلوس؟. ليسأله ماذا يشرب؟ فيرتجف حسن ويرتبك قائلًا:

- متشكريا بيه، هو فيه حاجة جنابك؟ أنا عملت حاجة؟!

سلامة مبتسمًا ناظرًا على قلة حيلته:

- مالك قلقان ليه كده؟ أنا عايزبس أسألك على حاجة.

حسن مستنكرًا حديثه:

- تسألني؟! وحضرتك هتسألني عن إيه؟

سلامة بجدية:

- اسمك إيه؟

حسن بارتباك:

- حسن محمود.

سلامة يشيرله بالاستمرار، حسن يأخذ نفسًا طويلًا:

- حسن محمود عبد الحفيظ السياف.

سلامة بابتسامة:

- و أنا سلامة مختار عبد الرازق السياف، مبيفكرّكش بحاجة الاسم ده؟

حسن وقد بدت الدهشة على وجهه:

- مختارعبد الرازق السياف.. انت ابن الحاج مختار الله يرحمه؟ اللي هو كان في قرية المنارة اللي تبع قنا؟

سلامة تتسع ابتسامته:

- أيوة يا حسن، احنا نبقَى ولاد عمومة، يااااه كان نفسي أقابل حد من أهلي من زمان.

حسن باستغراب:

- بس اللي أعرفُه إنك مُتّ انت كمان في الحريقة.

سلامة تستوقفه الكلمة:

- حريقة؟!

حسن مكملًا:

- أيوة حريقة.. انت ماتعرفش ولا إيه؟!

يحكي حسن كل ما حدث لسلامة، ما حضره وما سمعَه من والده منذ أن قُتِل عبد الرازق السياف حتى حريق قرية المنارة على أيدي عفّت الموردي ورجاله، ثم أكمل قائلًا:

- ولولا أنا و أبويا وأمي واخواتي كنا برَّه البلد في الوقت ده كنا رُوحْنا احنا كمان، ولما رجعنا عرفنا اللي حصل، وعفّت الموردي وأهله فصّ ملح وداب، محدش سمع عنه خبر.

وقع الكلام على عقل سلامة كالشواكيش تضرب في رأسه، وقد أيقن أنه قد عاش كذبة، ولكن لماذا كذبَت عليه والدته؟ ومن هو صالح العطار؟!

يجب أن يعرف الحقيقة كاملة.

نظر سلامة إلى حسن وقال:

- - عايز أروح قرية المنارة.

-6-

الطريق الصحراوي..

سيارة سلامة تشق الطريق من الأقصر إلى قرية المنارة في سرعة رهيبة، حتى أن حسن يجلس خائفًا من السرعة الجنونية التي يقود بها سلامة، وكان يتمتم بآيات قرآنية طوال الطريق.

وصل إلى القرية، فتح شباك سيارته واشتمّ رائحة الخشب المحروق منذ سنوات طويلة.

سلامة في تساؤل وقد عقد حاجبيه:

- هو ليه محدش ساكن هنا؟

حسن في صوت خافت، وكأن صوت والده هو من يتحدث:

- دي دار عيلة السياف الكبير، ومحدش جه ناحيتها من ساعة ما اتحرقت؛ عشان مالهُمْش حد ولا وريث ولا أي حاجة، كله مات، وفيه ناس بتقول إن المكان اتسكَن بعفاريتهم.

سلامة يعقد حاجبيه أكثر:

- وفين بيت الموردي؟

حسن باستغراب:

- قُدّام شوية، بس بتسأل ليه؟

سلامة بحزم:

- وصَّلني لِيه.

واندفع سلامة بالسيارة حتى وصل إلى منزل عفت الموردي، ونزل منها وأمر حسن بانتظاره، وأخرج كشافًا من السيارة، ودخل إلى المنزل ببطءٍ يتجوّل فيه، وصعد السلاسم وصوت الخشب تحت قدميه يصرخ بقوة، وصعد حتى وصل إلى الغرف، ودخلها ولم يجد شيئًا، حتى دخل إلى غرفة

كبيرة؛ فوجد فيها صورة بحجم كبير معلقة على الحائط، نظر إليها بتعجب كبير؛ فقد كانت ملامح الرجل في الصورة هي ملامح صالح العطار.

الرجل الذي رباه؛ فكيف تكون في منزل وغرفة عفّت الموردي؟!

بدأ عقل سلامة يربط جميع الأحداث ببعضها حتى توصّل إلى نتيجة أن عفّت الموردي بعد حريق القرية تخفَّى في شخصية صالح العطار، وعاش بها حتى يهرب من الشرطة التي بحثَت عنه طويلًا ولم تجده.

عينا سلامة جحظَت وحدّقَت في صورة عفّت، وأشعلَ سيجارته التي بدأ ينفث دخانها بقوة، وعندما تنظر إلى فوهة سيجارته وهو يسحب أنفاسه منها ويحترق التبغ، ويشتعل وسط الظلام الدامس، تشعر أنّ بؤرة من بؤر الجحيم قد فُتِحَت، وقد قرر سلامة السياف الانتقام لوالده وأجدادِه.

ولكنه يجب أن يستعد ويحرق الجميع كما أحرق عفّت جميع أهله، أراد أن يتأكد أكثر؛ فهبط السلالم متجهًا إلى سيارته بثقة وهدوء، فوجد حسن يجلس في انتظاره كما هو قائلًا:

- هو أبوك عايش؟

حسن يهز رأسه:

- أيوة عايش.

سلامة وهو شارد الذهن والكلام يخرج من فمه ككتل صخر:

- طب وصَّلْني أسلّم عليه.

وسار إلى الباب الآخر، أنزل فرامل اليد وأخذ يضغط على البنزين منطلقًا بسيارته إلى منزل حسن.

وصلا إلى المنزل، نزل حسن من السيارة يسبقُه؛ فوجد أباه يجلس في غرفة أُعِدَّت للضيوف تسمَّى المندرة، يجلس ويدخن الشيشة.

حسن:

- سلام عليكم يابا.

محمود بفرحة:

- وعليكم السلام يا ولدي، حمد لله على سلامتك.

حسن بارتباك:

- معايا ضيف يا حاج، أخليه يتفضّل؟

محمود بانتباه:

- وماله يا ولدي، ضيفك فوق راسنا.

فأشار حسن لسلامة بالقدوم، نزل سلامة من سيارته وألقى سيجارته المشتعلة وضغطها تحت أقدامه، ثم دلف إلى باب المندرَة.

وجد محمود يقف له احترامًا ناظرًا على سلامة الذي يتابع خطواته بثبات، وعندما شاهد محمود وجه سلامة وقف صامتًا كأنه رأى شبحًا، وتسمّرَت قدماه في الأرض.

سلامة:

- سلام عليكم يا حاج.

محمود بخوف:

- مين؟! مختار السياف!

وقع الاسم على أذن سلامة مفاجئًا له؛ فهل هو يشبه والدَه إلى هذا الحد كي يلقّبه محمود والد حسن باسم أبيه؟!

ولكن حسن قطَع الصمت الذي حدث للحظات، وقال:

- ده سلامة بيه يا بُوي.. مدير المشروع اللي هشتغل فيه.

محمود يعود بذكرياته؛ فيتذكر كيف كان مختار، فهو لا يختلف كثيرًا عن سلامة.

- أصلُه شبه واد عمِّي مختار السياف.

سلامة:

- هو شبهي قوي كده؟
محمود:
- قوي قوي.
سلامة بابتسامة وهو يقترب من عينَي محمود:
- عشان أنا ابنه يا عم محمود، أنا سلامة مختار عبد الرازق السياف.
نظر له محمود كمن ضربته صاعقة.
- سلامة ابن الست نعمة؟
أومأ له مختار برأسه إيجابًا:
- أيوة أنا.
محمود متعجبًا:
- يااااااه يا سلامة! انت شبه أبوك الخالق الناطق! نفس الوش ونفس الطول والعرض.. كل حاجة فيك أكّنك هو، عارف؟ أنا لما شوفتك افتكَرْت إني هموت وهو جاي ياخُدْني.
ضحك سلامة من تخيلات محمود، ثم أكمل محمود:
- بس انت إيه اللي فكّرَك بالبلد وبينا؟
تدخل حسن في الكلام:
- سلامة بيه زي ما قولتلَك يابا مدير المشروع اللي بشتغل فيه، ولما لقى تشابه في اسم العيلة بيني وبينه عرِف إن ليه عيلة، وجاي عايز يعرف إيه اللي حصل لأهله.
محمود وقد بدأ عليه الاستنكار:
- و انت ماكُنتش تعرف إن ليك عيلة؟!
سلامة:
- لأ، كل اللي كنت أعرفُه إن أبويا مات في حادثة، واللي رباني صاحبُه واحد اسمه الحاج صالح العطار، تعرفه؟
محمود مستنكرًا مرة أخرى:

- عمري ما سمعت عنه!

سلامة:

- طب احكيلي إيه اللي حصل لأهلي؟

محمود بأسى وهو يجلس ويربُت على كف يد سلامة:

- اللي حصل مايتْحِكِيش.. مجزرة عملها عفّت الموردي.

وظل محمود يسرد ما حدث في الماضي بكل التفاصيل؛ فقد استعاد الماضي بذكرياته الأليمة منذ أن بدأ عهد عفّت الموردي بالعمودية حتى ولادة زلفة، وسلامة يزيد الغضبُ بداخله أكثر.

وبعد مرور الوقت وإنهاء محمود حكاياته التي يحملها بين طيات ضلوعه، وكأنه يود أن يبوح بها، وفعلًا باح، ولكن في الوقت وللشخص الخطأ.

قام فجأة سلامة، وشكر محمود على حُسْن ضيافته والاستماع له، ثم توجّه لحسن بالكلام وشكرَه، وأعطاه أسبوعًا أجازة نظرًا لما فعله معه.

ركب سيارته بعد أن تأكّد أن الذي ربّاه هو عفّت الموردي قاتل أبيه، وأخذت السيارة تشقّ طريقها إلى القاهرة، تنهب الطريق نهبًا؛ فسلامة ينوي أن يأخذ بحقِّ والده، حتى مِن الذي أعطاه ملاذ الحياة.

وصل إلى القاهرة ونزل بأحد الفنادق التي تطل على النيل، و اتصل بعفَّت:

- ألووووو.. أيوة يا حاج صالح، أنا عايز أشوفَك.

عفّت:

- انت فين يا سلامة؟

- أنا هنا في القاهرة، في فندق سمراميس اللي على النيل.

عفت في صوته القلق:

- و إيه اللي جابَك كده؟! على الله يكون خير.

سلامة:

- خيريا حاج، ماتقلقش.

أغلق السماعة وجلس في انتظار عفّت، يدخّن سيجارة تلو الأخرى في شراهة ونهم، ينتظر لقاء قاتل والده في ليلة باردة، الجميع يختبئ في منزله متدثّرًا بملابس ثقيلة خوفًا من البرد، وبعد أقل من ساعة حضر عفّت إلى الفندق وقد بان عليه الكِبَر أكثر.

دخل وهو يتكئ على عصاه، و أبلغ المسؤول عن الاستقبال سلامةَ بحضور الحاج صالح، نزل واستقبله وطلب منه أن يتمشيّا على النيل قليلًا، فنظر عفَّت في عيني سلامة؛ فوجد فيهما ذئبًا جائعًا يسيل الزبد من بين شدقيه و أنيابه يريد أن ينقَضّ على فريسته ليلتهمها؛ فو افقه عفت بكل هدوء.

تمشّيَا حتى قطع عفّت الصمت عندما وصلا لمكان خالٍ من الناس يطل على النهر مباشرة.

وقف عفّت ونظر للمياه الجارية:

- عايز إيه يا سلامة؟

قالها عفّت بأسلوب بارد بدون النظر إلى سلامة.

- عايز أحكِيلَك حكاية غريبة يا حاج صالح.

عفت بسخرية:

- و انت جايبني في عز الليل وممشّيني في البرد عشان تسمَّعنِي حكاوي؟ ماشي.. احكِي يا ولد الغالية.

نظر له سلامة بضيق، ثم تحدث:

- وأنا بقلّب في ورق اليوميات والمرتبات لقيت واحد اسمه حسن محمود عبدالحفيظ السياف.

تنبه عفّت لكلامه، فأكمل سلامة:

- جِبتُه وقعدت معاه واتكلمت، واكتشَفت إنه ابن عمي، أصل أبوه يبقَى ابن عم أبويا، وإن احنا من بلد اسمها المنارة، وسمعت منه حكايات كتير.. إن أبويا وأهلي اتحرقُوا على إيد عُمدة ظالم اسمه عفّت الموردي؛ فطبعًا ماكدّبتش خبر وخدتُه ورُوحت على المنارة، ولقيت بيوت أهلي المحروقة، وبعد كده خدتُه وروحت على بيت العمدة الظالم اللي اسمه عفّت الموردي، بس لقيت هناك حاجة غريبة قوي.

حدجه سلامة بنظرة غاضبة، قبل أن يكمل:

- لقيت صورتك.. تفتكر كانت هناك بتعمل إيه؟

نظر له عفّت دون أن ينطق، وفي قرارة نفسه كان يعرف أن هذا اليوم سيأتي لا محالة، ولكن سلامه استكمل حديثه:

- إيه يا حاج صالح ساكت ليه؟ ولا أقولّك يا حضرة العُمدة عفّت أحسن؟!

نظر له عفّت بغضب:

- يا ابني...

سلامة مقاطعًا:

- ابنك!

ضحك سلامة ضحكات ساخرة قبل أن يستكمل:

- الوحيد اللي كان ممكن يقولّي الكلمة دي انت.. قتلتُه وحرقتُه واتجوّزت مراته، أنا معرفش هي ازّاي قِبْلِت تتجوّز اللي قتل جوزها، دا أنا كنت بشوف في عينيها حب ليك وأسمعها بتتكلّم عنك أحسن كلام.. يبقَى ازاي! الله يلعنها مطرح ما راحت، ولّا شكلها كانت عاشْقَاك وهي على ذمة أبويا ولا إيه؟!

عفت بقوة وهو يوجّه له صفعة:

- اخرس.. إياك تجيب سيرتها بكلام عِفِش، أمك ست طاهرة نضيفة، أبوك طخّها بالنار عشان وقفِت قصادُه لما قتل مَرَتِي أم زلفة، ورماك انت وهي للكلاب تنهَش فيكم، أبوك اللي انت جاي تتكلم عنه رمَاك ومابصّش ليك ولا حنّ عليك، وجاي دلوقتي تقف قُدّام اللي حَنّ عليك وربَّاك وكبّرَك وعلّمَك وتعمل فيها راجل.

سلامة وهو يمسك مكان الصفعة:

- قتلت أبويا ولا لأ؟

عفّت بعصبية:

- أيوة قتلتُه، ولو رجع بيا الزمن هقتله تاني وتالت وعاشر، أيوَة قتلتُه.. قتلت اللي مدِّيت له يدي بالسلام وكَسَرها لما موِّت مرَتِي، وكان عَينتِقِم من بِتِّي ويمرمط بشَرَفِي الأرض، أبوك كان ديب جعان مايهمُّوش حد غير روحه، كِيفَك دلوقتي و انت و اقف قدامي، نفس نظرته.. نفس كلامه.. نفس هيئته.. مابتفكّرش حتى اللي حصل لِيه.

سلامه بغل وحقد:

- اللي حصل حصل يا عفّت، والدم بالدم.

قالها وهو يخرج مسدسًا من حزامه، ولكنه فوجئ بعفّت يتحرك أسرع؛ فرغم كبر سن عفّت إلا أنه لم يفقد قوته.

عفت وهو يعقد حاجبيه ويتكلم بفحيح:

- يبقَى انت اللي اختَرْت يا ابن السياف.

أخرج سكينًا من حزام معلّق في حزامه، وطعنه في بطنه طعنة نافذة، ورفع عصاه ونزل بها على مقدمة وجهه؛ فسالت الدماء سريعًا على وجه سلامة، ثم أخرج عفّت سكّينَه من بطن سلامة، ودفع به إلى مياه النهر الجارية، و انتظر حتى غاص سلامة في أعماق النهر.

الْتفَتَ عفّت ونظر نظرة أخيرة على المياه قائلًا:

- عمركم ما هتتعلموا يا ولاد السياف.

و انطلق بعدها إلى منزله كأن شيئًا لم يكن.

فهو عفت الموردي بقوته وجبروته الذي لم يستطع الزمن وتقدم العمر أن يهزمه، يمشي رافعًا رأسه، يضرب عقله الذكريات كأنّ حريق المنارة بالأمس.

ولكنه نفض جميع الأفكار عن رأسه ومضى يكمل طريقه الذي بدأه منذ أكثر من ثلاثين عامًا.

الماضي لا يموت مهما حاولتَ أن تدفنه بداخلك، بل يظل يتردّد عليك ويزورك في يقظتك وأحلامك حتى تتذكره، وما تخفيه سوف يظهر في يوم ما.

مهما استطعت كتمان ذكرياتك وأحزانك سوف تعود، ولكن احذر؛ فحين تعود تنقلب حياتك رأسًا على عقب.

***

-7-

مرت السنين وفات ما فات، وغدت الحياة بالذكريات.. البعض يحيا ويعيش حياة الكرام، والآخر يموت ميته اللئام، القلوب تخفي سر الكلام، واللسان يحكي النورويتناسى الظلام.

يظل عفَّت الموردي على عرشه يسود كالذئب.. يشبه الكلب الوفي الأليف، ويطغَى في الظلام طغيان عدم الطاعة.

أنجبَت زلفة ولدَها الأول محمود، الذي فرِح به عفّت الموردي فرحًا شديدًا لرؤيته ذكرًا من نسله، صحيح أنه لا يحمل اسمه، ولكنه ابن ابنته زلفة التي أنجبَت له الولد الذي كان يتمنّاه طيلة حياته؛ فأمسك به ورفعه عاليًا بين يديه واحتضنه، ونزلت الدموع ساخنة من عينيه بكاءً على ما فات، وتمنّى لو أن هذا الولد وُلِدَ باكرًا؛ لكان أكمَلَ ما بدأه هو وأجداده، وما كانت خرجت العمودية من بيت الموردي، وعندما رأته زلفة على هذه الحال فهمت ما يدوربرأس والدها، تحدثت بلهجتها الصعيدية:

- هوِّن على نفسك يا بُوي، واعتبره ابنك وعلّمُه زي ما انت عاوز، أنا عارفة إن كان نفسك في واد من زمن، بس ربنا رزقك بيا.

عفّت والألم يعتصرقلبه:

- ربنا رزقني بأحلى هدية في الدنيا كلّاتها، وولادك هصُونهم وأعلّمهُم أحسن علام.

زلفة بابتسامة:

- و أنا عارفة كويس إن مفيش حد هيرعَاهم زيك، ومش هطّمّن عليهم مع حد غيرك.

ثم أمسكت يده وقبّلتهَا، وتحسَّسَ هو رأسها، حتى قاطعهما الرضيع ببكائه؛ فنظرإليه الاثنان بابتسامة حنونة.

ثم أنجبت زلفة ابنتها "حنين"، التي أصبحَت فتاتها المدلّلة منذ ولادتها حتى أنجبت "كريم" ابنها الثالث، الذي أصبح مدلّلًا هو الآخر يأتيه كل ما يريد، ثم أنجبَت نورا، ثم أنجبت يوسف، وأخيرًا أنجبَت آلاء، وأصبحت أُمًّا لستّة أبناء.

حتى جاء اليوم الذي جاءها فيه خبر وفاة زوجها في حادث سيارة وهو مسافر لإنهاء أحد الأعمال؛ فحزنت زلفة حزنًا شديدًا، ولكنها تماسكَت وأخذَت عهدًا على نفسها أن تُربّي أبناءَها وتعتني بهم، ويكونوا من أوائل اهتمامها، حتى أنه قد تقدم لها الكثير من الرجال للزواج منها، ولكنها رفضَت أن يكون لها اهتمام بأي شخص آخر غير أولادها.

وكبرت زلفة ومعها كَبُر أولادها الستة، وأصبحَت زلفة سيّدة كل القرارات، وباتَت تحمي أولادها من الشرور، بعد أن أصبحت إمبراطور الاستثمار في مصر.. العقارات.. المستشفيات.. مصانع لتصنيع الأدوية.. المال الوفير في البنوك وداخل السراديب، الكنز الذي لم ينفذ.. العلاقات العامة والخاصة، الكل يحتكم بأمرها.

فمحمود أصبح محاميًا كبيرًا يمسك إدارة الشؤون القانونية لجميع شركات زلفة، وهو الوحيد الذي أصبح سر زلفة الذي أخفته عن الجميع سواه.

و"حنين" قد تخرّجَت من كلية الطب، وأصبحت الفتاة الرقيقه المدلّلة هي مديرة المستشفى الخاص الذي تملكه "زلفة".

وكريم تخرج من كلية التجارة قسم إدارة الأعمال، وأصبح شابًّا يافعًا وسيمًا تتهافت الفتيات عليه، وأصبح يدير مجموعة شركات زلفة للأدوية والعقارات.

ونورا قد تخرّجَت من كلية الآداب، ولكنها لم تكن تريد أن تعمل؛ فأصبحت حياتها في المنزل، ونادرًا ما تخرج لمقابلة بعض صديقاتها المقرّبات.

ويوسف الذي يدرس في السنة النهائية بكلية الهندسة، ولكنه يهوَى التجارة والاستثمار.

وآلاء آخر العنقود.. الفتاة الصغيرة التي تدرس بكلية الإعلام في السنة الثانية.

وها هي الآن في ليلة من ليالي الألفينات الشهيرة، تجلس زلفة في قصرها بجانب والدها.

لقطه بانوراما على منزل زلفة من الخارج؛ فنرى لافتة مكتوب عليها (قصر عائلة العطار).. قصر كبير مُحاط بالورود والأشجار، وبها حمام سباحة كبير، ونرى إضاءة تشعّ من داخل المنزل، وأصوات ضحك زلفة تملأ المنزل.

داخل المنزل المحاصر بالأسوار العالية نرى عفت وقد تجاوز المائة عام من عمره، وفي عينَيه صورة القرية وهي تُحرَق وهو يقف داخل القطار ويتذكر كلمته:

- ماعايِزْش شبر واحد قايم على وش الأرض.. عايز الرماد يسود البلد كلها، هما اختاروا الدم و أنا اخترت النار اللي هيتشووا بيها في نار جهنم أورّيهَالهُم على حياة عينهم.

عفّت يظهر عليه العجز والشيخوخة وهو يحكي، وكأنه يرمِي الهم من فوق كتافه، وعيناه يملأها الدموع محاولًا إخفاءهما، يجلس في المنتصف.. على اليمين زلفة وعلى اليسار نورهان ابنة زلفة، وحولها أبناء زلفة الخمسة، وفي المنتصف طاولة عليها بعض اللب والسوداني والترمس و أكواب العصير؛ فنرى الشجن على وجه زلفة، ولو كنتَ هناك لأعطيتَها جائزة أفضل ممثلة لتصنعها الذي يجعل أعتى الرجال تنزل الدموع من عينيه متأثرًا بحديثها؛ فزلفة الفتاة الودودة الجميلة الر اقية أصبحَت مثل الحية ناعمة الملمس، ولكنها سامّة حادة الطباع، علّمَها عفّت أن تكون مثل الحرباء تتلوَّن حسب الموقف الذي تتواجد فيه.

زلفة:

- 60 راجل يا أبا يموتوا يوم ولادتي، لا وكمان عشان تنتقم منهم تولّع في البلد كلها؟!

كريم:

- ويا ترى يا جدّي انت رُوحْت البلد بعد ما ولَّعت فيها واستلمت أطيانك ولا كبَّرْت دماغك؟

عفت محاولًا كتم دموعِه، ونسمع أصوات التنهيدة من داخل نبرته المأساوية:

- رُوحت واستلمتها، وبدل ما مختار السياف يحطّ إيده على أرضِي وعرضي حطِّيت أنا يدِّي على كل حاجة يمتلكها، حتى مرَتُه اللي فضْلِت عايشة و انتقَلِت للمشتشفى خدتها وخَدت ولَدْها.

زلفة محاولةً أن تتنَاسَى حبها القديم، وأنها فضّلَت المال على حبها، وتقول في لهفة وكأنها أفضل ممثلة على الشاشات:

- قلبَك الطيب خلّاك ترعاهم وتتجوز مَرَت اللي قتل أمي، وتربِّي ابنها بدل ما تقتلهم وترميهم وتاخدهم بذنب مختار السياف.

عفت:

- ليه؟! هو أنا عزرائيل ولا إيه؟

فترفع آلاء ابنة زلفة حاجبها معلنة اعتراضها، فكيف لرجل قتل هذا الكم من الرجال يُنكِر على نفسه أنه عزرائيل؟! فالشيطان نفسه يخجل أن يمُوت هذا العدد بسببه دون وجه حق، بالتأكيد إنه سفاح أو قاتل مختل، ولكنه في النهاية جدها الذي تحبه وتجلس معه يوميًّا تتسامر معه، ثم تنتبه إلى أنهم ما زالوا يجلسون يكملون حديثهم؛ فتستمع إلى باقي الحوار.

عفّت مؤكدًا على حديثه:

- لا، اتبنِّيت الوَلَا وكبّرتُه في باطي، وفضِلْت محافظ على المَرَة لحد ما توكّلِت على الله.

زلفة تكمل تمثيلها ببراعة:

- والواد ده فين دلوقتي؟

عفّت كأنه لم يفعل شيئًا في الماضي:

- هاجِر بلاد أمريكا وأوروبا، كان عايز يكمّل باقي علامُه هناك، ادّيتُه فلوس تخليه يشتري البلد اللي هيعيش فيها.

نورا بسخرية:

- أمريكا وأوروبا! ازاي يعني يا جدي؟! فيه فرق كبير بين دي ودي.. دي قارّة ودي قارة.

فتلكزها زلفه من خلف عفّت؛ فتصمت نورا.

عفت بعدم فهم:

- كيف يعني يا بتّي؟ مش هما الاتنين فيهم خواجات؟ يبقى صح اكْدَه هما الاتنين واحد.

زلفة بحنان:

- انت صح يا بابا، هى بس نورا دي لسانها فالِت منها.

فتنظر زلفة على والدها وتمسك يده وتقبّله.

فيقف محمود من المجلس معلنًا خروجه منه، وتحاول زلفة إقناعه بالجلوس معهم، ويحاول محمود الهروب، ويقول في عنف:

- القاعدة حلوة بالنسبالكوا، إنما بالنسبة لي قعدة تغُمّ النفس.

فينظر على عفّت ويتركهم ويسير، وتنظر زلفة عليه، ونرى عينَيها محدّقة بجبروت تجاهه؛ فتمسك يد عفّت وتقبّلها.

زلفة تكمل وصلة الحنيّة المزيفة أمام أبنائها:

- ربنا يخليك لينا يا بابا، لو فيه أسرار تانى ناوي تقولها ماتقولهاش قُدّام العيال دي؛ لأحسن عينهم وحشة.. هيحسدونا ع النعمة.

نورا تُكمِل بسخرية:

- نعمة إيه يا ماما؟! انتي جيتي عملتي حرب في بلادكم وبعدها 60 راجل راحوا في الحريق (مقلدة زلفة) انتي وشّك وجه الخير.

زلفة غاضبة وهي تعقد حاجبَيها:

- شُوفت؟! خليت اللي يسْوَى واللي مايسْوَاش يتمأْلِس عليّا ازاي! يلّا معلش.. كله يهون يا حاج عفّت.

يوسف يحاول أن يلطّف الجو:

- بتهزريا ماما، انتي أحلى حاجة في الدنيا دي، حتى لولاكي ماكُنتش أنا جيت، و أنا تاني أحلى حاجة في الدنيا.

نورا (بسخرية):

- ده على أساس إنك جون تر افولتا؟

يوسف بلهجة صعيدية:

- لا، يوسف وِلْد زلفة.

فيضحك معها ويسلمّا على بعض؛ فتضحك زلفة، ويعود عفت من سكرات غيبوبته، ممسكًا بيد زلفة طالبًا منها أنها تساعده للصعود إلى حجرته؛ فتو افقه زلفة على الصعود.

يوسف معلنًا آخر محاولاته لإبقاء جده؛ فيداعبه عفّت في نهم وتعب:

- بُكرة يا ولدي فرجُه قريب، وأمك تبجي تحكِيلَك كل اللي انت عايزه، تصبحوا على خير.

فيقف عفت وتسنده زلفة ومعه نورا، ويقف يوسف ويذهب إلى حجرته، وتجلس آلاء وحنين يأكلان اللب، وهما في حالة من اللامبالاة كأن ما حدث لم يكن شيء.

يصعد يوسف إلى حجرته ناظرًا على صورة عفّت الموردي مرة، ثم ينظر على مكتبه، ثم يختلس نظره على حو ائط الحجرة، ثم يتجه إلى مكتبه جالسًا ويبدأ الكتابة.

نسمع صوته وهو يدوّن ما يقول ويدوّن (حكايات الجد)؛ فيقلب الصفحة.

فيوسف عاشق للكتابة، ويدوّن كل ما يحكيه جده ويحفره على ورق دفتره بقلمه، ولو استطاع أن يحفر الحكاية على الجدران لحفرها؛ ليتذكر الجميع ما فعل جده من أجل والدتة؛ فيتابع يوسف كتابته..

الانتقام هو الوسيلة الوحيدة التي يلجأ لها كل ذي سلطة ونفوذ، وبالطبع يستغل كل ما يملك في الطغيان؛ فنرى الغسق يحتضن السماء، ونرى اللهيب يسرح في الأوثان التي صنعناها في قلوبنا؛ لكي نتوّج الشر إلهًا ونعبده.

فيضع القلم وينظر على صورة عفّت الموردي المعلقة على الحائط، وبجانبه صورة أمه زلفة؛ فنرى الضحكة تمرّ على وجهه، ويمسك القلم ثانية ويستمر بالكتابة..

بل ونزيّن أفعالنا أنها من كرم إلهنا الجديد، و أننا نستطيع ملك زمام الخيرات والأمور طالما نسعد بنعيمه..

ويستمر بكتابة ما قصه عليه جده.

ننتقل من حجرة يوسف ونذهب إلى حجرة من عَرِف بكل ذلك من قبل، الذي يجلس بمفرده في الشرفة ناظرًا على القصر بأكمله يتذكر كلمات جده وما فعله، ويتذكر أيضًا ذلك الحمل الذي يحمله ويكنُّه بين ضلوعه؛ فهو حامي الحمَى الذي يحمي والدته بالقانون، يسير على خطاها، هو الوحيد من بين أولاد زلفة الذي معه طيّات الماضي والحاضر، وزمام أمور المستقبل، إنه الابن البِكْر محمود ذو الثامن والعشرين من العمر، يحمل أوزار الجميع وخطايا الكل.

عفّت كان يحلم بأن يكون محمود وكيل نيابة، ثم قاضيًا؛ ليعطي عائلته القوة والسلطة والنفوذ، ويُنقذ أسرته تحت سماء القانون، وعلى أعين ومرأَى من الجميع، وظل محمود يكافح من أجل تعيينه في النيابة،

ولكن الليل حكمَ على محمود بصفته الولد الأول في العائلة أن يكون هو السائد له.

جلس ليلة تخرّجِه من كلية الحقوق مع زلفة بعد أن هنأته بالتقبيل والهدايا الثمينة، وقالت له في شوق:

- اجلس يا ولَدِي واسمعني زِين.

- أول مرة يا أمي تتكلّمي معايا بالصعيدي.

- لأنك لازم تعرف ماضيك وتوْزِن الأمور زين، انت بَجِيت البِكْر والعصَب بتاعنا، و أنا عارفة إن الشِّيلة عَتكُون عليك صعبة، بس أنا و اثْجَة في ولَدِي إنه شيّال.

وقصَّت زلفة عليه ما دار من سنين في قرية المنارة وعملها، وتوسيع دائرة الآثار، وأنها لديها حياة أخرى في تجارة المخدرات بسبب زوجها الذي كان يتاجر مع الله في العلن، وفي الخفاء يتاجر في المخدرات، بل هو كبيرهم، واضطرت بأن تسير على خطاه وتحكم السوق من النِّهِّيبة (وهو اسم يُطلَق على الغجر عندما يمتلكون المال ويشعرون أنهم الكبار).

وظلت طوال الليل تحكي، محمود يتذكر كل هذا في خلسة من الوقت وهو يقف أمام شهادته التي أصبحَت معلقة على الحائط بداخل البرواز الخشبي، ويقترب من مكتبه الخاص، ويفتح الملف المكتوب عليه (لعنة زلفة)؛ فهو كان يرى أمه لعنة مات الكثيرون من أجل أن تحيا هي، وما دامت تمشي على الأرض ستسْتَمِرّ اللعنة، وسيموت آخرون أيضًا، وهذا هو شعوره الذي لم ولن يبوح به لأي أحد سوى نفسه.

يُمسك الملف ويفر في أوراقه، ويجد أرقام حسابات في جميع البنوك المصرية والأجنبية وأرصدة تتم نقلها يوميًا، واضعًا أوراقًا جديدة في ذلك الملف ويغلقه جيدًا، ويفتح خزنته الموضوعة داخل الحائط ويغلقها بكلمة السر، ويقترب محمود من سريره ويفرد ظهره زافرًا أنفاسه خارج صدره وهو يغمض عينَيه.

بجانب حجرة محمود يقطن جناح عفت الموردي الذي يسكنه طوال الليل، وتأنسه زوجته المصون والدة زلفة؛ فتدخل عليه زلفة وتجلس بجانبه وتقبّل يده، يقول عفت بصوت غليظ (مايّه).

تقترب زلفة منه، تسند رأسه وتعطي له الماء، يشرب رشفات متتالية، ثم يعود ليسند رأسه على السرير؛ فتنظر زلفة على عين عفّت لتجد الدموع تنهمر من عينَيه؛ فتمسحها له، وتقول زلفة لأول مرة يصعب عليها والدها:

- ليه بس كدا يا آبا؟

عفت:

- أمِّك اتوحَّشَتني.. اتأخَّرت النهاردة كتير عن ميعادها.

فتبتسم زلفة لعفَّت، وتقول في حياء:

- حب القلوب لساه عايش يا بوي.

وتضحك وعيناها تدمع، ليلتقط عفَّت أنفاسه، ويقول لها ناظرًا أمامه:

- حب القلوب هو اللي بيخلِّينا نعيش يا بنتي، وعشان اكْدَه لازم نحافظ عليه.

فتسمك زلفة يد والدها، وتتحسَّس يده وهي تملس عليها:

- طول عمرك يا بوي حكيم.. طول عمرك بتسند فينا ويتمدّنا بالحياة.

فتقبّل يده وتضعها بجانبه، لتجده يخلد إلى النوم؛ فترمي عليه غطاءه وتخرج من الحجرة، وعند غلق الباب يبتسم عفَّت وهو في مكانه ناظرًا على ضوء أبيض يأتيه من ناحية القمر، يظل عفّت ناظرًا عليه، حتى تخرج منه والدة زلفة وهي كالبدر في اكتماله، وجهها أبيض ذو عينَين واسعتين لامعتَين على ضيّ القمر، شعرها الحرير منسدل على كتفيها، وتقترب منه وتقول:

- اتوحشتك.

يبتسم لها رافعًا يده لها محدقًا في عينَيها:

- الدنيا بعدك صعبة قوي.

يقولها عفّت وهو يتذكر لحظاته معها، وينتابه الشعور بالذنب.

عفّت دائمًا يشعر أن وفاة زوجته بمثابة كسرة ظهر له؛ لأنه وجد فيها الأمان بعد ما فقده من زوجته صفية، التي تزوجها من بيت الزمشري وجعلت بيته على المشاع، وكل خطوة يخطوها يعلم عنها الجميع، إلى أن حدث اليوم المشئوم.. وفي نهايته بصيص الأمل المكتوب، ووجد الفتاة وكبَّرها وتزوَّجها، وعند ميعاد الفرح ويوم ولادة زلفة خسر كل شيء.. خسرها هي نفسها.

عفّت دائمًا يؤنّب ضميره تجاه والدة زلفة، ولا يستطيع النسيان أو أن يتناسى، يوم وفاتها وطريقة الوفاة، كل هذا بالنسبة له سواد ملتحِف في القبور، دائمًا ما يشعر أن ما فعله ليس فقط لإنقاذ زلفة، بل هو الأخذ بالثأر لوفاة قلبه.. قلبه الذي عاش من أجله، وبالبغاء قتله الجميع، واضطر هو أن يجعلهم يجنوا ثمار العفن ويواجهوا الموت بأشر الطرق.

وبعد أن مرت الدقائق المعدودة من الذكريات التي جعلَت عفت يتذكر سنينًا مضت خلد إلى النوم معلنًا استسلامه لموت قلبه مثل كل يوم عندما يعجز عقله عن الحياة يعلن وفاته الأبدية.

عفّت أصبح يتمنّى الموت كل لحظة ليرتاح عقله وقلبه من عذاب الضمير تجاه كل هؤلاء الذين تعلق دماءهم في رقبته، حتى زلفة التي سارَت على خطاه في جبروته.

زلفة امتلكت القلب الحنون على أبنائها، وعقلًا مدبّرًا ومخططًا لكل الرذائل التي يمتلكها عفّت.

فكانت زلفة التي تتحدث بحب وحنان مع أبنائها هي نفسها المرأة الخطيرة التي يخاف منها الرجال، ويقفون لها احترامًا وينفذون كلامها

طاعة لها واحترامًا منها؛ فزلفة كانت امرأة لا ترحم، علّمَها عفّت أن القتل يجعل الجميع يهابُك؛ فأصبحَت تقتل من يفكر في رفع عينه أمامها، ليضع الجميع أعينهم تحت أقدامها، وأصبح مجرد ذكر اسمها ترتجف القلوب منه.

في نفس الليلة تجلس زلفة داخل مكتبها تباشر أسهم البورصة وأسماء الشركات وأسعار الأسهم، حتى يأتيها اتصال هاتفي من عبد الستار الزيّات، ويحدثها عن الصفقة التي يجب تنفيذها، وأن أحد رجال الأعمال يريد أن يعقد صفقة معها على الفور؛ فتجاريه زلفة في حديثه معلنة أن لكل مقام مقال، ويجب على هذا الرجل إعلان ذاته؛ لأنه يتعامل مع سيدة لها ثقلها في عالم المال والأعمال، وتُنهِي حديثها معه على إبرام ميعاد للتفاوض بشأن كل ذاك، وتغلق الهاتف.

تقف زلفة وتسير خطوات تجاه المكتبة الموضوعة داخل مكتبها، وتضغط على زر أبيض في منتصف الكتب، وتفتح المكتبة لتكشف عن سرداب مظلم، تنزل زلفة إلى السرداب، وهي تنزل تُنِير الإضاءة بسِينْسُور حساس، وينير السرداب بأكمله ليظهر ما بداخله.

على الجانبين زجاج، كل صندوق زجاجي يحوي قطعة أثرية من طراز فرعونيّ فريد، وعلى آخر ضفة من السرداب تلك الصناديق الخشبية التي تم سرقتها من أبناء السياف، تقترب زلفة منها لتفتحها وتخرج بقطعة ذهبية لامعة، وتمسك بخاتم فرعوني وترتديه، و أيضًا كردان تضعه بين يديها، وتسير ببطء خارج السرداب، وتُطفئ الإضاءة كما أنيرت وتغلق المكتبة، لتخرج من الحجرة وتقابل كريم ابنها الثالث.

كريم شاب عمره أربعة وعشرون عامًا، ويمتلك مصنع أدوية وشركة لتجارة المقاولات، وبالطبع كل أملاكه تحت يد زلفة، يسلّم كريم على أمه ويقبّل يدها، وها هو بصدد أن ينعم بصفقة جديدة تزيد من أرباحهم،

يقابل زلفة بالترحاب ويقدم لها كشف حساب بأرقام تتخطى العشرة ملايين:

- أنا اللي جبت الديب من ديله!

تنعم زلفة بنظرته وتهنّئه، ويتجه إلى حجرته معلنًا تغيير ملابسه ليحيا ليلاه.

كريم حياته الشخصية ليست ملكًا له، ولكنها ملكٌ لفتيات الليل.. مِلْك الديسكو والرقص وشرب الخمر، كريم يحيا حياة السكّير وينعم بملاذ السرير، ويتفنن في إبقاء عقله شاردًا في بحور الرذيلة وكل ما هو جديد في عالم المخدرات؛ فهو يفعل ما يشاء وقتما شاء؛ فهو ابن زلفة، السيدة التي تمتلك السلطة والقوة والنفوذ؛ فمن سيوقفه عن فعل ما يريد، وهو يعرف جيدًا أن زلفة لن تتركه إذا حدث معه أي شيء، وأنها سوف تتحرك سريعًا بأسطول سياراتها ورجالها للحاق به؛ فهو ابنها المدلّل الذي يدير أكبر شركاتها.

وفي تلك الليلة يذهب إلى الديسكو ليقابل وردة.. الفتاة التي تشاغله بجمالها وتداعبه بأفكارها.

يدخل كريم إلى الديسكو ويمسك بأول كأس أمامه، ويداعب الشباب الجالسين على الطاولة، ويذهب إلى البار ويقف وهو يتناول المكسرات، يقذف واحدة إلى أعلى فتلتقطها، وردة وهي ترتدي الفستان الأحمر، وتمسك القطعة تأكلها وتضحك معه، يقابلها بالترحاب؛ فتهمس في أذنه.

هما الاثنان يقفان ويتراقصان على أنغام الـ(هِيب هُوب) معلنِين فرحتهما، ويظلان يتراقصان إلى وقت قريب من الفجر، ثم يدخل من الباب "أحمد صابر" رجلٌ ثلاثيني.. ينظر على كريم ووردة ويجلس على البار، ويختلس نظراته على وردة التي تسحب كريم من يده (كالخروف) وتنزل معه إلى الجراج.

تركن زلفة سيارتها وعيناها تلمعان مثل قطة شرسة تترقب بحذر، وتنظر حولها بهدوء قبل أن تنزل من السيارة، وتقترب من باب حديديّ لمضيفة يمتلكها عبد الستار الزيات، وترن الجرس، ويقترب عبد الستار ويفتح الباب وينظر على زلفة في ثواني معدودة من ظفر قدمها إلى الملحفة التي ترتديها على رأسها، محدّقًا بالخاتم التي ترتديه والكردان.

يسمح لها بالدخول إلى المضيفة حجريّة، التي يجلس بها البير الدبلوماسي في إحدى الدول الأوروبية.. تجلس زلفة أمامه وهو يحدق بعينَيه في الكردان والخاتم اللذان ترتديهما زلفة، ويبتلع ريقه وعيناه تنتبهم النشوة على ذلك، زلفة تقرأ عينَي البير..ناظرة على عبد الستار نظرة لؤم ومكر؛ فيردها عبد الستار إلى البير الذي يخرج عن صمته هامسًا في أذن عبد الستار، ويبتعد عنه ويمد يده إلى زلفة.

عبد الستار:

- الكردان والخاتم لنفس السلالة، وده معناه إن فيه عيلة كاملة بين إيديك.. ارمي بياضك.

فتفتح زلفة حقيبتها وتخرج بالتمثال الذهبي وتعطيه إلى البير، في نفس اللحظة يمد عبد الستار يده ليمسك التمثال، ولكنها تُبعدُه وتنظر له، وتقترب ناحية البير وتعطي التمثال له.

يمسك البير التمثال ويرتدي نظارته العدسة الواحدة المكبّرة للتفاصيل، ويتفحص التمثال ليُبدي إعجابه الشديد بالتمثال مشيرًا إلى زلفة التي تحدثه بإشارة أصبعيها الإبهام والسبابة (الفلوس).

فيخرج البير عن صمته معلنًا لغته القوية في نطق العربية:

- أنا بِدّي كل المجموعة الخاص بالتمثال ده.

زلفة ملعنة ابتسامتها:

- والله كويس أنك ماطلِعْتِش أخرس.. قولتلي بقَى إنك عاوز المجموعة كاملة؟ انت تقدر على تمنها؟

البير:

- تمنها هيدّفِع مرتين.. مرة السعر الحقيقي، ومرة عشان نكسب محبتك.

زلفة:

- لا محبتي إيه؟! أنا محبتي ماتتّاقِلش بمال، بس اعتبِر إن بقى ليك ذرة محبة.. الفلوس تحضر واحنا جاهزين.

البير:

- الميعاد خلال يومين، المكان هبلغك بيه قبلها بساعة.

زلفة:

- مابحبّش المفاجآت، الميعاد والمكان يتبلّغوا مع بعض.. (بأسلوب حذر) ده لو عايز الصفقة تتم.

تسحب زلفة من يده التمثال وترمي السلام وتخرج من الباب، ثم يختلس البير نظرة إلى عبد الستار الذي يُدير رأسه مسرعًا في تقلّب مزاج وشحوب وجه.

تخرج بخطوات هادئة ناظرة على وجه عبد الستار من الشباك الزجاجي، وتشعر أن هناك كمينًا يتمّ تحضيره لها؛ فتركب السيارة وتسير بمحرك ثابت، وتخرج مسدّسًا من طراز ال 9 مل وتعمّره وتضعه أسفل فرامل اليد، وتسير خارج المزرعة.

تركن سيارة في جراج مستشفى (الموردي التخصصي)، تنزل منها سيدة أربعينية، تسير في الجراج وتذهب إلى المصعد، تركب المصعد وتضغط على زر الدور الرابع.

يقف المصعد في الدور الرابع، تنزل السيدة وتضع يدها على القبعة السوداء التي ترتديها لتخفي ملامح وجهها، تتجه ناحية مكتب المدير العام تحاول فتح الباب، وتكرر هزّ الأُكرة ولا يُفتَح؛ فتعود بخطوات أسرع إلى المصعد، وتضغط على زر الجراج؛ فتنزل إلى أسفل، ويفتح المصعد في

الجراج، تخرج السيدة من المصعد وتتجه إلى سيارتها، تفتح باب السيارة وتجلس بداخلها، تضع المفتاح في مشغل السيارة؛ لتُفاجَأ بسلاحٍ مصوب في رأسها، ويُضغَط الزناد ليتناثر الدم في أنحاء السيارة.

في غرفة مراقب الكاميرات.. يجلس شندي على المونيتور يقلّب في الكاميرا،ت يجد كشاف سيارة عاكس على حائط؛ فيتحدث في اللاسلكيّ:

- شوف يا طارق إيه اللي في الجراج.

يظل ناظرًا حتى يدخل طارق إلى بؤرة الإضاءة ناظرًا على الكاميرا، حتى يسير خطوات ويختفي من الكاميرا تمامًا، يعقد شندي حاجبَيه غير مدرك أي شيء مما حدث، يسمع صوت طارق في اللاسلكي يقول:

- الْحَق يا شندي فيه جثة هنا.. الْحَق بسرعة!

- الْحَق بسرعة!

يقولها الحارس الذي يجلس بجانب السائق وهما يلحقان بسيارة تويوتا التي تقودها زلفة مسرعة؛ فتحاول زلفة تهدئة السيارة حتى يقترب منها السائق، فتسحب المسدس طراز ال 9 مل، وعندما تقترب من تنك البنزين الخاص بهم تضربه رصاصة؛ فتنفجر سيارتهم، تلف زلفة سيارتها وتسير عكس الاتجاه لمسارها الصحيح، وتهندم ملحفتها في المرآة، وتسير واضعة يدها تتحسَّس المناديل على تابلو سيارتها .

على تابلو سيارة مرسيدس "كريم" واضع أنفه ويستنشق المسحوق الأبيض (هيروين) ساحبًا شهيقًا نافرًا زفيرًا يفيض بما في صدره، ويعدل جلسته ضاحكًا بصوت عالٍ أمام وردة:

- إيه الدماغ دي! كانت غايبة عني فين؟!

وردة:

- بين إيديك وتحت أمرك.

فتقترب منه ظاهرة ثديها له، واضعة تذكرة أخرى فوق ثديها؛ فينظر كريم في نهمٍ مبتلعًا ريقه، مقتربًا بلسانه منها، ماسكًا ذلك الثدي وهو يعتصره بين يده، ونرى الشبق على وجهها، وبعد لحظات يهتز كاوتش السيارة؛ فيقترب أحد الحرس مبتسمًا إلى السيارة، ويسير يمسك هاتفه ويفتح إذاعة نجوم إف إم على أغنية "عنيا بتحبك".

عنيّا بتحبك وقلبي بيحبك

وحضني بيضمك ده يبقى إيه؟!

معايا وواحشني.. بعيد بتوحشني

في حجرة حمدية الشغالة داخل منزل زلفة على حافة القصر.. تسمع حمدية تلك الأغنية الرومانسية وتضع الروج على شفتَيها لتجعلها وردية، وتمسك هاتفها الـ 3330، وتكتب رسالة (وحشتني يا روحي.. عاوزة أشوفك).

يرن جرس الرسالة على هاتف حارس الأمن، ليفصل وصلته الغنائية ويقرأ الرسالة مبتسمًا إلى الهاتف واضعًا إياه على المكتب الخشبي، لينتبه إلى باب السيارة المرسيدس يُفتح وينزل منها كريم غير مبالٍ للحياة، يترنّح يمينًا وشمالًا و اقعًا على الأرض؛ فيقترب حارس الأمن من كريم ليسنده ناظرًا على وردة التي ترمي له ورقة بفئة الـ 200 جنيه؛ فيرمي الحارس يدَ كريم ويلتقط ال 200 جنيه، ويعاود مسك كريم ويجلسه في الباب الخلفي لسيارته، ويجلس حارس الأمن في مقعد السائق ويسير به خارج الجراج.

تجلس حنين على سريرها وهي مندمجة في قراءة الرو اية الكلاسيكية (لا أنام)، فيرن هاتفها وتتحسس الهاتف، وترد لتسمع ضجيجًا يخرجها من حالتها الشاردة قائلة في ارتعاد:

- حادثة إيه؟ أنا جايّة حالًا.

- (حالًا آه.. لا مفيش منه الكلام ده).

في الحجرة المجاورة تجلس آلاء وهي تتحدث في التليفون مع عمر صديقها وزميلها في الجامعة، وعلى موجات نجوم إف إم التي أعلنَت وصول صوت شيرين بأغنية (عايزة ألمِلم قلبي وأحضن نفسي وأمشي بعيد) تحاول آلاء أن تكسر كل قواعد عائلة الموردي، وتبتسم بكل حب وأُلفة وتظل تحدّث عمر عن ما تحلم به وما تنعم به من حياة العاشقين، وتتمنَّى لو كان الزمان يأتي لها كفارس مغوار يخطفها على حصانه الأبيض ذي الشعر الكثيف، ويطير بها إلى سماء الحنين والشوق؛ ليتعبد في دلالها وتعطيه عسلها، ومع ابتسامتها اللامعة يمر الوقت مرور الكرام.

وبعد مرور نصف ساعة تعود زلفة إلى المنزل، وتقابل حنين وهي تجري على درج القصر بملابس غير مرتبة.

زلفة:

- مالك فيه إيه؟

حنين:

- فيه جريمة قتل حصلت عندي في المستشفى.

تسمع زلفة الخبر ويأتي على أذنها كالصاعقة.

زلفة:

- جريمة قتل! نهار أبيض! طيب اهدِي.. فين محمود هخليه يجي معاكي؟

حنين:

- لا.. أنا هروح وخلِّيه هو يحصلني.

فتنزل حنين مسرعة إلى أسفل، وتصعد زلفة إلى أعلى وتدخل حجرة محمود، وتجده نائمًا؛ فيقف مفزوعًا، وتقول له:

- الليلة شكلها فيها بلاوي كتير، وواضح إن فيه حد متفق علينا.

يرد عليها محمود وهو عاقد حاجبيه:

- ليه؟! إيه اللي حصل؟!

يسأل ويعطي لزلفة كامل أذنيه.

زلفة:

- كنت بسلّم لعبد الستار التمثال ده وعمَلِّي كمين، وأختك دلوقتي بتقول إن فيه حادثة عندها في المستشفى.

ينهار محمود أمام أمه، وينفعل عليها:

- تاني عبد الستار الزفت ده! مش قولت قبل كدا بلاش ده، ما السماسرة كتير..

تقاطعه زلفة وتحاول أن تقود الموقف من البداية:

- الموضوع أكبر من السماسرة، اسمعني كويس.. لازم ترُوح وتخلص الموضوع عند أختك، وتحاول تجيب عبد الستار راكِع لحد عندي.

محمود:

- حاضر يا ست زلفة.. كله هيحصل؟

يقولها وهو متأفف، ويهم إلى الدولاب الخاص به ويرتدي ملابسه واضعًا هاتفه على أذنه متصلًا على المستشار الإعلامي، ويقول له:

- عايزَك تمجّد في مستشفى ا لموردي إن مفيش منها اتنين في البلد، ده يحصل من دلوقتي.

ويغلق الهاتف.

يخرج من حجرته مسرعًا، وينزل درج السلم ويخرج خارج القصر، ليُفاجأ بسيارة أخيه كريم على الطريق وهو يحاول أن يفتح الباب معلنا عن كحة لا إرادية؛ فيقترب محمود من سيارة كريم، وينظر على هندامه ليجده مهترئًا وعلى بناطله آثار مر افقة وردة؛ فيبتسم محمود ويعكس طارة السيارة ويسير تجاه مستشفى الموردي.

يركب كريم سيارته ويقودها ليدخل القصر، ويصعد إلى أعلى ليمر من أمام غرفة عفت الموردي النائم على السرير، وتجلس بجانبه زلفة

ممسكة يده تتحسّس وريده وكأنها تمتلك العالم، تنظر زلفة على كريم وهو يمر من أمامها، تنظر عليه بمكر وتظل تتحسّس يد والدها بيد وتمسك هاتفها باليد الأخرى، وتتصل بمحمود، وبعد ثوانٍ تحدثه:

- إيه اللي حصل في المستشفى عند حنين؟

صوت محمود في هدوء:

- جريمة قتل.. واحدة ست اسمها نورا السيد هي اللي اتقتلت.

تسمع زلفة الاسم، ويقع على أذنها كالصاعقة؛ فتصرخ زلفة:

- ارجع دلوقتي ولِمّ اخواتك، احنا بيتغدِر بينا.

تغلق زلفة الهاتف، وتتحرك من جانب والدها، تتصل في الهاتف وهي في قمة غضبها، وتتحدث:

- ألو.. شُوفْت اللي حصل؟

تسمع صوتًا أجشّ عبر الهاتف:

- ماتقلقيش.. كلّه هيخلص.

فتنفعل زلفة أكثر وأكتر:

- ازاي ما أقلقش؟! بقولّك الست اتقتلِت في مستشفى بنتي، انت عارف دي كانت جايّة ليه؟ السر هيتكشف.. لازم كل حاجة تمر وتعدِّي بسلام.

لتدخل حمدية وفي يدها كوب من الماء، وبجانبه قرص أبيض، وتقول:

- ميعاد الدوا يا هانم.

ترد عليها زلفة في هدوء:

- ماشي، قرّبِي ادِّيهُولُه.

تخرج زلفة من الحجرة وتغلق الباب خلفها، لتقترب حمديّة من سرير عفت الموردي وتغيّر الحبة البيضاء إلى حبة صفراء وتضعها في فم عفّت الموردي، وتسند رأسه وتسقيه الماء وتضعه على المنضدة وينام، وتخرج حمدية من الحجرة معلنة نزولها من القصر وخروجها من الباب الخلفي

للمطبخ، لتقابل سيارة مرسيدس سوداء، وتستلم ظرفًا أبيض به أوراق دولارات، وتبتعد قليلًا عن السيارة وتدخل داخل القصر مسرعة، وتقف في المطبخ تلتفت يمينًا وشمالًا واضعة الظرف الأبيض أسفل السجاد الموضوع على الأرض، وتلتقط أنفاسها واضعةً يدها على صدرها محاولة تهدئة ذاتها.

***

-8-

في مستشفى ا لموردي تقف حنين تشاهد جثة السيدة الأربعينية وفي عينَيها الدموع والخوف، وترتعد بجسدها وهي تنظر إلى المحقّقِين الذين يقفون يتحدثون مع موظفي الأمن والأطباء والممرضين، وعلي الجانب الآخر يجلس رافعو البصمات من الطب الشرعي يمارسون عملهم ويستكشفون عالم الجريمة، يقترب محمود منهم معلنًا أنه المحامي الخاص بالمجموعة، ويلتقي بالمحقق معلنا صوته ويقول:

- واضح الجريمة كانت منظمة جدًا، حد مستهدف القتيلة، ومع طلوعها لحد فوق وبصماتها على مكتب الدكتورة حنين كان واضح إن فيه حاجة هتحصل غير مبررة.

ينظر محمود على حنين التي تقف وهي قلقة، ويستأذن من المحقق ويذهب إليها، ويطبطب على يدها ويقول لها:

- ماتقلقيش!

ويحضر المحقق وفي يده كيس هيروين شاهرًا إياه أمام أعين محمود، ينظر محمود عليه ثم ينظر على حنين، ليسمع الجميع صوت سرينة سيارة شرطة من الخارج، ويدخل رجل ستينيّ إلى المحقق، ويسلم عليه في ترحاب، ويحدثه بعيدًا عن حنين ومحمود، وبعد لحظات يهز المحقق رأسه معلنًا للجميع الانسحاب فورًا من المكان، وبدون أن تشعر حنين تلتفت يمينًا وشمالًا ولا تجد أحدًا داخل الجراج؛ فتنهار في البكاء وتجلس بجانب أقرب عامود في الجراج؛ فيقترب منها أخوها محمود محاولًا أن يحتضنها، ولا يحاول أن يسيطر عليها من شدة انهيارها؛ فيمسك بيدها ويقربها من المصعد ويجلسها بداخله لتصعد إلى أعلى، وتسير في الطرقة

المؤدية إلى مكتبها، جميع العاملين ينظرون عليها في شفقة إلى أن دخلت مكتبها.

محمود يهم بالحديث محاولًا أن يجعلها تتماسك:

- لازم تهدِي، انتي صاحبة ومديرة المستشفى، ماينفعش حد يشُوفك و اقعة كدا، مع إني عارف إن اللي شوفتيه صعب، بس برضه انتي قدّها ولازم تقْوِي، ماتبقيش ضعيفة؛ لأنك قوية.

يجلس أمامها قليلًا لتخرج من انهيارها معلنة قرارها الأخير.

- أنا لازم أعيّن مدير للمستشفى هنا، و أنا خلِّيني رئيس مجلس الإدارة بس.

يهز محمود رأسه معلنًا مو افقته لها.

- هعرض الكلام على ماما، وهي أكيد مش هتعترض على حاجة فيها مصلحتك.

تمسح دموعها وتشرب قليلًا من الماء، ويدخل عليها هلال عامل البوفيه واضعًا مشروبها الساخن الذي تفضله؛ فيشكره محمود، ويخرج هلال في هدوء تام.

يرن جرس هاتف كريم المُلقَى على سرير في وضعية نوم الحياة الأخرى، وبعد عدة مرات من رن الهاتف يفيق، ويتحدث بصوت ناعس وعيون لا تستطيع أن تُفتح:

- ألو.

يسمع كريم صوتًا من الناحية الأخرى ولا يعطي له اهتمام؛ فيقع الهاتف من يده ويستكمل نومه، ويظل الصوت يتحدث:

- كل حاجة عنك بقت معانا، ولازم تسمع الكلام وتمشي عليه وإلا الموت هيطولك، قدّامك ساعتين وتكون عندي هنا في العنوان اللي هيجيلك في رسالة.

ويغلق الهاتف، ويظن المتصل وهو يغيّر صوته أنه قدأاغلق الهاتف في وجه كريم، و أنه واعٍ لما يسمعه، ولا يدرك أنه في معية الرحمن.

وبعد ثوان معدودة تصل رسالة بها عنوان المقابلة، و أيضًا لم ينتبه لها كريم ويظل خالدًا في نومه لا يشعر بأحد على الإطلاق، حتى تدخل عليه زلفة وتنظر على نومته، وتلتقط أنفاسها وتقول في ذاتها:

- يخلق من ضهر العالم فاسد، أنا و أبوك عملنا إمبراطورية تعيش لأجيال، و انت جاي تقضيها مع ستات وشرب، ليك وقفه يا كريم يا ابن عيلة فهمي!

ثم تقلّب في ملفاته وفي الأدراج؛ فتخرج من الدرج أقراص الفياجرا الزرقاء، ومن درج آخر مجلات بها فتيات عاريات وكوتشينة على هيئة الفتيات مرقمة، ولا تجد أي شيء يحثّها أنه رجل أعمال، وتقول في صوت عالٍ:

- كمان معندكش أوراق مهمة، أمّال الشركة بتديرها ازّاي أنا عايزة افهم؟!

لتبتسم زلفة في شفقة على كريم، وتخرج من الحجرة وتغلقها خلفها، وتسير في طرقة القصر وتسير، لتجد نورًا خافتًا نابضًا من حجرة آلاء؛ فترى على وجهها الشرود، وتسير زلفة ناحية حجرة آلاء، وتفتح عليها الباب وتنظر عليها في اسهلال، وهي تجلس وتكتب خاطرة تنطقها بصوتها..

(حبيتك من يومين.. وحسيت كأني أعرفك من سنين.. وما بين اليومين والسنين حبّيتَك يا ابن الناس الطيبين).

وتقولها آلاء كأنها وليدة اللحظة، نابضة من وحي خيال مفحم؛ فآلاء كانت دائمًا الفتاة الرومانسية التي تريد أن تعيش حياتها بدون قيود، تريد أن تجد فقط من يشاركها اهتماماتها ويشجعها، وسوف تقضي معه ما تبقى من عمرها ترعاه؛ فهي من نوعية الفتيات اللاتي يجدن الحب في

المشاركة، وتريد أن تبني حياتها مع من تحب، ويكبرا سويًّا وهما يجدان كل شيء صغير يكبر معهما، وتستكمل (عرِفْتك لأنك طيب، وكلامك مني قريب.. والمعرفة جابت حب، وفجأة هي هي (شهقة تمثيلية للكلام) عشقتك يا حب عمري)؛ فتقاطعها زلفة بتصفيق حاد معلنة أنها أنجبت فنانة.

- بر افو عليكي يا فنانة، ده احنا نفتح شركة إنتاج بقى. (ضاحكة).

فترد عليها آلاء:

- مش قوي يعني، ممكن أطبع ديوان خواطر.

فتجيبها زلفة مسرعة:

- احنا نفتح مصنع سخانات يسخن دمك البارد اللي فيكي ده.

آلاء تنزعج من نبرة زلفة الحادة، وترد عليها:

- ليه بس يا ماما فيه إيه؟!

ليقاطعها جرس هاتف زلفة باسم محمود؛ فترد زلفة مسرعة، وتسمع صوت محمود يقول لها في ارتياح:

- كل شيء عدا في سلام.. طمِّني بالِك.

ويغلق الهاتف لتعود من انفعالها على آلاء، وتداعبها مرة أخرى، ويظلان يداعبان بعضهما البعض، ويتسامران في الحديث، وتحكي لها آلاء ما يخطر في بالها، ونرى على زلفة إحساس الأمان بالحوار مع آلاء، كأنها تعيد لها طفولتها وحيويتها بحركات عفوية، ويمر الوقت مرور الكرام بين ضحكات وكلام، وتنضم إليهما أختها الأكبر نورا، ويظلون يتحدثون في أسلوب هادئ، وفي نهاية المطاف تدخل حنين عليهم وعلى وجهها آثار البكاء؛ لتقابلها زلفة بحضن أمويّ يجعل بصر آلاء ونورا يتجه ناحيتهم، والدموع تنهمر من عينَيهم، فتقول لها زلفة:

- ماتزعليش من أي حاجة، لسّه العمر باقي.

وتعود زلفة لتحضنها مرة أخرى، ثم يحتضنون هم الثلاثة بعضهم البعض، لتشرح حنين ما عاشت فيه في يومها هذا.

- اليوم النهاردة مرّ كأنه ألف سنة، الجثة لسِتّ عندها 44 سنة، شكلها اليت قوي.. حاجة كدا سوبر وومان في نفسها.. اتقتلِت، كل ده مش مشكلة، المشكلة إني عرفت إن محمود أخويا ده واصل جدًا في البلد، لا فعلًا يُعتمَد عليه.

زلفة بقوة:

- مفيش حد من ولاد زلفة مايُعتمَدْش عليه.

تجد زلفة محمود وقد حضر إلى المنزل، ويبدو عليه التعب والإرهاق، وينظر لحنين نظرة قاسية.

- حنين، عايزِك في أوضتي.

زلفة بقلق:

- فيه إيه يا محمود؟

محمود بهدوء:

- مفيش، هتعرفي كل حاجة بعدين، بس أتكلم مع الدكتورة الأول.

ويشير إلى حنين:

- مستنيكي.

تتحرك حنين خلف محمود وهي تنظر إلى آلاء بقلق، وآلاء تبادلها نفس النظرات، وزلفة تنظر لها نظرات استفهام، وحنين تنظر لها بعدم فهم.

ثم تتحرك لتلحق بمحمود، وتدخل إلى غرفته فتجد محمود ينظر من شرفته ويعطيها ظهره، وعندما شعر بدخولها وقف عاقدًا يديه أمام صدره، وتحدث بهدوء:

- خليكي و اقفة.

فتنظرله في استغراب حنين:

- أمر جناب سعادة الباشا.. اتفضل، أجيبلَك واحد قهوة ولا عصير لمون بالنعناع؟

محمود بحزم:

- هاتجبيلي تليفونك دلوقتي.

حنين باستغراب:

- فيه إيه يا محمود مالك؟ انت بتكلمني كدا ليه؟ اوعً يكون جدك أثَّرعليك وخدت منه القصه وهتنفذها علينا في البيت!

محمود يبدو على وجهه الغضب:

- مابهزرش، ومش وقت كلام في الموضوع.

حنين غاضبة:

- محمود، أنا مش متهمة بحاجة، وانت هنا في البيت مش في المحكمه، فُكَّك بقى من جو المحاكم ده.

فتقترب من الباب لتخرج؛ فيوقفها بكلماته:

- عشان احنا هنا في البيت خلينا نتكلم باحترام وأخلاق وآدمية، بدل والله العظيم أسحِلِك وأخلّي كرامتك ماتسواش.

حنين يعلو صوتها هي الأخرى:

- لا انت اتجنّنت رسمي، اوعي تفتكر إنك ملك الموت، فوق يا ابني.

محمود يقترب منها:

- أفوق! آه حاضر هفوق، بعد ما أعرف مين الأستاذ زياد عطيه ده؟

حنين تبتلع ريقها:

- زميلي عادي جدًا.

محمود بانفعال:

- زميل بس؟

حنين تنفعل وكأنها تخفي شيئًا ما:

- مالك يامحمود؟ إيه اللهجة دي أصلًا؟! اتكلم معايا عدِل وماتنساش إني دكتورة وليّا سني ومقامي برضه.

تدخل زلفة وأختها آلاء ونورا على علوّ صوتهم.

- فيه إيه يا محمود؟ انتوا بتتخانقوا ليه كده؟

حنين:

- الحقيني يا ماما، محمود بيعاملني على إني عيّلة صغيرة، نِسِي إني دكتورة.

محمود:

- ما أنا مش ناسي إنك دكتورة وليكي سنِّك ومقامك، عشان كدا.. (تتغيّر نبرة صوته، ويمسكها من شعرها ويقترب بها من المرآة) أنا راضي ذمّتِك.. ده شكل واحدة تبقى عروسة؟! ده شكل واحدة يجليها عريس أصلًا؟

فيمسكها من خدودها:

- دي خدود واحدة تتجوز راجل دكتور محترم!

زلفة باستغراب:

- هو فيه إيه بالظبط؟!

محمود وهو يضحك بسخرية:

- الهانم جايِّلها عريس دكتور زميلها.

زلفة وهي تبتسم:

- وده جالَك امتى؟

محمود وهو يجلس على أحد الكراسي:

- بعد ما خلَّصنا تحقيق جريمة القتل جالِي وعزمني على قهوة وفاتحني في الموضوع، وقولتله هشوف وهرد عليك.

يمسكها من خدودها:

- دي خدود واحدة تتجوز راجل دكتور محترم!

حنين وهي في يد محمود:

- مالها خدودي؟ ما هي بنت ناس أهي.

آلاء ونورا بفرحة:

- مبروووك يا حنونة.

فجأة يجدون كريم ويوسف على باب الغرفة، كريم بسخرية:

- هي مين دي اللي عروسة؟! والله وكبرتي وبقَى يجيلك عرسان.

حنين:

- خليك في حالك انت يا بتاع السهر.

كريم بغضب:

- شايفَة يا ماما قلة الأدب؟

يوسف بسخرية هو الأكثر:

- يا مجانين يا ولاد زلفة! انتي يا ماما ماخلّفتِيش حد عاقل غيري.

زلفة وهي تبتسم:

- كلكم ولادي وكلكم عاقلين، بس تقريبًا فيه تاتْش هَطَل وارْثِينه من عيلة أبوكم.

يضحك الجميع.

زلفة تكمل:

- محمود، شوفلي حكاية سي الدكتور نادر ده إيه بالظبط وبلغني.

ثم تلتفت للبنات:

- والهوانم إيه؟ هيقضوا بقية اليوم هنا؟ مفيش وراهم حاجة؟ يلّا كل واحةه تشوف وراها إيه.

ثم تلتفت إلى كريم:

- كريم بيه اللي لسه صاحيلي المغرب، إيه؟ مش هنظبط نفسنا ومواعيدنا ولا إيه؟! يلا شوف وراك إيه، ولا هتسيب الدنيا تخرب؟

يوسف يتحرك قبل أن تكلمه زلفة، ولكن زلفة تباغته:
- يوسف، رايح فين؟
يوسف بتوتر:
- هشوف يمكن ورايا حاجة أنا كمان أعملها.
زلفة بجمود و ابتسامة ساخرة:
- من ناحية وراك؛ فانت وراك كتير، قدامي على أوضتك.
يوسف بتردد:
- ليه طيب؟ أنا عملت إيه؟
كريم بسخرية:
- يوسف هيتشلوح شكْلُه.
زلفة وهي تعقد حاجبيها:
- بتقول حاجة يا كريم بيه؟
كريم وهو يتلجلج:
- بقول هشوف عندي مكالمات و إيميلات عايز أخلصها.
زلفة:
- يستحسن برضُه.
ثم تتحرك وتأخذ يوسف معها وتدخل به إلى غرفته.
زلفة بحزم:
- اقعد يا يوسف.. تقدر تقولّي إيه ده؟
فيجلس يوسف أمامها؛ فتعطي له ورقة، ينظر يوسف علي الورقه ويتوتر:
- آه، ده كشف حسابي في البنك.
زلفة تعقد حاجبيها وتضع قدمًا فوق الأخرى وهي تنظر له نظرة اتهام.
- ولما كشف حسابك في البنك يبقى 10 مليون جنيه زيادة أنا معرفش عنهم حاجة، يبقى إيه الحل؟

يوسف يزفر بضيق:

- انتي بتتجسّسِي عليّا يا ماما؟

زلفة بحدة:

- عيب لما تقول لأمك حاجه زي كدا، أنا عايزة مصلحتك ومش هقبل إن أي حد يعمل حاجة غلط.

يوسف بثقة مدافعًا عن نفسه:

- آه طيب، رصيدي فعلًا زاد لأني عملت 3 صفقات لحسابي الشخصي، واطمني.. هما بعيد جدًا عن شركاتك.

زلفة بتساؤل:

- وال3 صفقات دول حلال ولا حرام؟

يوسف بابتسامة هادئة:

- والله العظيم حلال.

زلفة تبتسم له:

- مصدقاك، بس عايزة ملف تفصيلي عن الشغل ده، ولما انت شاطر قوي كدا في البيزنس ليه ماجتش وقولتلي؟ وأنا اللي فاكراك عيّل بيصرف بس!

يوسف يمسك يدها ويقبلها:

- ما أنا شاطر عشان أنا ابن زلفة.

زلفة وهي تربت على رأسه:

- وأنا واثقة فيك.

تتحرك لتفتح الباب لتخرج؛ فتجد نورا وآلاء تقفان خارج الباب.

زلفة:

- بتعملوا إيه هنا؟

آلاء بتوتر:

- آآآآآآآآآآآآآآآ

نورا تساعدها:

- كنا خايفين على يوسف ليكون عمل حاجة غلط.

زلفة بنظرة خبث:

- والله؟ وسمعتوا إيه بقى؟

آلاء بابتسامة:

- مفيش، يعني مش أكتر من 10 مليون جنيه، أظن ده كفاية، وعايزين الحلاوة.

زلفة تنظر ليوسف وتبتسم:

- قابل يا بيزنس مان.

تخرج زلفة وتغلق آلاء ونورا الباب خلفهما ويمثلان دور ريا وسكينة، ويوسف يتراجع.

آلاء تمثل دور سكينة:

- إيه يا شابّة؟ خايفة من إيه؟

نورا تمثل دور ريّا:

- ده احنا هنريحوكي.

يوسف:

- الله يسامحك يا ماما.

زلفة بحنيتها وطيبتها وابتسامتها الواسعة لم تكن الأم المثالية كما اعتقد أبناؤها؛ فهذا كان الجانب اللطيف في شخصيتها؛ فهي كانت تعرف كل شيء عن أبنائها، تراقبهم دائمًا، تضعهم نصب عينيها خوفًا عليهم من شرور أعدائها.

وبعد مرور يومين تسير فيهما الأمور بطبيعة والروتين المعتاد لأسرة الموردي.. كلٌّ يدير المنشأة المختص بإدارتها، أو يعمل ما يحب دون الإضرار بمصالح العائلة، حتى هذا الصباح عندما فوجئ كريم بخسارة صفقة كبيرة كانت ستدرُّ أرباحًا كبيرة لشركته.

نجد الخادمة حمدية تفتح الباب لـ"سيد" سكرتير "كريم"، وتجده يدخل والعرق يتصبب من جبينه بغزارة، ويبدو القلق والارتباك على وجهه.

سيد بقلق:

- كريم بيه موجود؟

حمدية بلا مبالاة:

- آه موجود بس نايم.

سيد والقلق يزداد:

- طب صحِّيه بسرعة، عمّال أكلِّمُه من بدري ومابيردش، قوليله فيه مصيبة.

حمدية تتحرك سريعًا وتصعد لتوقظ كريم، وزلفة تدخل لتجد سيد يجلس في قلق ويتصبب عرقًا.

- ازيك يا سيد؟

سيد وقد ازداد توتره:

- أهلًا وسهلًا يا ست هانم.

زلفة بهدوء:

- فيه حاجة ولا إيه يا سيد؟ مالك؟!

سيد وكما تكون زلفة قد أعطته الإشارة ليتكلم:

- خسرنا صفقة كبيرة يا ست هانم، وبدوَّر على كريم بيه مش عارف أوصلُّه.

كريم يدخل مسرعًا وهو يتثاءب:

- فيه إيه يا وش الخير؟ اشجيني.

- خسرنا صفقة شاليهات القرى السياحية.

كريم بانفعال:

- ازاي؟! أنا كنت مظبّط كل حاجة والعطا بتاعنا متقدم على حسب هوا اللجنة.

سيد متوترًا:

- مش عارف سعادتك، في آخر لحظة دخلت شركة السندسي وخدت الصفقة.

كريم بغضب:

- هي مريم السندسي دخلت اللعبة امتى؟ ما كانت برَّاها!

سيد:

- الله أعلم سعادتك.

كريم بغضب وحنق"

- طب غور من وشي دلوقتي، وعايز كل مديرين الإدارات في اجتماع، و أنا جاي كمان ساعة.

كل هذا كان يحدث على مرأى ومسمع من زلفة التي لم يعجبها تعامل كريم مع الموقف، ورغم قسوتها إلا أنها لا تحب أن يُنهر أحد أمامها، وبعد خروج سيد بدأت الكلام.

- ماكانش ينفع تهين الراجل كده، سيد مالوش ذنب.

كريم بانفعال:

- أُمّال ذنب مين؟

زلفة منفعلة:

- ذنبك انت! انت صاحب المال اللي لازم يشقَى ويتعب ورا شغله لحد ما يخلّصه وينجّحُه، مش سايب شغلك للموظفين وداير تتسرمحلي في الكباريهات للفَجْر.

كريم ينفعل أكثر:

- ماما مش وقته، احنا في إيه ولا في إيه؟!

زلفة بحدة وقد احمرَّت عيناها:

- هو القرف ده اللي وصَّلنا لكده.. استهتارك وصّلَك إنك تخسر يا كريم بيه، يا اللي فاكر كل حاجة سهلة.

محمود ويوسف ينزلان من غرفهما على صوت زلفة.

محمود متسائلًا:

- فيه إيه يا ماما؟ إيه اللي حصل؟!

زلفة بهدوء حذر:

- البيه أخوك خسر صفقة بملايين من حتّة بنت صغيرة.

كريم منفعلًا ويتوعد:

- والله ما هسيبها غير لما أخسَّرها كل حاجة.

محمود يهدِّئ زلفة:

- طب اهدِي يا ماما، كل حاجة وليها حل، مين البت دي؟

كريم يزفر في ضيق:

- مريم السندسي.

عندما يسمع يوسف الاسم يتغيّر لون وجهه ويوجه الكلام لكريم:

- هو انت كنت داخل صفقة بناء الشاليهات؟

كريم بلا مبالاة:

- أيوة.

ثم ينتبه لمعرفة يوسف بالموضوع.

- و انت إيه اللي عرّفَك بالصفقه دي؟!

يوسف بهدوء:

- خلاص يا كريم، اعتبر الموضوع محلول، ومفيش خسارة إن شاء الله.

كريم ينظر باستغراب ليوسف:

- ازاي مفيش خسارة؟! انت عارف الصفقة دي كانت هتكسّبنا كام؟! مش هسيب مريم.. هسحلها!

يوسف بانفعال:

- ولا تقدر تمسّ شعرة منها.

ينظر له الجميع باستغراب، ويوسف ينتبه لكلامه ويهدأ.

- كريم، اهدى وكل حاجة هتتحل.

زلفة تنظر ليوسف محدّقة في عينيه:

- انت ليك دخل بالصفقة دي؟

يوسف بتنهيدة:

- أيوة يا ماما، أنا شريك مريم السندسي، و أنا اللي كنت شغال على الصفقه دي، بس ماكُنتش أعرف والله إن كريم داخلها، اسم شركته ماجاش قدامي.

زلفة بهدوء:

- اسم الشركة ماجاش قدامك لأن أخوك كان داخل الصفقة من الباطن تحت اسم شركة حد في السوق عمَلنا معاه شراكة.

كريم ينفعل ويمسك يوسف من ملابسه:

- و انت بقى عاملِّي عبقري وبيزنس مان وبتشارك كمان مريم السندسي!

زلفة بصوت عالٍ:

- كريم، سيب أخوك.

محمود وهو يبتسم بسخرية ليوسف:

- كل ده يطلع منك انت؟! ده انت سوسة!

ثم يوجه كلامه لكريم:

- خلاص بقى يا عم كريم، ماراحِتْش لحد غريب.. أخوك برضُه.

يوسف وهو يبدو على وجهه الحزن:

- أنا آسف يا كريم.. أنا آسف يا ماما، بس وعد منِّي إني هظبَّط كل حاجة.

محمود يتدخل بحنكة:

- طب أنا عندي حل، مادام انت يا سي كريم كنت داخل من الباطن، والأستاذ يوسف برضُه مشارك من الباطن، حطُّوا إيديكم في إيدين بعض وتدخلُوا المشروع سوا، وتشارك مريم السندسي بدل ما هي حاطَّة عليك كده.

زلفة:

- فكرة حلوة يا محمود.

كريم:

- والهانم تفتكر هتو افق؟ ده احنا بينا مشاكل كتير.

يوسف بلهجة صعيدية:

- ماتجْلَجْش يا وِلْد أبُوي، مريم ما هترفضلِيش طلب، رغم إنها مابطِيقَكْش بس أخوك مسيطر.

كريم بسخرية:

- ده شكله مش شغل بس، ده شكلها فيه حاجات تانية.

يوسف يسخر أيضًا من كريم:

- يعني.. فيه شوية حاجات كده، مش لازم تعرف كل حاجة.

محمود وهو يضحك:

- ولادِك دول مسخرة يا زلفة.

زلفة وهي تضحك عليهم:

- ولسه ياما هنشوف.

ثم تتحول إلى امرأة صعيدية في لهجتها:

- اسمعوا انتو الاتنين وركزوا زِين في اللي هجُولُه.. احنا عيلة واحدة يعني عزوة، أسِّسنا إمبراطورية لأجل ما نكون جُوَّة واحدة ضد أي حد

يفكر إنه يضر مصلحتنا، مش عشان نهدوا بعض إياك، اللي حصل دلوجْت أول وآخر مرة أشوفُه، ولو شوفتُه مرة تانية من حد فيكم هجتلُه بيَدِّي، يلّا كله على أوضتُه.

فينصرف الجميع ويصعدون على غرفهم، وتقف زلفة كاشفة عن أنيابها حتى يصعدوا.

وتقف زلفة شامخة الرأس بعد أن أعطت لأولادها درسًا لن ينسوه، وفي نفس الوقت حذرتهم من غضبها، وماذا يمكن أن تفعل بهم إذا خرج أحدهم عن مبادئها و أفكارها؟ وهي الأفكار التي زرعها داخلها عفّت الموردي؛ فعاشَت قوية تأمر كما تشاء والكل في طاعتها.

زلفة الأم الحنونة التي تعطف على أبنائها وتحنو عليهم هي نفسها زلفة المرأة القوية التي يهابها الجميع، ويُذَل أمامها الرجال؛ فقد جمعت بين صفتين هم الأقوى بين جميع الصفات.. الجمال والقوة.

***

-9-

الليالي تمر على الجميع والأحداث تطرق الأبواب المغلقة؛ ففي كل طريق بدايته ظلم لا بُدّ أن يسوده السواد وينتهي بالظلمات.

في المستشفى نجد الدكتور زياد عطية يتحرك بخطوات و اثقة داخل المستشفى، ويدخل إلى غرفة الملفات ويفتح بعض الأدراج، ويأخذ ملفًّا ويتحرك خارجًا بثقة.

مكتب محمود نجدُه يجلس وأمامه بعض القضايا يدرسها، ثم يشرد ويفكر في كلام جده الذي قتَل وسفك دماء الآخرين، وأحرق قرية كاملة و أباد عائلة فقط لتحيا ابنته، وكان يفكر كيف لإنسان أن يفعل جميع هذه الموبقات ويبقى نظيفًا؟! فعل كل هذا من أجل ابنته التي نقل إليها جميع خبر اته، وأصبحت نسخة منه، يمكن أن تفعل أي شيء في سبيل أن تحيا هي وأولادها.

حتى يفيق من أفكاره ويتذكر أنها أمه، وهو يعيش في خيرات ما حدث، ومر عليه العديد من السنوات وأصبحت فكرة واحدة تراوده؛ إنه سوف يدفع ثمن ما حدث في الماضي، لا يعرف لماذا أتاه هذا الشعور؟! ولكنه كان متيقّنًا منه.

***

في مكتب حنين في المستشفى كانت تجلس شاردة الذهن، حتى دخل عليها زياد؛ فانتبهت ونظرت بعيون خائرة، حتى تحدث زياد:

- خلاص، اللي اتفقنا عليه قرَّب يحصل؟

حنين والدموع تترقرق في عينيها:

- هيحصل، ماتقلقش.

زياد بابتسامه خبيثة:

- أرجو إنك ماتكُونيش زعلانة مني، احنا مصلحتنا واحدة، وأهم حاجة إننا نكسب ونبقى مع بعض.

حنين:

- أكيد، أهم حاجة المكسب.

وينظران إلى بعضهما، وزياد تتسع ابتسامته الخبيثة أكثر، وحنين تنظرله والأفكارتضرب برأسها.

***

في الجامعه كانت تجلس آلاء مع أحمد زميلها وحبيبها، الذي ظهر أمامها في أحد الأيام معلنًا حبه لها، ولأن آلاء فتاة رقيقة تمتلك مشاعر رومانسية وقعت في حبه هي الأخرى، ولكن أحمد لم تكن نواياه جيدة؛ فقد كان يستغل حبها من أجل الحصول على المال منها تحت مسمى الحب، ولكن آلاء لم تفطن إلى ذلك؛ فقد كانت طرقُه خبيثة مثله، واستطاع أن يمتلك قلبها وعقلها؛ فقد كانت مخدّرة بحبه لا ترى شخصًا غيره، رغم أنه فقيرلا يملك قوت يومه ولا حتى مصاريف جامعته، ولكنها أحبته، بل عشقته رغم ذلك، ربما كان السبب لقراءتها الروايات وتبحرها في عالم العشق والرومانسية، والذي استطاع حبيبها المزعوم أن يمتلكها من هذه الفكرة.

***

في المنزل كانت تجلس نورا في حديقة القصر تُمسِك هاتفها وتتحدث مع أصدقائها الذين افتقدتهم منذ أن تخرّجَت من الجامعة؛ فلا يوجد في حياتها شيء مهم تفعله؛ فهي لا تحب العمل ولا تحب الالتزام بالمواعيد، فقط تحب أن تجلس وتقرأ في كتاب أو تخرج في بعض الأوقات مع صديقاتها، وتنتظر بهدوء فارس أحلامها الذي سيخطفها على حصانه الأبيض، حتى أتتها رسالة من شخص مجهول على الماسنجر يريد التعارف.

- هاي.. ممكن نتعرف؟

نظرت إلى الرسالة وصمتَت للحظات، قبل أن تتحرك أصابعها ناحية لوحة المفاتيح، ثم تعود سريعًا وتغلق الماسنجر دون رد.

***

يوسف يجلس مع مريم السندسي في أحد الكافيهات يتحدثان.. مريم السندسي التي تعرف عليها يوسف في إحدى المرات التي كان يسافر فيها مع أصدقائه، وتعرَّف عليها وعرف منها أن والدها يمتلك شركات وهي من تديرها بعد أن تخرّجَت من الجامعة، وهو ما شجَّع يوسف لأن يتجه إلى سوق العمل، ليس فقط لإثبات نفسه، ولكن أيضًا لأنه أحبَّ مريم.. الفتاة الجميلة الرقيقة، ورغم أنها تكبره بعام ونصف إلا أن هذا لم يمنعه من حبه لها، ولم يمنعها هي أيضًا من تقبل هذا الحب؛ فهي وجدت في يوسف الرجل الذي يمكنأأن تعتمد عليه رغم صغر سنه، ولكن ذكاءه ولباقته كانا يعطيانه سنًّا أكبر، وبالفعل اتفقا أن تدوم علاقتهما كحبيب وحبيبة، وأن يعملا سويًّا، وفي فترة قصيرة ارتفعت أسهم شركات السندسي لحنكة يوسف في التعامل مع الأوراق المالية، ومهاراته في إتمام الصفقات، ولكن اليوم كانا يجلسن من أجل صفقة الشاليهات.

مريم تزفر في ضيق:

- مش ممكن يا يوسف، انت عارف احنا تعبنا قدّ إيه عشان ناخد الصفقه دي، انت نفسك ماكُنتش بتنام.

يوسف بهدوء:

- بس ده أخويا يا مريم، ولو كنت أعرف من الأول إنه داخل الصفقة دي ماكُنتش دخلتها.

مريم عاقدة حاجبيها:

- يعني انت شايف إن الحل إننا نسيبهاله؟

يوسف يبتسم في هدوء:

- لا، أنا شايف إن مكاسبنا هتكون أكبر بشراكتنا لكريم.

مريم غير فاهمة قصدة:

- ازاي؟!

يوسف بهدوء أكبر وهو يمسك يدها:

- اسم شركة كريم في السوق أكبر من اسم السندسي -مع احترامي لوالدك طبعًا- ودي فرصتنا إن اسمنا يلمع في السوق أكتر، يعني شراكته لو كانت بتقلل نسبة أرباحنا شوية بس هي هتزوّد فرصتنا إننا نكبر ونلمع ونسمّع، وساعتها لما نبقى أكبر احنا اللي نتحكم، وغير كده نسبتي ونسبتك مع بعض أكبر من نسبته؛ فاحنا اللي هنبقى متحكمين في كل حاجة، هو هيبقَى شريك على الورق وبس، لُه نسبته من الأرباح في الآخر، إنما حق الإشراف والمتابعة وأي إمضا على ورقة هتكون مننا احنا.

مريم بسخرية:

- وتفتكر أخوك المبجل هيوافق؟

يوسف وهو يغمز لمريم:

- معتقدش إنه هيقف قدام أخوه ومراته.

مريم مرتبكة:

- مراته!

يوسف:

- أيوة يا مريم.. أنا عايز أتجوزك.

***

-10-

زلفة تجلس في مكتبها تتابع بعض الأعمال وتمضي بعض الأوراق، حتى دخل إليها محمود ومعه ملف، قدّمه لها مكتوب عليه زياد عطية.

زلفه وهي ترفع عينها بهدوء:

- دي كل حاجة عنه؟

محمود يجلس أمامها:

- أيوة، هي حنين ماتكلّمِتش؟

زلفة وهي تتابع عملها دون أن تنظر إليه:

- لأ.

محمود بتساؤل:

- يا ترى هي ناوية على إيه؟

زلفة وهي ترفع عينها ناحيته وتزفر في ضيق:

- معرفش، بس أيًّا كانت النتيجة لازم نكون جنبها ونحميها.

***

كريم مثل عادته يسهر في أحد النوادي الليلية ومعه وردة، ويُفاجَأ باتصال من رقم خاص، وعندما يستقبل كريم المكالمة يسمع كلمات تهديد ووعيد!

المتصل بلهجة حادة:

- احنا عارفين كل حاجة، ومعانا كل الأدلة، خمسة مليون جنيه يا إما الأدلة هتتسلّم للنيابة.

ويغلق المتصل الهاتف، وكريم ينظر إلى الهاتف باستغراب:

- هي ناقصة اشتغالات وشغل نصب!

ويكمل كريم ما يفعل من شرب خمر ووقوع في ملذات وردة، حتى تأخذه وردة ليقابل رجلًا يُسمّى حاتم الألفي، ويجلس معه كريم ويتحدثان حول الشركات والصفقات وحال السوق، وحاتم الألفي يتقرب منه اكثر وأكثر حتى يقنعه بأن يتم التعاون بينهما وبين رجل أعمال كبير سوف يعملان تحت مظلته، وسيكسبان مكاسب هائلة؛ فيقتنع كريم بفكرته، ويتواعدان على أن تكون هناك مقابلة عمل مرة أخرى، ثم يودعه ويتحرك هو ووردة ليكملا ليلتهما في شقته الخاصة.

وبداخل منزل صالح العطار أو عفت الموردي؛ فكان في غرفته يصارع الموت حين أتت له زوجته عائشة في رداء أبيض تدعوه أن يذهب معها، ونجد عفت ينظر إليها بكل الحب والعشق الذي عشقه لها، ويغمض عينيه في هدوء وتفيض روحه إلى بارئها.

مات مَن أحرق قرية وقتل عائلة وأصبح أسطورة من أساطير الاقتصاد في مصر، مات من كان يتقابل مع الموت بدم بارد ويسقي أعداءَه العذاب من جميع ألوانه، مات مَن فعل كل شيء ليحيا!

فهذه هي نهاية الإنسان مهما علَى أو طغى أو تكبر؛ فنهايته إلى خالقه، وعند الله تجتمع الخصوم.

نجد قصر عائلة العطار وقد التحَفَ بالسواد حزنًا على موت عفّت الموردي؛ فنجد الجميع يلبسون ملابس سوداء لأخذ العزاء، ويبكون على فراق عفت الموردي، عدا زلفة! فنجدها تجلس ساكنة جامدة لم تهتز منذ وفاة عفت، حتى بعد مرور ثلاثة أيام لم يرها أحد تدمع، يتحاشاها الجميع في هذه اللحظة؛ لأنهم يعرفون جيدًا أن خلف هذا الجمود انهيار، إذا اقترب منه أحد انهار فوق رأسه؛ فآثر الجميع الصمت وتركها لحالها حتى انتهى العزاء وذهب الجميع، وقامت زلفة بنفس الهدوء وصعدت إلى غرفة عفت، ودخلتها وأغلقت بابها على نفسها، وتحركت

بهدوء ناحية سرير عفت وجلست عليه تتحسس مكان نومه، وهنا انهار الجليد الزائف والجمود التي كانت ترسمه على ملامحها، وتساقطت الدموع من عينيها بغزارة وعلَى نحيبها على فقدان الأب والمعلم الذي تعلمت على يديه كل شيء.

- ليه يا بوي؟! ليه تسيبني في الدنيا لوحدي من غير ضهر؟! ماكُنتش بحس بالأمان غير بوجودك، كل حاجة وأي حاجة بعملها كانت بمشورتك، كده تسيبني من غير حتى ما تودعني؟! ربنا يرحمك يا بُوي، هتفضل عايش دايمًا جوايا، عمري ما هنسى كلامك ولا حنيّتَك.

واستمرت زلفة في البكاء، وظلت تبكي حتى غلبها النوم.

في الصباح نجد زلفة تخرج من غرفة عفت، وقد عادت إلى طبيعتها الجامدة الهادئة، فتجد الجميع في انتظارها للاطمئنان عليها، تنزل على السلم شامخة رافعة رأسها كأن شيئًا لم يكن، وتنظر لأولادها في صمت، ثم تبدأ في الكلام:

- إيه؟! قاعدين كده ليه؟! مفيش وراكم شغل ولا مصالح؟ خلاص كل اللي ورانا خلص، هنفضل قاعدين حاطين إيدنا على خدنا؟!

ينظر أبناء زلفة لبعضهم البعض متعجبين من كلام والدتهم؛ فتكمل زلفه حديثها:

- اللي بناه صالح العطار لازم يستمر، اسم العطار لازم يفضل عايش حتى لو صاحبُه...

تصمت للحظات وتتأثر وتترقرق الدموع في عينيها، ثم تكمل:

- حتى لو صاحبه مات.

فيتدخل محمود لتهدئتها:

- حاضر يا ماما.. كل اللي حضرتك عايزاه هيحصل، بس احنا كنا مستنيين نطمن عليكي.

زلفة بجمود:

- أنا كويسة.. المهم عملت اللي كلفتك بيه؟

محمود بهدوء:

- حصل و...

تقاطعه زلفة بإشارة من يدها؛ فيصمت قبل أن يكمل كلامه، وتكمل زلفة:

- يوسف، خلصت موضوع الشراكة مع أخوك كريم؟

يوسف والحزن يملأ ملامحه:

- خلصته يا ماما واتفقت مع مريم على كل حاجة، بس كريم لِيه رأي تاني!

زلفه وهي تعقد حاجبيها وتنظر ناحية كريم:

- رأي تاني يعني إيه؟!

كريم بثقة:

- أصل يا ماما خلاص مش محتاج الصفقة دي، أنا داخل شغل مع راجل تقيل قوي وهحتاج مجهودي كله معاه؛ فهسيب لعب العيال ده لسي يوسف.

زلفة تتحرك ناحية كريم بهدوء:

- ومين الراجل ده؟

كريم وقد ازدادت ثقته:

- ده رجل أعمال كبير معظم شغله في أوروبا، وجاي هنا مصر هيعمل استثمارات كبيرة، اسمه سالم السيوفي، أكيد حضرتِك سمعتي عنه.

زلفة تحاول التذكر، وتجلس على الكرسي:

- أعتقد سمعت الاسم ده، بس ده وصلّك ازاي؟ واشمعنَى انت؟!

كريم يجلس بجانبها ويبتسم في ثقه:

- سمع عني وعن شركتي، وبعتلي واحد من شركائه.. حاتم الألفي صاحب مصانع الألبان والعصاير، وقالّي إن سالم السيوفي عايزني، وهقابله خلال اليومين دول لما يرجع من السفر؛ عشان نتفق ونمضي العقود.

زلفة بتحذير:

- مش عايز تشارك أخوك براحتك، بس أظن مش محتاجة أقولّك إني مش عايزة أي غلطة في الشغل؛ لأن المرة دي حسابها هيكون تقيل.

تنظر ناحية محمود وبلهجة آمرة:

- محمود، تبقى معاه في كل خطوة، وتقرأ العقود كويس، مش ناقصين البيه يورطنا في مصيبة.

ثم تنقل نظرها إلى يوسف:

- و انت يا يوسف كمّل شغلك مع مريم السندسي، و أنا متأكدة إنك هتنجح معاها، سواء في شغل أو في ارتباط.

يوسف ينظر لها بتوتر:

- ارتباط إيه؟!

تقاطعه زلفة:

- أنا عرفت كل حاجة، وخدت بالي في العزا من طريقتك ومقابلتك ليها ونظرتكم لبعض، مش نظرات شُركَاء خالص.

ثم توجه نظرها إلى حنين:

- و انتي يا ست حنين.. اتفضلي على المستشفى بتاعتك، وقولي لسي زياد بتاعك هستناه يوم الخميس، خلِّيه يجي هو وأمه لما نشوف آخرتها، يلّا اتفضلوا كله على مصالحه.

فيتحرك الجميع، ويخرجون كل إلى عمله، وتجلس زلفة وحدها، ونجدها تمسك المصحف وتبدأ بقراءة القرآن.

وفي أحد المكاتب الفخمة التي تدل على مدى ثراء صاحبها يجلس حاتم الألفي أمام أحد الأشخاص، ويدخن سيجارته ويضحك:

- عارف يا سالم بيه؟ كريم ده هيموت ويقابلك، كل شويّة يكلّمني بيتحايل عليّا عشان يشوفك.

فيظهر سالم السيوفي وهو يجلس على كرسيه الفخم، ويمسك بسيجاره الكوبي، ويسحب نفسًا بطيئًا من سيجاره، ثم يخرج الدخان الكثيف من فمه ويبدو عليه الهيبة بشعره الأبيض وذقنه التي يكسوها بعض الشعر الأبيض الذي يعطيه مظهرًا متميزًا، وينظر بعينين يملأهما الخبث إلى حاتم:

- كفاية عليه كده، قولُّه إني مستنِّيه بُكرَة.

حاتم:

- بس سعادتك...

يقاطعه سالم:

- هششش اللي أقوله يتنفذ، وكل حاجة تتعمل زي ما بقول مش عايز غلطة، آن الأوان نفتح الدفاتر ونرجَّع الحق لأصحابه.

ويعود ليسحب نفسًا من سيجاره، ويُخرج الدخان من صدره في هدوء، ويظهر وجهه من بين الدخان كأنه ذئب ينتظر الوقت المناسب للانقضاض على فريسته.

داخل الجامعة نجد آلاء تتحدث مع أحمد، وأحمد يجلس في ارتباك وتوتر شاردَ الذهن، وآلاء تتحدث معه، وتُفاجَأ بأنه ليس معها، وعندما تجده بهذه الحالة تسأله:

- إيه يا أحمد مالك فيه إيه؟

أحمد يستفيق كأنه كان في غيبوبة:

- ها؟ لا أبدًا مفيش.

آلاء بتعجب:

- مفيش إيه؟! عمّالة أكلمك و انت ولا هنا.

أحمد تترقرق الدموع في عينيه:

- مفيش يا آلاء، أنا لازم أمشي.

آلاء متوترة:

- إيه ده؟! اصبر.. مالك فيه إيه؟!

أحمد بحنق:

- مفيش.

آلاء وهي تعقد حاجبيها:

- لا فيه، اتكلم معايا يا أحمد، هو فيه أسرار بينا؟

أحمد يجلس والحزن يبدو عليه والدموع تتساقط من عينيه:

- أقولّك إيه بس؟! أقولّك إن أبويا خلاص بيموت ومحتاج يعمل عملية هتتكلف خمسين ألف جنيه! و أنا مش عارف أجيب جنيه واحد منهم، ده غير العلاج وكشوفات الدكاترة وغير مصاريف إخواتي! أقولّك إيه ولا إيه؟! و إيه ذنبك أصلًا أشيّلِك همي؟!

آلاء وقد بدأ الحزن والقلق يتسرب إلى ملامحها:

- لا، المفروض تقولّي؛ لأننا واحد وبنحب بعض، ومشاكلك هي مشاكلي، ولا انت شايف إيه؟

أحمد والحزن ما زال يغزو ملامحه:

- لا يا آلاء، مش كل مرة هفضل أحكيلِك و انتي تحلّي.

آلاء بابتسامة:

- يا عبيط! انت والدك زي والدي بالظبط، وماتقلقش.. مصاريف العملية جاهزة كلها وماتشِيلْش هَمّ.

أحمد بغضب:

- لا مش هاخد منك جنيه واحد، أنا لسه ماسدّدتْش اللي قبل كده.

آلاء غاضبة:

- يعني هتسيب باباك تعبان وتفكر في هتاخد ولا لأ؟! مافيهاش تفكير، أنا هجيبلك الفلوس، و انت إن شاء الله تسددهملي بعدين براحتك.

أحمد وقد ارتسمت الفرحة على ملامحه:

- انتي أنضف إنسانة يا آلاء.. بحبك قوي.

وفي المنزل نجد نورا تجلس أمام شاشة الكمبيوتر تتصفح الفيس بوك، فتجد رسالة على ماسنجر مرسلة إليها من نفس الشخص المجهول الذي يرسل إليها الرسائل بنفس الطريقة..

- هاي.. ممكن نتعرف؟

فتنظر إلى الرسالة باستغراب؛ فقلّما ما يبعث أحدهم برسالة لها غير صديقاتها، وهذا الشخص الذي يلح في أن ترد عليه ويتعرف عليها، وتبحث عن الشخص الذي يبعث بالرسالة؛ فتجد صفحة باسم سالم السيوفي؛ فتتعجب وتتذكر أنها سمعت الاسم من أخيها كريم، فهل هو نفس الشخص؟ فتقرر أن تبادله الرد:

- هاي.. ممكن.

في اليوم التالي نجد كريم يدخل إلى مكتب سالم السيوفي برفقة حاتم الألفي، وينتظران بالخارج لمدة نصف ساعة كاملة قبل أن يُنهِي سالم السيوفي اجتماعًا قد عقده مع موظفيه، في هذه الأثناء كان كريم يجلس أمام سكرتيرة سالم الذي انبهر بجمالها؛ فقد كان قوامها متناسقًا مع طولها، بيضاء شعرها أسود ناعم طويل من النوع الذي يفضله كريم، وكانت تضع برفان كانت لرائحته أثرٌ على كريم الذي سحره، وأصبح يتناوب النظر إليها بين الحين والآخر، حتى هي لاحظت ذلك، وأصبحت هي الأخرى تبادله النظرات في خفية عن أعين حاتم، حتى انتهى سالم من اجتماعه وأمر بدخول حاتم وحده أولًا، وترك كريم خارجًا لمدة خمس دقائق أخرى، استغل كريم خلالها الموقف بخبرته في التعامل مع النساء،

وفتح حديثًا مع سكرتيرة سالم الذي تعرَّف عليها، وعرف أن اسمها ليلى، وأعطاها كارتًا يحمل أرقامه على أمل أن يتحدثا ويتقابلا في الخارج في أحد الأماكن العامة، وليلى وعدته بالتفكير في الأمر، حتى فتح حاتم الباب واستدعاه، ودخل ليقابل سالم الذي قابله بترحاب كبير:

- أهلا أهلا يا كريم باشا.. منور مكتبي.

كريم والفرحة تبدو على وجهه:

- أهلًا بسعادتك يا سالم باشا.. شرف ليّا إني أتقابل مع سعادتك.

سالم بدهاء:

- أنا اللي أتشرف إني أشتغل مع شاب مجتهد زيك، وكفاية إنك حفيد صالح العطار.

كريم باستغراب:

- إيه ده؟! سعادتك كنت تعرف جدي؟

سالم بعد سحب نفس من سيجارِهِ:

- طبعًا، جدك ليه فضل كبير عليّا في اللي أنا وصلتله.. اتعلّمت منه كتير.

كريم بابتسامة واسعة:

- دي حاجة تشرفني.. الله يرحمه كان موسوعة.

سالم متأثرًا:

- الله يرحمه، كان نفسي أحضر العزا، بس للأسف كنت مسافر، وعرفت بوفاته بعد ما رجعت، البقاء لله يا ابني، بس انت أكيد هتبقى شبهه، وعشان كده أنا اخترتك انت عشان تكون شريكي.

كريم:

- ربنا يخلي سعادتك، و أنا تحت أمرك في كل اللي هتطلبه مني.

سالم بنظرة خبيثة:

- حلو، يبقى هفهّمَك الشغل على ما حاتم يجهز العقود عشان نمضيها.

كريم بتوتر:

- عقود! بس..

حاتم متدخلًا:

- بس إيه يا كريم؟! حد يرفض فرصة زي دي؟! سالم بيه مابيدِّيش فرص كده لناس كتير.

سالم بهدوء:

- سيبه براحتُه يا سالم، يمكن عنده مشكلة ولا حاجة.

كريم يعود لابتسامته:

- لا مشكلة إيه.. حضَّر العقود و أنا جاهز.

داخل الفيلا يقف كريم أمام زلفة وجهه في الأرض، وزلفة تنهرُه:

- انت غبي! قولتلك ماتمضِيش عقود إلا لما أخوك محمود يكون معاك.

كريم بانفعال:

- يعني كنت أعمل ايه بس يا ماما؟! كانت فرصة قدامي، هقول للراجل إيه؟ استنى أجيب اخويا الكبير يشوفني هعمل غلط ولا لأ!

زلفة بحنق:

- طول عمرك متهور، و أنا ألمّ وراك، بس كده انت هتضيع نفسك.

كريم بابتسامة:

- ولا هضيّع نفسي ولا حاجة، ده راجل سمعتُه سابقاه والمكسب معاه مضمون.

محمود وهو يعقد حاجبيه:

- تقوم تمضي عقود استيراد مجمدات بخمسة مليون جنيه؟! وتمضي على شرط جزائي بضعف المبلغ! وتحمّل شركتك المسؤولية

كاملة في كل حاجة من ساعة المركب ما تخرج من بلدها لحد ما تستلم وتوزّع؟!

كريم بلامبالاة:

- وإيه المشكلة بس؟! الأرباح كام يا سعادة المحامي؟ الصفقه دي أرباحها خمس أضعاف اللي هيتدّفِع.. يعني خمسين مليون جنيه.

محمود بغضب:

- بس لو حصل حاجة أصول شركاتَك هتتهز يا كريم بيه.

كريم بانفعال:

- أنا المسؤول عن أي حاجة.

زلفة بغضب:

- بس انتوا الاتنين، خلاص يا محمود اللي حصل حصل وربنا يسترها، بس اهتم بقى بالمراسلات بينك وبين الشركة الأجنبية؛ مش ناقصين مصايب.

وداخل غرفة نورا نجدها تراسل سالم السيوفي، وتتحدث معه بأريحية..

- بس انت رغم سنك الكبير. بس أنا حاسّه إنك أصغر من شباب كتير قوي.

سالم:

- يعني سني مش مضايقك؟

نورا والفرحة على وجهها:

- لا، أنا بحب الراجل العاقل الرزين.

سالم:

- عارفَة أحلى حاجة خدتها من معرفة كريم أخوكي ومشاركته إيه؟

نورا:

- إيه؟

سالم:

- إني لما دوَّرت وعملت بحث عنه -وده شيء طبيعي بعمله لما بشارك حد- أول ما شوفت صورتك معاه على الفيس بوك انبَهَرْت بجمالك، وقولت لازم أتعرف عليكي، وأحلى حاجة إني عرفتِك.

نورا:

- و أنا كمان مبسوطة إني عرفتَك.

سالم:

- أنا عايز أشوفك، ممكن؟

نورا تتردد للحظات قبل أن تكتب:

- و أنا كمان عايزة أشوفك.

فينظر سالم السيوفي إلى الشاشة، وعند ما يجد الرد بالقبول يبتسم ابتسامة ذئب جائع قد نجح في اصطياد فريسته، ويلقي برأسه إلى الخلف ويسحب نفسًا طويلًا من سيجاره ثم يزفره في الهواء.

نجد آلاء وقد أحضرت إلى أحمد الخمسين ألف جنيه لعملية والده الذي أخذهم منها على استيحاء وهو يعدها أنه سوف يعيد إليها النقود في أقرب وقت ممكن، و أنه لن يتأخر في سداد النقود مهما حدث، وهي تعده أنها سوف تظل بجانبه حتى يصبح ذا شأن ويتزوجا ليعيشا حياة هنيئة.

ونجد يوسف ومريم على تو افق في كل شيء.. في العمل وفي علاقتهما الشخصية، حتى أن يوسف أخذ خطوة وقابل والد مريم وطلب يدها منه؛ لأخذ مو افقته على الزواج من مريم، وقابله والدها بترحاب كبير، و اتفقا على أن يجمعا العائلتين لإتمام الخطوبة.

***

الفصل الخامس

-1-

في مكتب سالم السيوفي يدخل حاتم الألفي وينظر إلى سالم بابتسامة؛ فيبادله سالم الابتسام، وعندما ينظر خلفه يجد أمامه مريم السندسي؛ فينظر ناحيتها ويظهر شبح ابتسامة على وجهه، ويزفر دخان سيجاره وهو يقول:

- ها؟ نقول مبروك على الخطوبة؟

مريم السندسي بابتسامة خبيثة:

- طبعًا نقول مبروك.. اللي أمَرت بيه سيادتك حصل بالحرف.

ينظر سالم لمريم نظرة إعجاب، ويصفق لها دليلًا على إعجابه الشديد بذكائها:

- بر افو.. نظْرِتي ماخيّبِتْش فيكي يا بنت السندسي.

تتحرك مريم بخفه ناحية سالم، ونجدها تقترب منه بدلال وترتمي في أحضانه وهي تجلس على فخذه، وتقبّل شفتيه كعاشقة كانت تنتظر عاشقها.

- و أنا تحت أمرك، بس انت ترضى عني.

سالم ينظر لها ويقترب منها ليقبّلها مرة أخرى، فيلمح حاتم ما زال و اقفًا؛ فيقول له:

- إيه يا حاتم مستني حاجة؟

حاتم وقد احمر وجهه:

- لا جنابك، أنا مستَنِّي برَّه، أوامر معاليك.

ويخرج حاتم من الحجرة بينما سالم ومريم يلتهمان شفاههما بنهم.

***

-2-

بعد يومين...

في أحد المراكب النيلية نجد سالم السيوفي يجلس ويشرب قهوته، وينظر أمامه ليجد نورا في زِيٍّ أبيض جعلها تبدو كأميرة من أميرا ت العصور الوسطى، وشعرها يتطاير بفعل الهواء وهي تقترب منه وتنظر له بخجل، حتى اقتربا من بعضهما وتقابلا، ووقف سالم وأمسك يدها وقبَّلها، ونظر لها بحب:

- يااااااه! أنا مش مصدق إننا أخيرًا اتقابلنا.

لم تكن المرة الأخيرة التي تقابل فيها نورا سالم؛ فقد تكرّرَت لقاءاتهما، وفي كل مرة تنبهر نورا أكثر بسالم، وسالم يُغْدق عليها بهداياه الثمينة، وهي تهيم في حبه؛ فهي أخيرًا قد وجدت فارسها الذي طالما تمنته، ومر الوقت سريعا عليهما، وكانا يتواعدان للقاءات أخرى.

بعد مرور أسبوع..

في قصر زلفة..

كانت زلفة ومحمود يجلسان في انتظار زياد عطية الذي حضر متأنّقًا في بدلةٍ بنيّة ومعه والدته، ويدخل إلى القصر ليقابل زلفة ويطلب منها يد حنين، وتخرج حنين وتُسلّم على زياد بحرارة، ثم تقترب من والدته وعلى وجهها ابتسامة، ووالدته تقابلها بترحاب وحرارة ممزوجة بحب وإعجاب بجمالها، ولكن فجأة يتبدل المشهد وتخرج حنين من بين طيّات ملابسها مشرط صغير حاد مثل الذي تستعمله في العمليات الجراحية، وتتبدل ابتسامتها إلى غضب وتلتف خلف والدة زياد وتمسك رقبتها وتضع المشرط على رقبتها، وزياد يحاول تخليص والدته، لكن حنين تحذره:

- لوقرَّبت مني يا زياد أمك هتموت.

زياد بخوف:

- حاضر بس سيبها، هي مالهاش ذنب!

زلفة والقلق على وجهها:

- حنين يا حبيبتي، سيبي الست.. مش هو ده الحل.

حنين والدموع تتساقط من عينيها:

- انتي ماتعرفيش الحيوان ده عمل معايا إيه يا ماما!

محمود بهدوء:

- أنا وماما عارفين كل حاجة يا حنين، واستنينا إنك تتكلمي أو تحكي لكن انتي كنتي ساكتة؛ عشان كده و افقنا إن البيه ييجي ويتقدّملِك، كنا عايزين نشوف الآخر إيه؟!

حنين متعجبة:

- عرفتوا كل حاجة؟! ازاي؟!

-قبل الحادثة بشهر-

يدخل أمين الخزنة إلى زلفة ويعلن لها على كل ما يفعله زياد في المستشفى، ويقول لها:

- يا فندم، أنا عارف إن المال مال الدكتورة، بس اللي بيحصل ده كتير جدًا، في أقل من شهر يتصرف نص مليون جينه بدون إبداء أي أسباب نهائي، ده في شرع مين؟! وحتى الحاجات اللي بتتصرف عليها مالهاش فو اتير دخول، وكله بعلم الدكتور زياد.

نرى محمود وهو ينظر على زلفة بغضب، وينظر على الصراف وهو يتحدث، وتنظر زلفة على الأوراق وتسمع جيدًا الصراف، ويستكمل الصراف:

- المشكله مش في كدا خالص! المشكلة إنه بقى يبات في المستشفى ليل نهار، وعايز كل الداخل والخارج.

زلفة مقاطعة للصراف:

- طيب خلاص، كفاية كلام لحد كدا، ومش عايزة حد يعرف أي حاجة عن الموضوع ده أصلًا.

فتمد يدها بظرف به أموال وتعطيها للصراف:

- خد دول ليك عشان أمانتك وشهامتك وخوفك على المكان.

الصراف يمسك من يدها الظرف ويتركه أمامها.

- أنا بس أخدتُه عشان ما أكسِفْش حضرتك، بس أنا مش محتاج غير إنك تلحقى الدكتورة من اللي بيجرالها، شكرًا لحضرتك، سلام عليكم.

فتنظر ثانية على محمود، ويخرج الصراف من الحجرة.

زلفة:

- وبعدين؟

محمود:

- عندك انتي مش عندي أنا، اللي عليّا إني هعرف قرار الواد ده إيه، واللي هتقولي عليه هعمله.

زلفة:

- هات أخباره كلها ونبقى نشوف الأمور هتمشي على إيه؟

يعود الجميع بعد أن سمعوا من محمود ما حدث.

محمود بهدوء:

- ماتقلقيش وماتودِّيش نفسك في داهية يا حنين، أساسًا الست اللي في إيدك دي مش أمه، دي واحدة مأجّرْها عشان بس يعمل فيلم علينا!

حنين يسقط المشرط من يدها بعد حديث محمود، والسيدة تجلس على أقرب كرسي وتمسك رقبتها التي تنزل منها الدماء بسبب جرح صغير من المشرط.

زلفة تعقد حاجبيها وتكمل:

- و انت يا زياد بيه.. انت لسه فيه كلام كتير معاك؟

زياد يقف لايستطيع الكلام والعرق يتصبب من رأسه بغزارة، ومحمود يكمل:

- لا.. زياد كده كده هيروح السجن لحاجات كتير، الست اللي قتلها في المستشفى بعد ما اختلفوا على فلوس الحاجات اللي هو بيسرقها من مخازن المستشفى وهي بتبيعهاله، ده غير التزوير في شهادات حكومية؛ لأنه أساسًا مش دكتوروزاول مهنة مش مهنته، ليه كده يا زياد يا حبيبي؟

ثم يخرج محمود ملفًا به أوراق ويلقيه أمامه:

- شايف الملف ده؟ امضِي على تنازل عن كل أملاكك اللي عندك اللي جبتها من يوم ما دخلت المستشفى لحد دلوقتي، امضي وهسامحك.

زياد متوترًا:

- يعني لو مضيت هتسيبْنِي؟

محمود بنظرة خبيثة:

- هسيبك.

يمسك زياد القلم ويمضي التنازل عن كل شيء، ويترك القلم ويرتمي على أقرب كرسي له، وفجأة نسمع صوت طرقِ الباب ونجد الشرطة تدخل إلى القصر لتقبض على زياد؛ فينظر إلى محمود.

محمود بسخرية:

- أنا قولت هسيبك، بس فيه حق القانون بقى في القتل والتزوير ماليش دعوة بيه.

زياد يتحرك مع الشرطة ومعه السيدة التي كانت تمثل أنها والدته، وزلفة تتجه ناحية حنين لتحتضنها وتربت على رأسها بحنان.

حنين تقبل يدها:

- أنا مش عارفة من غيرِك كان إيه اللي هيحصلي!

زلفة بحنان:

- انتي بنتي وعمري ما كنت هسيبك لكلب زي ده.

على الجانب الآخر نجد كريم يسهر في أحد النوادي الليلية مع ليلى سكرتيرة سالم السيوفي، وليلى تلبس فستانًا قصيرًا فوق الركبه بدون أكمام، يُظهر أكثر ما يخفي، وتتراقص هي وكريم على أنغام الموسيقى، ويشربان الخمر، ثم يهمس لها كريم في أذنها ويخرجان سويًّا، ويركبان سيارته ويتجهان إلى شقته الخاصة ليقضيا السهرة معًا، وما إن وصلا إلى الشقة الفاخرة التي يمتلكها كريم ليقضي فيها أوقاتًا من المتعة المحرمة بعيدًا عن أمه وإخوته حتى ارتميا في أحضان بعضهما يتبادلان القبلات الساخنة، قبل أن يحمل ليلَى ويلقيها فوق السرير ويرتمي فوقها، وينهل من عسل شفتيها، وينتهيا من فعلتهما المحرمة ويرتميا بجانب بعضهما، ويغط كريم في نوم عميق، وتستيقظ ليلى على صوت هاتفها لنجد حاتم الألفي هو المتصل؛ فتتحرك لتفتح الباب له، ويدخل هو ورجلان آخران ويضعان شنطة صغيرة في دولاب كريم، وعندها ينظر حاتم إلى ليلى، ويقترب منها ويطبع قُبْلة على شفتيها قبل أن يُخرِج من جيب سترته خنجرًا ويذبحها به، ويلقيها بجانب كريم جثّة هامدة، وكريم يغط في نوم عميق من أثر السكر وممارسة الجنس، ويخرج حاتم هو والرجلان في هدوء ويغلقان الباب خلفهم بعد أن أخفوا كل أثر لهم.

وفي الصباح يستيقظ كريم على صوت هاتفه؛ فيتحسس بيده حتى يصل إلى الهاتف، ويرد وهو ما يزال نائمًا؛ فيجد صوت سيد على الطرف الآخر:

- الحقنا يا كريم بيه.. مصيبة!

كريم يفيق من غيبوبته:

- فيه إيه يا وش الفقر؟

سيد بخوف وتوتر:

- المركب اللي جايّه عليها شحنة المجمدات وصلت، بس اتحجزت في المينا مش عارفين نخرَّجها.

كريم بغضب:

- ليه يعني؟! إيه اللي حصل؟!

- كشفوا على الشحنه لقُوها أغذية فاسدة لا تصلح للاستخدام الآدمي، وحجزوا الشحنة في الحجر الصحي عشان يعدموها.

كريم غير مصدّق:

- ازاي ده حصل؟! كل حاجة كانت مترتبة، طب اقفل و أنا هجيلك.

يغلق كريم الهاتف ويلتفت ليجد ليلى بجانبه جثة هامدة؛ فيرتعب كريم ويصرخ ويرجع إلى الخلف، وعيناه تنظر بهلع إلى جثة ليلى، ويُفاجَأ بطرق شديد على باب الشقة؛ فيخرج وهو في ذهول وتوتر ليفتح الباب؛ فيجد الشرطة أمامه لتلقي القبض عليه، وبالتفتيش تجد الشرطة الحقيبه التي وضعها رجال حاتم في الدولاب وبداخلها كمية كبيرة من الهيروين؛ فيصطحبوا كريم إلى قسم الشرطة مقبوضًا عليه.

على الجانب الآخر نجد آلاء وأحمد يجلسان في أحد الكافيهات بجوار الجامعة، وأحمد يخبرها بأن والده قد تحسَّن بعد العملية ويريد التعرف عليها.

- بابا نفسُه يشوف الملاك اللي نزل من السما وساعدُه عشان العملية.

آلاء بخجل:

- أنا ماعمَلْتش غير الواجب.

أحمد بهدوء:

- هو عايز يشوفك عشان يُشكِرك بنفسه.

تتردد آلاء.

- فهمت، انتي مش عايزة تيجي معايا عشان بيتنا مش هيبقى قدّ المقام.

آلاء:

- لا والله مش قصدي، بس أنا ماقُولْتش لماما.

أحمد:

- ماتقلقيش.. مش هناخد أكتر من عشر دقايق، والبيت قريب من الجامعة مش بعيد.

آلاء:

- خلاص مو افقة عشان خاطر باباك بس.

تخرج آلاء وأحمد وينطلقان إلى منزله الذي لم يبعد كثيرًا عن مقر الجامعة؛ فتجد نفسها داخل منطقة شعبية، وتدخل إلى منزل قديم وأحمد يتقدمها، ويخرج مفتاحه ويفتح الباب، ويدخل ويدخلها خلفه، ثم يغلق الباب بهدوء وعيناه يطل منهما الشر، وما أن أغلق الباب حتى ظهر شابان آخران من إحدى الغرف، وعندما رأتهما آلاء التفتَت إلى أحمد الذي عاجلها بصفعة ودفعها ليمسك بها الشابان ويمزقان ملابسها، ويقومان باغتصابها وهتك عرضها واحدًا تلو الآخر، حتى تفقد الوعي وتفقد معه الكثير من الدماء، وتصعد روحها إلى بارئها، لم تتحمل آلاء الصغيرة ما حدَث بها، ولم تتوقع أن تموت على يد من أحبَّته وغدَرَبها.

وكانت آلاء أول من يموت من أبناء زلفة، ثم اعتدل أحمد وأخرج هاتفه و اتصل برقم حاتم الألفي، وأخبره أنها فارقت الحياة وأنهم قاموا بتصوير ما حدث معها؛ فأمرهم حاتم بالانتظار حتى الليل وإلقائها في أي مكان، وإرسال الفيديو المصور له.

هذا عندما وصل خبر القبض على كريم إلى زلفة؛ فأسرع محمود إلى القسم ليرى ماذا حدث لأخيه؟ في حين اتصل سيد بـ"زلفة" وأخبرها عن

ما حدث للشحنة؛ فانطلق يوسف إلى الميناء ليرى ماذا يمكن أن يفعل؟!
ولم يلاحظ أحدٌ اختفاء آلاء؛ فحنين كانت تمر بأزمة نفسيّة سيئة منذ ما حدث مع زياد، ونورا أصبحت لا تترك حاسوبها وتنتظر كلمات سالم الرقيقة التي أصبحت تعشقها، وزلفة تجلس في توتر تنتظر نتيجة ما يحدث.

في القسم نجد محمود يجلس مع كريم يتحدث معه..
محمود في هدوء:
- إيه اللي حصل يا كريم؟
كريم منهارًا:
- معرفش.. أنا صحيت من النوم على تليفون سيد، بعدها لقيت ليلى مقتولة جنبي، ماعرِفْتش أعمل إيه، ومالحقتش أصلًا.. لقيت البوليس على الباب.
محمود:
- مين ليلى دي؟
كريم متوترًا:
- دي سكرتيرة سالم السيوفي.
محمود وهو يكتم غيظه:
- والهيروين اللي لقوه؟
كريم في انهيار:
- مش بتاعي، والله العظيم ما بتاعي.. محمود ماتسبْنِيش.. أنا خايف.
محمود يحاول تهدئته:
- ماتقلقش؛ أنا معاك ومش هسيبك، بس لازم نفهم ده حصل ليه؟
كريم متذكرًا الصفقة:
- موضوع الشحنة حصَل فيه إيه؟

محمود حزينًا:

- يوسف هناك بيحاول يحل الموضوع، بس للأسف الشحنة هتتعدم.

كريم منفعلًا:

- يعني إيه؟! كل حاجة راحت في لحظة؟!

محمود:

- اهدَى.. مش مهم الفلوس، المهم انت تخرج من هنا وبعدين تتحل.

في القصر..

يوسف ومحمود وزلفة يجلسون في حزن.

يوسف:

- أنا حاولت وكل اللي قدرت أعمله إني نفيت الشبهة الجنائية عن شركة كريم، والتحقيق دلوقتي شغال، بس أيًّا كانت نتيجة التحقيق؛ فالشحنة هتتعدم؛ يعني الفلوس راحت.

محمود:

- وكل التهم لابسَة كريم.. القتيلة والهيروين لقيُوهم جوّه شقتُه وفي وجوده، والطب الشرعي أثبَت إن فيه علاقة حصلت بين كريم والقتيلة، وتحليل المخدرات طلع إيجابي و اتضح إنه كان بيتعاطَى هيروين، يعني عادي إنه يكون بيتاجر فيه.

زلفة:

- مش مهم أي فلوس دلوقتي، الفلوس تتعوض بس ابني يخرج بالسلامة، شوفلَك سِكَّة يا محمود.

تدخل حنين عليهم وتسألهم عن نورا وآلاء:

- ماشوفتوش نورا وآلاء؟

يتوجه الثلاثة بنظرهم ناحيتها، وينظرون إليها بعدم فهم.

في هذا الوقت كانت نورا تجلس مع سالم في أحد المطاعم تتناول طعام الغداء معه وهي تهيم فيه وفي كلامه الذي يجعلها تذوب، وعندما وجدها سالم مستسلمة له عرض عليها الزواج، ولكنه أراد أن يكون زواجًا عُرفيًّا، ووعدها أن هذا سيكون بوضع مؤقت حتى يستطيع التقدم لها رسميًا، وتكون زوجته أمام الجميع؛ فهو يعتبرها زوجته منذ أن تحدّثا معًا، ولشدة حبها وعشقها وتعلقها به و افقت أمام نظر اته البريئة وكلامه المعسول، و أتمَّت الزواج العرفي ووضعت توقيعها على عقد الزواج العرفي، وأخذها سالم إلى شقته، وعند دخوله الشقه حملها بين ذراعيه كحبيب طال اشتياقه لحبيبته، ودخل بها إلى غرفة نومه الذي جهزها لهذه اللحظة، وتفاجأت نورا بأنه رسم اسمها بالورود على السرير كأنه كان و اثقًا من مو افقتها على طلب الزواج منه، وفرحَت فرحًا شديدًا وسلّمَت نفسها إليه، و أتَمّ دخلته عليها وأصبَحَت زوجته فعليًّا.

في نفس الوقت في الحجز نجد كريم يجلس ويضع رأسه بين قدميه، ونجد أحد المسجلين يتحرّش به؛ فيبتعد عنه كريم فيجد آخرًا يدفعه؛ فيحاول الدفاع عن نفسه، ولكن الاثنان كانا أسرع منه؛ فالأول قيّدَ يديه والثاني أخرج من فمه موسًا وقطع شر ايين رقبته وسالت دماء كريم داخل الحجز، وحدث هرج ومرج بين المساجين.

وبالعودة إلى القصر نجد الجميع يتساءل أين نورا وآلاء؟! فتجيبها زلفة:

- أنا معرفش نورا بقت بتخرج الأيام دي ليه؟! هي فاكرة إني عشان مشغولة مع أخوها مش هعرف عنها حاجة!

حتى يجدون نورا تدخل عليهم والسعادة تغمروجهها؛ فتسألها زلفة:

- كنتي فين يا هانم؟

نورا بسعادة:

- مفيش يا ماما، كنت زهقانة فخرجت شويّة.

زلفة بغضب:

- وازّاي تخرجي من غير إذني؟

نورا:

- آسفة يا ماما، بس حضرتك كنتي مشغولة؛ فقولت هخرج شوية وأرجع.

حنين بعدم فهم:

- هي آلاء كانت معاكي؟

نورا باستغراب:

- لا، أنا ماشوفتهاش النهاردة خالص.

فجأة يرن هاتف محمود، ويرد فيجد خبر وفاة كريم؛ فيسقط الهاتف من يده ويسقط هو الآخر على أقرب كرسي، والجميع يتساءل ماذا حدث؟! فيتماسك محمود قليلًا ويخبرهمأان كريم قد تم ذبحه من قِبَل مسجل خطر في حجز القسم؛ فينهار الجميع في البكاء، ثم يتحركون للذهاب إلى القسم، ونجدهم في حالة حزن شديدة غير مصدقين موت كريم.

الصدمه تعصف بروؤسهم، والهادئ كان محمود.. هو من كان يتولى إنهاء أوراق دفن أخيه، في الوقت الذي استدعاه ضابط القسم ليبلغه أنهم تلَقَّوا بلاغًا يفيد بوجود جثة فتاة في أوائل العشرينات ملقاة في مكبّ للنفايات مُغتصَبة ومقتولة، ومعها بطاقة هويتها فقط باسم حنين إبراهيم محمد فهمي.

عندما سمع محمود الاسم سقط من هول الخبر الذي سمعه غير قادرٍ على الحركة، ويردّد:

- لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.

وعندما شعر يوسف بشيء غريب يحدث اتجه ناحية مكتب الضابط، عرف الخبر من أخيه الذي انهار من البكاء، وانتقل الخبر إلى زلفة وأخواته حنين ونورا اللتان سقطتا مغشيًّا عليهما من الصدمة، وزلفة المرأة القوية لم تصبح قوية! سقط عنها قناع القوة وخارت قواها وغابت عن وعيها هي الأخرى، واستفاقت في المستشفى فوجدت أبناءَها الأربعة حولها يبكون؛ فاحتضنتهم في خوف عليه؛م فقد فارق اثنان من أولادها الحياة في غفلة منها، وصار الحزن يسكن ملامحهم قبل منزلهم، وانتهوا من كل شيء وعادوا إلى المنزل بعد أن تم دفن كريم وآلاء في مدافن العائلة.

عادوا ولكن لم تعُد زلفة كما كانت، بل أصبحت هزيلة ضعيفة، ومحمود ويوسف لا يقويان على فعل شيء ولا يعرفان لماذا حدث كل هذا؟! وحنين ونورا غير مدركتان لما يحدث؛ فبعد أن كانت العائلة تُعرَف بسعادتها أصبح الحزن يخيّم عليها.

***

-3-

مكتب سالم السيوفي...

يجلس هو وحاتم يضحكان على ما فعلا، وسالم يحيّي حاتم على التنفيذ المحكم:

- الله عليك يا حاتم.. لعيب كبير قوي.

حاتم في سعادة:

- توجيهاتك يا كوتش.. احنا كنا ماشيِين على الخطة بالظبط، أنا اللي صعبان عليّا بس ليلى، كانت وتَكَة، مش عارف ليه قتلناها؟!

سالم بابتسامة:

- يلّا.. هي نصيبها كده! حد كان قالّها تروح معاه؟ المهم إيه الدنيا دلوقتي؟

حاتم:

- رجعوا بعد ما دفنوا وقاعدين في القصر.. هنستنى عليهم شوية.

سالم بضحكة ساخرة:

- نستنَّى إيه يا راجل يا طيب؟ اضرب على الحديد وهو سُخن، حضَّر الرجالة ويلّا بينا.

يتحرك سالم وحاتم بسيارتهما ورجالهما قاصدَين قصر العطار.

-4-

القصر..

نجد زلفة تجلس تقرأ في المصحف وهي تبكي، وحنين ونورا يجلسان بجوارها في حزن، ومحمود ويوسف يجلسان يفكران في ما حدث وماذا سيفعلون؟! حتى يفجأون بباب القصر يُطْرَق؛ فتتحرك حمدية الخادمة لفتح الباب؛ فيدخل سالم ومعه حاتم.

سالم:

- السلام عليكم.

محمود:

- وعليكم السلام ورحمة الله.. مين حضرتك؟

حاتم:

- حضرته يبقى سالم بيه السيوفي.

محمود في غضب:

- أهلًا.. حضرتك ظهرت؟!

زلفة بهدوء:

- محمود استنَّى.. وحضرتك جاي بقى يا سالم بيه تعزِّينا ولا تشمت فينا وتاخد الشرط الجزائي اللي على كريم؟

سالم بهدوء و ابتسامة:

- لا طبعًا جاي أعزِّيكم.. البقاء لله.

زلفة:

- ونعم بالله.

سالم بابتسامة:

- أما بقى بالنسبة للشرط الجزائي اللي كان على كريم الله يرحمه فده هتنازل عنه وهعتبره مهر مراتي.

محمود غير فاهم:

- مراتك؟! مراتك مين؟!

سالم بجدية:

- نورا تبقى مراتي.. انتي ماقولتِيش لِيهم ولا إيه يا نورا؟

يوسف بغضب:

- انت مجنون يا جدع انت ولا إيه؟! مين دي اللي مراتك؟

زلفة تنظر لنورا هي وحنين بعدم فهم، ونورا تنظر في الأرض بخجل، وحاتم يكمل بغضب:

- احترم نفسك يا ابني انت.. نورا تبقى مرات سالم بيه، وآدِي عقد الجواز العرفي اللي ما بينهم.

يخرج حاتم عقد الزواج من جيبه ويلقيه في وجههم؛ فيمسكه محمود ويقرأه، ثم ينظر إلى نورا:

- الكلام ده صحيح؟ ما تنطقي!

سالم:

- أيوة صحيح طبعًا، بس قبل ما تنفعل كده وتعمل فيها راجل سِيبْني أكمل باقي كلامي.

ثم يوجه نظرة ناحية زلفة:

- إيه يا زلفة يا بنت الموردي؟ مش عارفاني؟

تنظر له زلفة وتتحقق من ملامحه؛ فتكتشف شيئًا؛ فتتراجع إلى الوراء:

- انت؟! انت لسه عايش؟!

سالم يضحك ضحكة عالية:

- أيوة يا زلفة.. سلامة السياف ماماتش يا بنت الموردي، و أنا اللي عملت فيكي كل ده، اتعلمت من أبوكي من اللي عمله وجاي دلوقتي عشان أقولّك الحقيقة كلها.

يعود بذكرياته معها في يوم موت سلامة السياف على يد عفّت..

بعد أن ألقى عفَّت سلامة السياف في النيل اعتقد أنه مات، ولكن المياه قد جرفته إلى أحد الحواف ووجده صياد كان قد خرج باكرا ليصطاد؛ فوجده وأخذه وعالجه، وظل سلامة ببيته حتى تعافَى، و أقسم أن ينتقم من عفت الموردي، ولكن انتقامه سوف يكون كبيرًا؛ فاتخذ لنفسه اسمًا جديدًا وسافر إلى الخارج ليبني نفسه، وسريعًا ما كبر في عمله وأصبح أحد أكبر رجال الأعمال في الخارج، حتى قرر العودة للانتقام.

يعود لها وقد أصبح في موقف قوة مستكملًا حديثه:

- وبدأت بأبوكي اللي كان كل يوم بياخد حبّاية دوا قفلِتْلُه شرايين قلبه واحدة واحدة لحد ما مات.

زلفة بتوتر:

- بس أنا أبويا ماكانش بياخد أي دوا غريب.

سالم بسخرية:

- بس حمدية كانت بتقوم بالواجب، وكانت بتبدّل الدوا بالدوا بتاعنا.. حمدية.

حمدية:

- تحت أمرك يا باشا.

سالم:

- روحي انتي شغلك خلص خلاص.

حمدية:

- أوامرك يا باشا.

سالم يكمل حديثه:

- وزياد عطية أنا اللي كنت باعتُه على فكرة.. عيّل أهبل مالوش لازمة، رميتُه ليكي طُعم عشان ألهِيكِي فيه مش أكتر، بس اللعبه الحلوة بقى كانت مع كريم اللي حطِّيت في طريقُه مريم السندسي عشان تاخد كل الصفقات منه.

عندما سمع يوسف اسم مريم دارت الدنيا حول رأسه؛ فمريم الفتاة التي أحبَّها كانت هي الطُّعم الذي اصطاده به سلامة السياف، فيكمل سالم:

- عشان يجيلي وألعب بيه براحتي، ياااااه ماتعرفيش قدّ إيه أنا بتبسط وبستمتع باللعب بنسلكم الوسخ، و أنا اللي لفقتله كل حاجة.. القتل.. الهيروين.. الشحنة الفاسدة، ورميت مريم كمان في طريق يوسف عشان يحبها ويشاركها من وراكم، وأوقّع بينه وبين كريم، بس للأسف يوسف طلع ذكي مش غبي زي أخوه، وآلاء كمان أنا برضُه اللي بعتّلها أحمد زميلها وحبيبها لحد ما قدر يأثر عليها، بس بصراحة آلاء كانت مقاتلة، حتى بصي الفيديو ده.

ويُلقِي لها بكاميرا فيديو صغيرة مصوّر عليها فيديو لآلاء وهي يتم اغتصابها، وهي تقاوم بشدة.

- فكّرتنِي بيكي وبشدّتِك.

تشاهد زلفة الفيديو لتدرك كم تعذّبَت ابنتها قبل مقتلها؛ فتنهمر الدموع من عينيها، فيكمل سلامة حديثه:

- أما بقى السهلة دي..

ويشير إلى نورا:

- كانت أسهل من السهولة.. كلمتين حلوين جَات تحت رجلي و اتجوزتها، بس بقولِّك إيه.. قمر، عرفتي تربي يا زلفة، ها؟ إيه رأيك بقى في الحكاية الحلوة دي؟ وعشان الحكاية تكمل يبقى نشيل واحد كمان.

عند الانتهاء من كلامه يصوّب حاتم مسدسه إلى رأس محمود ويطلق رصاصة في رأسه؛ فيسقط صريعًا.

زلفة وهي تبكي وتصرخ:

- محموووووووووود!

تتحرك زلفة ويوسف ناحية محمود، وحنين تقف مذهولة، ونورا تتحرك ناحية سلامة السياف:

- حرام عليك ليه عملت كده؟! هقتلك يا سالم.. هقتلك.

ينظر لها سالم بلا مبالاة، ويخرج مسدسًا من حزامه ويطلق عليها رصاصة؛ فتسقط صريعة هي الأخرى.

فينظر لها بسخرية ويقول لها:

- انتي طالق.

ويشير لحاتم:

- هاتوهم يلّا.

ويخرج سالم السياف ويتجه ناحية سيارته، ويحضر الرجالُ زلفة ويوسف وحنين إلى باقي السيارات، ويحرق رجالُ سلامة القصر وينطلقون ويصلون إلى نقطة البداية..

قرية المنارة..

منزل عفت الموردي..

نجد بداخل المنزل زلفة وحنين ويوسف معلّقون بحبال من أيديهم، وسلامة السياف يقف أمامهم في شموخ ويقول:

- هنا كانت البداية لولادتك وولادة فكرة حرق عيلة السياف، شوفتي بقى يا زلفة يا حبيبتي أنا ازّاي بحبك؟! وجبتك في المكان اللي اتولدتي فيه عشان تُشوفِيه قبل ما تموتي، بس قبل ما أموّتِك هعذبك وأحرق قلبك على ولادك دول، وهنبدأ بالدكتورة اللي هخليكي تشوفيها و أنا رجالتي بينهشوا لحمها زي الديابة الجعانة.

ويتحرك ناحية حنين ويفكّ قيدها، ويمسك شعرها ويلقيها لأربعة رجال يمزقون ملابسها بقسوة، ويتناوبون على هتك عرضها واحدًا تلو الآخر أمام أعين يوسف الذي يحاول جاهدًا أن يفك قيده، وأمام زلفة التي استسلمَت تمامًا بعد أن باتت تفقد أبناءَها واحدًا تلو الآخر، وتنزل الدموع من عينيها بغزارة وهي ترى حنين تتألم من شدة ما يفعلون بها، وسلامة السياف ينظر إليها ويستمتع بنظرة الذل في عينيها، ثم يتركهم ليخرج وهو يقول:

- معلش يا زلفة مش هقدر أكمّل وأشوف اللي بيحصل في نسلك الوسخ، خلّصُوا يا رجالة، ولما تخلّصُوا ابعتولي، خُدُوا راحتكُم ومتّعُوا نفسكم.

وفي حين انشغال الرجال باغتصاب حنين نجح يوسف في التحرر من قيده، وبسرعة أمسك أحد الرشاشات التي يملكها الرجال وأطلق الرصاص عليهم وقتلَهُم بلا رحمة، وتحرك يوسف ناحية حنين وجذبها ناحية الحائط للاطمئنان عليها، وزلفة تنادي عليه:

- اهرب يا يوسف.. اهرب.

فيسمع أصوات الرجال قادمة؛ فيتحرك بخفة ناحية النافذة ويقفز منها، ويدخل سلامة السياف وحاتم؛ فلا يجدانه؛ فيأمر حاتم الرجال أن ينتشروا ويحضرونه، ولكن يوسف كان أسرع منهم، فعندما قفز التفَّ حول المنزل سريعًا وبادر الرجال بطلقات ناري!ة من الرشاش الذي أخذه معه، وقتل الكثيرين، وأصبح يتبادل إطلاق النار معهم، ثم ضرب خزان

وقود أحد السيارات؛ فانفجرت وقتلت الكثير من الرجال، ولم يتبقَّ إلا حاتم وسلامة السياف، و اتجه إليهما يوسف حاملًا سلاحه، ثم بادر حاتم بطلقة في رأسه، وعندما حاول قتل سلامة السياف انتهت خزينة سلاحِه؛ فاشتبك معه بالأيدي وأصبح الاثنان يكيلا لبعضهما اللكمات، ولكن يوسف كان أقوى؛ فانقض على سلامة بقوة يلكمُه لكمات متتالية حتى خرجت الدماء من فم سالم وغاب عن الوعي؛ فتركه يوسف وجرى ناحية حنين التي وجدها قد فاضت روحها؛ فدمعت عيناه.

ثم التفَتَ إلى زلفة وفك قيدها التي بدورها ألقَت نفسها فوق جسد حنين تذرف الدموع عليها، تفاجَأَ يوسف بطلق ناري يمر فوق رؤوسهم، ووجد سلامة السياف يحاول قتلهم، ولكنه لا يقوى على الحركة؛ فأخذ والدته وأصبح يجري بها حتى ينجيا بأنفسهما، ولكن سلامة السياف ركب إحدى السيارات ولحق بهما، وكانت زلفة قد خارت قواها وجلست لا تقوى على الهرب، ويوسف لم يتركها حتى وجدهما سالم.

تجلس زلفة في منتصف الطريق تشاهد القرية.. الدموع تنهك عينَيها، السواد ملطِّخٌ أسفلها، وعلى وجهها الخوف، ترتدي ملابس سوداء، يقف بجانبها يوسف، نرى على وجهه الارتعاد، كلما نظر إليها يقف شامخًا وفي يده مسدس.

ينظر الشاب في عين زلفة وعلى وجهها الشحوب والخوف، يأتي من بعيد صوت عجلات سيارة دفع رباعيّ تسير بقوة، وتقترب إضاءتها لتشكّل بقعة على زلفة ويوسف وهما جالسَين على الطريق.

يمسك يوسف سلاحَه ويصوبه ناحية السيارة، يضرب رصاصة في الهواء.

عجلات السيارة تقترب وتفرمل أمام يوسف مباشرة، يظل يوسف مصوّبًا سلاحه تجاه سالم، الذي ينزل من سيارته ناظرًا على السيدة دون اهتمام بما يفعله يوسف، ويوسف في عينَيه الجبروت، يحاول أن يضغط

على الزناد، ولكن قلبه يرتعد والعرق يسيل منه مصاحب كل قطرة عرق خطوة من سلامة وهو يقترب من زلفة معلنًا نظرة في عينَيها، ويقول:

- هنا الموت طال كل أهلي..ولازم يطولِك انتي و ابنك.

يصرخ يوسف في وجهه:

- مش هتقدر يا ابن السياف.

يقترب سلامة محدّقًا في عينَيه؛ فيشعر بارتياح، ويلتقط شهيقا يزيل التعب من بين ضلوعه، ويمسك يد يوسف الذي لم يستطع المقاومة ويلفّ ذراعه على رقبته ممسكًا بيوسف من الخلف ويقيده، ويخرج سلامة سكينًا مشرشرًا من بنطاله ويشق عنق يوسف بدم بارد؛ فيسيل منه الدم على جسده حتى يصطدم بالأرض ويسير ليشكل خطين، خط يدوس عليه سالم بقدميه، وخط آخر يصل إلى زلفة التي لم تستطع الحديث ولا تتفوّه بحرف واحد.

نسمع صوت رصاص في الهواء؛ فنجد زلفة قد أطلقت رصاصة على سلامة أو سالم السياف.. أيًّا يكُن اسمه فقد قتلَته زلفة، قتلت قاتل أبنائها الذي تجبر و انتهك حرمة حياتها، ونجدها تزحفُ ناحية جثة يوسف الممددة على الأرض وهي تبكي محترقًا قلبها على أبنائها الستة الذين قُتِلُوا نتيجة ثأر لم يكن لهم علاقة به غير أنهم أبناء زلفة بنت عفت الموردي.

-النهاية-